العدد ٣٥٣ السنة الحادية والثلاثون ابريل ١٩٨٨

العربي

مجلة ثقافية مصورة تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

Issue No. 353 Apr. 1988. P. O.Box: 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly - Arabic
Magazine in Colour Published by :
Ministry Of Information - State Of
Kuwait.

ص.ب : ٧٤٨ ـ الصفاة
الرمز البريدي 13008 ـ الكويت
تلفون : ٢٤٣٩٧٢٨ ـ ٢٤٦٨٢٤٢ ـ ٢٤٢٧١٤١
برقياً "العربي" ـ الكويت ـ تلكس MITR 44041KT
تلفون فكسملي : ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

يتفق عليها مع الإدارة ـ قسم الاعلانات

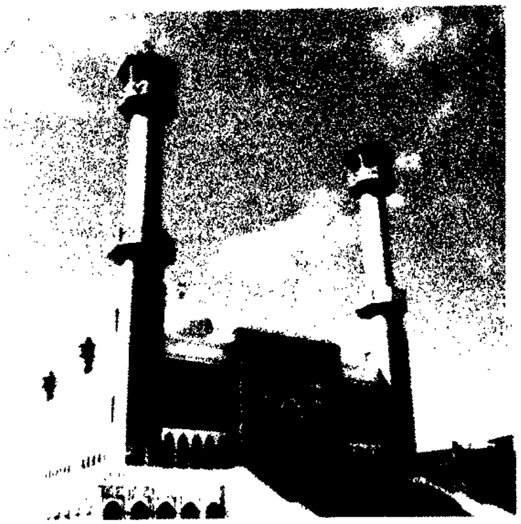
ترسل الطلبات الى : قسم الاشتراكات ـ المكتب الفني
وزارة الإعلام ـ ص.ب : ١٩٣ ـ الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية
أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك. باقي دول العالم ٦ د.ك

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	سوريا ١٠ ليرات
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	الإمارات ٥ دراهم
الأردن ٤٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	المغرب ٣ دراهم
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٣٠ قرشاً	سلطنة عمان ربع ريال	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	لبنان ١٥ ليرة	أميركا دولاران

رمضان كريم

العدد [illegible] - ابريل (نيسان) ١٩٨٨م

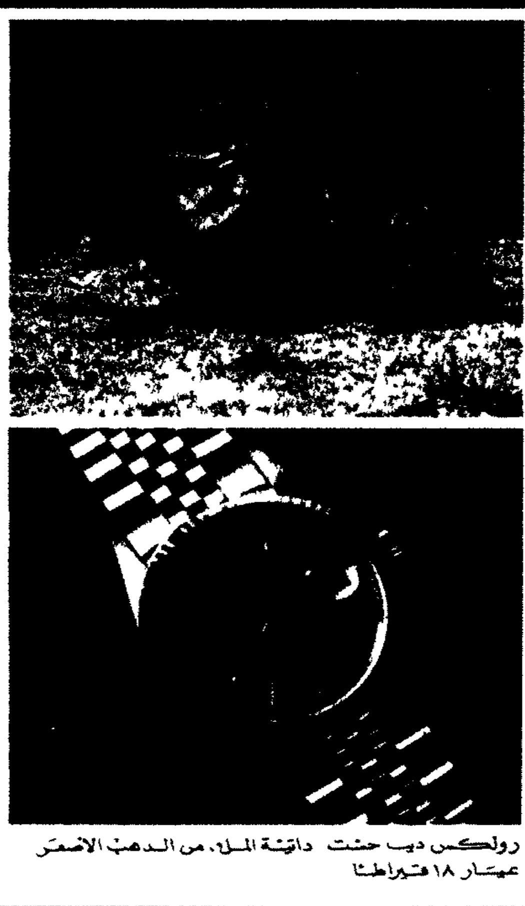
العربي





أبنـــاؤنا .. في رمضـــان





رولكس دیت جست داتينة الملل، من الدهب الأصفر
عيار ١٨ قيراطًا

في الصّحراء، قليلة هيَ الأشياء التي يمكن الاعتماد عليها في تلك الأماكن القاحلة قليلة الماء والكلأ، يعتبر الجمل من الضروريّات التي لايمكن الاستغناء عنها. وهوَ رَمز حيٌ لقدرة التحمّل والصّبر في حرارة الصّحاري اللاهبة أثناء النهار، والباردة جدًا أثناء الليل

من دلائل أهميّة الجمل بالنسبة للعَرب، انه كان الوحدة التي بها يقاس مهر العروس أو ديّة القتيل يضاف لذلك أهميّته من ناحية الغذاء، الإستفادة من الحليب واللحم. وفي الكساء، وبر الجمل.

لتلك الأماكن من العالم. حيث الاستمرار والحياة هُما دائمًا للقويّ كثير التحمّل، أنتجت رولكس ساعة قويّة كثيرة التحمّل من الدهب الصّافي عيار ١٨ قيراطًا أو من الفولاذ الذي لا يصدأ.

ساعة لا يدخلهَا الغبار أو الرّمال إطلاقًا وذلك بفضل علبة الأويستر المصنوعة على مَبدأ المحارة، وقفل السّلامَة الخارجي المثبت بطريقة ملوّلبة وبإحكام على هيكل السّاعة. حركَة السّاعة المصنوعَة قطعَة قطعَة يدويًا ومُجمّعَة بكل إتقان ودقة، لاتتأثّر إطلاقًا بالرّطوبَة أو المَاء أو التغيّير المفاجئ للحرارة.

ROLEX

رولكس

العربي ـ العدد ٣٥٣ ـ ابريل ١٩٨٨ م

محتويات العدد

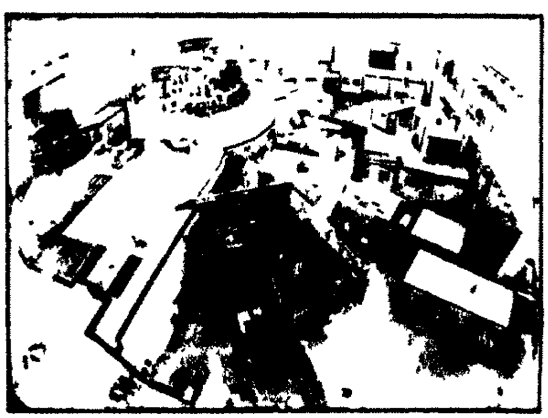
قضايا عامة :

عروبة وإسلام :

استطلاعات مصورة :

طب وعلوم :

أدب وفنون :



الموصّلات الكهربائية الفائقة ص٥٨



■ جمال العربية :

منتدى العربي :



تاريخ وتراث وأشخاص :

تربية وعلم نفس :

مكتبة العربي :

أبواب ثابتة :



صورة الغلاف

سيول عروس الاولمبياد .. هي مركز القلب الذي تنبض منه كل عروق الحياة في كوريا الجنوبية ، تجذب الى مجالها السحري كل شيء .

(طالع التفاصيل ص٦٨)

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

عزيزي القارئ

. . . وحلّ شهر فضيل آخر من شهور رمضان ، وأمة الاسلام والأمة العربية بخير . .
وعددنا هذا من « العربي » يحوي عدة جوانب مهمة . .

● أولها الاحتفال برمضان الذي تصادف غرته منتصف الشهر الميلادي تقريبا (شهر الصدور) وقد كتب لنا في هذه المناسبة الكريمة ثلاثة أساتذة هم : د . شاكر مصطفى ، و د . عبدالعزيز كامل ، ومحمود الشرقاوي ـ كل من مدخل خاص ـ عن رمضان الكريم الذي نرجو أن يعيده الله على هذه الأمة وقد وعت أن قوتها في وحدة كلمتها وعملها وتكاتفها وتآزرها في عالم لا تعرف دوله إلا مصالحها .

● وقد يبدو للبعض أن أولمبياد سيول ما زال بعيدا . . ولكننا في « العربي » قد أعددنا عدتنا منذ أشهر . . فذهبنا الى سيول كي ننقل لقارئنا بالصورة والكلمة شيئا عن هذه المدينة التي سوف تكون حديث العالم في الأشهر القليلة القادمة ، حيث تناولنا الاستعدادات التي تجري لاستقبال شباب العالم الرياضي والاعلامي بهذه المناسبة . ومن جانب آخر كثر الحديث عن صورة الانسان العربي في الاعلام الغربي ، وقد خصنا د . جاك شاهين وهو الرجل المختص بهذه الأمور بعدة مقالات ينشر أولها في هذا العدد عن صورة العربي في السينما الأمريكية . . ترى كيف هي ؟

● أما الكاتبة سلمى الحفار الكزبري فهي أديبة عربية عشقت الأندلس ، وتكتب لنا في هذا العدد عن (ماربيا) عروس الصيف العربي في اسبانيا الحديثة ، ترى كيف كانت أيام أجدادنا العرب فيها !

● وقد يكون المُدخِّن قد ملّ من نصائح الأطباء حول الاقلاع عن التدخين ، لكننا نعتقد أن المدخنين جميعا سوف يعيدون حساباتهم بعد قراءتهم لمقال د . صباح السامرائي عن انذار مبكر للمدخنين ! .

● أما نزعات الانتحار عند المبدعين فان د . محمد جابر الأنصاري يلقي الأضواء على هذا الجانب الخافي في حياة بعض رجال الفكر ، ويكشف عن عدة محاولات قاموا بها . . نجح بعضها وفشل البعض الآخر !

● وعن جمعية لها أهميتها ودورها في مجال الرعاية والتعليم والتدريب هي جمعية الجنوب والخليج العربي في الكويت كتبت ريم الكيلاني تفصيلات جديدة في هذا المجال .

● ويسعدنا أن نستقبل في هذا العدد أول مقالات الكاتب العربي والمعلق السياسي الدكتور علي الدين هلال الذي حدثنا هنا عن « الايدز والعنصرية » . انه مدخل سياسي لقضية خطيرة .

وتظل « العربي » تقدم لك خلاصة الفكر العربي المستنير . . فما ذُكر هو غيض من فيض في هذا العدد الذي نستقبل فيه شهر الصوم ، والذي هو بجانب ذلك متعة للقراءة الجادة المثمرة . . فإلى موضوعات العدد . .

المحــــرر

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

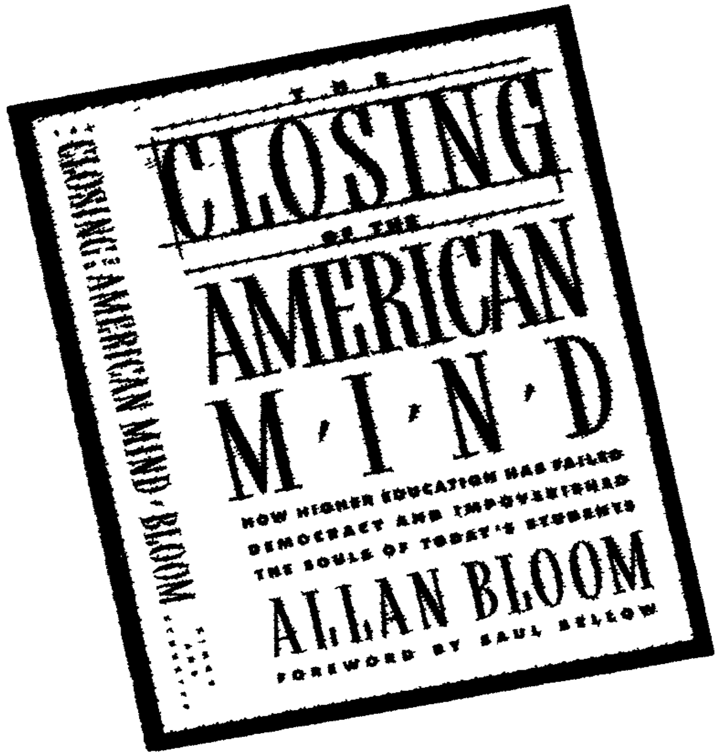
إغلاق العقل الأمريكي..!

عندما يتحدث أحدنا في العالم الثالث عن التعليم أو التقنية أو التنظيم والادارة فانه غالبا مايشير الى تجارب الآخرين .. في الغرب غالبا .. وفي الولايات المتحدة بوجه خاص .

فيقول قائل : انظروا مايحدث في أمريكا ، شاهدوا التعليم ، أو شاهدوا التنظيم والادارة هناك .

وقد لايكون الامر كله خاطئا في عملنا ذاك ، ولكنه بالتأكيد يجب أن لايجعلنا نأخذ الامور على علاتها دون اعمال للعقل .

ولقد نبه الاستاذ الامريكي « ألن بلوم » الامريكيين أنفسهم ، والعالم أيضا ، عندما نشر كتابه منذ أشهر خلت وعنوانه « اغلاق العقل الامريكي » نبههم الى تدهور الموقف الثقافي الامريكي ، والمؤلف ليس شابا صغيرا يبحث عن الشهرة في اطلاق عناوين جذابة ومثيرة ، مثل



أعظم الرجال ليسوا هم أهل المعرفة بل هم أهل الفن!

العنوان السابق ، فهو في نهاية العقد الخامس من عمره ، ويعمل أستاذا للفكر الاجتماعي في جامعة شيكاغو بالولايات المتحدة منذ فترة طويلة .
وفي كتابه هذا الذي أهداه الى طلابه والذي قسمه الى ثلاثة فصول رئيسية ومجموعة كبيرة من الأبواب الفرعية أكد في مقدمته (أنه يريد أن يغوص في أعماق الفوضى المتفشية في الحياة الفكرية والاخلاقية في الجامعات الامريكية) وأن الأزمة الحقيقية في المجتمع الامريكي كما يراها الكاتب هي في جوهرها أزمة فكرية ، (فالجامعات الامريكية تفتقر الى الهدف ، وطلبتها يفتقرون الى التعليم القويم . .)

في هذا الكتاب يعرض الكاتب لمجموعة من القضايا في ثلاثة محاور رئيسية :

في المحور الاول يتناول قضايا الطلاب الامريكيين بدءا بالسبورة ومرورا بالكتاب الذى يدرسون ، والموسيقا التي يتعلمون ، والعلاقات الاجتماعية التي تنشأ بينهم .

وفي المحور الثاني يتناول الكاتب فلسفة (العدمية) التي يعتقد أن الفكر الامريكي اقتبسها من (حثالة) الفكر الأوروبي وأضفي عليها طابعا امريكيا خالصا ، ويستعرض الكاتب نتائج هذا الفكر على المجتمع الامريكي .

وفي المحور الثالث يتناول الكاتب الفكر الانساني منذ الفلاسفة الاغريق ، وأثر المجتمع المدني الذي مرت بـه الانسانيـة في الاضافـة والتجديد الذي يصل الى قمته في الفلسفة الاوروبية في القرنين الثامن عشـر والتاسـع عشر ، ويستعـرض بعد ذلـك ماقـام عليه التعليم في الجامعات الامريكية الـذي (انتقل اليـه التعفن والتحلل وافتقد روح الانضباط) .

يقع الكتاب في حوالي ٤٠٠ صفحة ، وقـد أصبح ظـاهرة مس ظواهر النشر ، فقد ظل لمدة ستة أشهر على رأس قائمة المبيعات للكتب التي نشرتها « نيويورك تايمز » في النصف الأول من العام الماضي .

لقد لامس الكتاب عصبا حساسا في مسيرة الثقافة الامريكية ، فانبرى لـه مؤ يدون ونـاقدون ، ونـوقش في البرامـج الثقافيـة للتلفاز الامريكي أكثر من مرة .

ولكن ماذا يقول الكتاب باختصار ؟

الطـالب الأوروبـي والطـالب الأمـيركي :

يقـول الكـاتب : الـطالب الامـريكي يتلقى أي تعليم يعن للمدارس أن تقدمه له قبل دخوله الجامعة ، فليس له حق في الاختيار . لذلك نراه يعيش حياة يسيطر عليها فراغ روحي ، وهو عندما يدخل الجامعة لايكون لديه أدنى فكرة عما يعتمل في أعماق نفسه من رغبات وميول ، ولايعرف من الدنيا سوى مظاهرها السطحية ، أمـا الطالب الاوروبي فيتلقى مبـادىء ثقافتـه الأولى في بيته أولا ، ثم في المـدرسة الحكومية ثانيا ، حيث تندمج البذور الثقافية الاولى التي غرست في نفسه منذ الصغر مع التراث الأدبي لبلده ، لتشكل في نفسه ذلك المواطن الذي يشعر بالانتماء القوى لبلده وأنه جزء لايتجزأ من شعبه ووطنه .

والكتاب بالنسبة للطالب الاوروبي شيء جوهـري واساسي ، يعتمد عليه في صياغة أفكاره « فحب المعرفة » قضية اساسية للاوروبي يتلقاها الطالب منذ الصغر عن طريق الكتاب ، والطالب الامريكي يعد بدائيا بالنسبة للطالب الاوروبي ، فهو ـ أي الامريكي ـ لايعرف حتى اسماء مشاهير الكتاب الامريكيين ، وبالتالي لايعـرف شيئا عن أفكـار هؤلاء الكتـاب ، فهو لايقبـل الا على قـراءة الكتب ذات المـواضيـع العامة . هذه البلاهة ـ كما يقول الكاتب ـ في التوجه الفكري للطالب

لايستطيع المدرّس تعليم الكتابة لطلاب لايقرأون!

في أميركا صار هناك ثقافة اسمها "ثقافة الفشل في الحصول على الثقافة"



الامريكي في المرحلة التي تسبق دخول الجامعة تبدو بدائية وفي غاية التخلف ، فهي تعمل على تقزيم الجنس البشري في نظر الطالب ، وتؤدي الى فقدان القدرة على تمييز النواحي الجمالية في الحياة ، وعلى عجز عن مسايرة التقدم الحضاري .

يقول المؤلف في إشارة الى علاقة الطالب الامريكي بالكتاب : عندما لاحظت ظاهرة عدم الاقبال على القراءة عند طلابي في أواخر الستينيات ، بدأت اسأل طلابي المستجدين عن أسماء الكتب التي يعتبرونها مهمة ، فكان معظمهم يلوذون بالصمت أو يصابون بالارتباك ! .

فالفكرة السائدة بين المثقفين « بأن الكتاب خير رفيق » بعيدة عن أذهانهم .

ويضيف الكاتب بعد اعطاء أمثلة عديدة على تفاهة مايقرؤه طالب الجامعة الامريكي فيقول : لنتخيل شابا من هؤلاء يتجول في ردهات معرض اللوفر مثلا ، كم سيشعر هذا الشاب بالفراغ الفكري والروحي عندما يلمس مقدار جهله بالقصص التي تروى عن تاريخ

الأفلام السينمائية تحوّر التاريخ للوصول الى أهداف سياسية

الحضارات القديمة ومنجزات رافائيل وليوناردو دافنشي ومايكل انجلو وريمبرانت ؟

ويرى الكاتب : ان السفر الى الخارج هو طريق هام للمعرفة ، وقد سر سرورا بالغا عندما تلقي بطاقة بريدية من طالب سابق سافر الى اوروبا يقول له فيها : انك لست استاذا للاجتماع ولكنك أيضا وكيل سفريات ناجح !

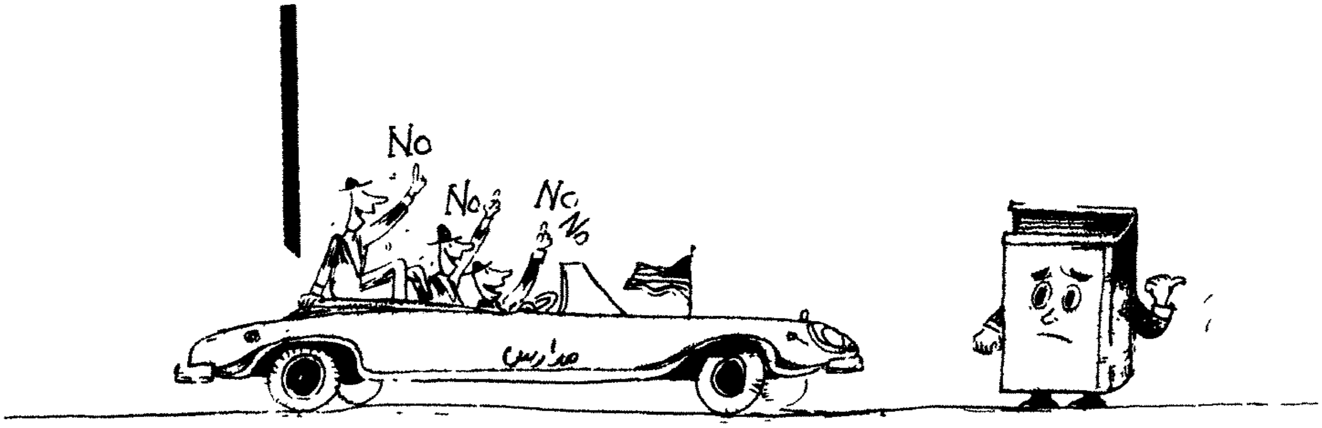
ويقول الكاتب في موضع آخر : مما يؤسف له ان طلابنا ينصرفون الى القشور فيهتمون بصبغ شعرهم أكثر من اهتمامهم بتنمية معلوماتهم وتنويع اطلاعهم ، فيصبح التمييز بين انسان وآخر منصرفا الى الشكل الخارجي دون الغوص في الاعماق .

بعض طلابنا يتعلمون التاريخ من مشاهدة السينما ، فهم يفضلون مشاهدة فيلم عن حياة غاندي أو توماس مور بدلا من قراءة ماكتب عنهما ، ودون أن ينتبهوا إلى أن الكثير من الافلام السينمائية تحور التاريخ اما لإرضاء المشاهدين واكمال الحبكة السينمائية أو لأهداف سياسية .

وفي اشارة واضحة الى المدرسين الجامعيين يقول الكاتب ان الطلاب الذين يأتون الى الجامعات يخشون الاستفسار ، وحتى أولئك الذين يملكون الجرأة الكافية على توجيه الأسئلة يخشون الاخفاق في الحصول على الاجابات الشافية !

العملية التعليمية والعلاقات الانسانية :

يعقد الكاتب بابا كاملا لهذا الموضوع ، فهو يتعرض لبعض العلاقات الانسانية السائدة في المجتمع الامريكي التي تتحكم بالسلوك العام للطلاب الامريكيين فيقول : لقد أصبح الطلاب متحررين من معظم القيود التي كانت تكبلهم في الماضي ، وصارت أسرهم تقدم لهم المعونات والتضحيات دون أن تطالبهم مقابل ذلك بشيء من الطاعة والاحترام ، وحتى تعاطي المخدرات وممارسة الجنس التي كانت ممنوعة في الماضي أصبحت مباحة ومتوافرة بشكل يرضي رغباتهم . وعلى الرغم من وجود بعض مشاعر الاحتشام والتمسك بأهداب الفضيلة في صفوف بعض الإناث الا أن معظم هؤلاء أصبحن متأكدات أن لاشيء يقف في سبيلهن ، كما ارتفعت الكلفة بين الشباب وبين من هم أكبر منهم سنا ، والأمور التي كانت تبدو كأنها أحلام مستحيلة في الستينيات أصبحت



الآن حقائق واقعة وممكنة ضمن نطاق الحياة الامريكية الفضفاضة .

ويصف الكاتب ظاهرة (المساواة) التي يشعر بها الطلاب الامريكيون اليوم ، فهم جميعا ذكور واناث لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات ، وأحد عناصر القصور التي فشل الطلاب الامريكيون في التغلب عليها ـ كما يعتقد الكاتب ـ هي العلاقة بين الطلاب البيض والسود ، فالطلاب البيض لايتخذون لهم أصدقاء من الطلاب السود ، والآخرون منطوون على أنفسهم ، هذا الانفصال ينسحب على الطلاب الاجانب أيضا .

تعايش الفتى والفتاة دون زواج في الجامعات الأميركية أصبح حالة طبيعية !

واحدى القضايا المهمة التي يتعرض لها الكاتب من ضمن العلاقات الاجتماعية هي قضية العلاقات الجنسية بين الطلاب . . فهو يقول : نحن نطالع الأدب الاباحي متسلحين بحرية الكلمة وحق التعبير عن النفس ، كما أن المعارضة التي كان يبديها الوالدان والمدرسون ضد السماح للشبان والشابات بالعيش في مكان واحد أو النوم في حجرات تضم الجنسين ، اختفت من الحياة الامريكية ولم يعد لها وجود . . فالطالبات لم يعدن يخجلن من اظهار مفاتنهن التي تجتذب الشباب . . وتعايش الفتى والفتاة دون زواج ، الذي كان يعتبر عملا خطيرا في العشرينيات ، ثم عملا غير محتشم أو بوهيميا في الثلاثينيات والاربعينيات ، أصبح الأن أمرا طبيعيا ، حاله حال الانتساب الى فرقة كشافة للبنات . . !

كما أن الخجل لدى الفتيات ـ اليوم ـ لايعدو أن يكون أكثر من مجرد (تقليد) أو (عرف) أو (عادة) اكتسبتها الفتيات من أمهاتهن ، فلم يعد من الصعب عليهن أن يتخلصن منه ويتغلبن عليه .

نسب الطلاق في المجتمع الأمريكي من أبرز الأدلة على أن الشعب لم يخلق للتعايش معا

ويصف الكاتب بشكل مفصل أشكال العلاقات الاجتماعية السائدة بين الطلاب والطالبات والأسرة والمدرسين في المجتمع الامريكي المعاصر ، ويصل الى نتيجة مفادها : ان العلاقات بين الافراد اليوم ، سواء كانت قائمة على الصداقة أو الحب ، علاقات يشوبها الشك وتكتنفها عدم الثقة .

ويلاحظ المؤلف الآثار الضارة على الطلاب نتيجة تفاقم ظاهرة الطلاق في المجتمع الامريكي ، فيقول : ان الطلاق له آثار عميقه على الجامعات الامريكية لأن عدد الطلاب الذين ينحدرون من أبوين مطلقين في تزايد مستمر ، وهؤلاء يحملون معهم مشاكلهم التي تنعكس على الطلاب الآخرين وعلى الجو الجامعي بشكل عام .

والطلاق في امريكا ـ كما يلاحظ المؤلف ـ هو من أبرز الأدلة على أن الشعب في هذه البلاد لم يخلق للتعايش معا ، وأنهم على الرغم من حاجتهم لخلق رغبة مشتركة تكون حصيلة للرغبات الخاصة للافراد ، الا أن معظم تلك الرغبات الخاصة تنزع باستمرار الى الانفصال والاستقلالية فلا تلبث أن تتغلب عليه ميولهم الأنانية ، فكل فرد يحب نفسه أكثر من غيره ، ولكنه يريد من الآخرين أن يحبوه أكثر من أنفسهم ! وهي نزعة ـ يعلق المؤلف عليها ـ بأنها أقرب ماتكون الى تصرفات الاطفال .

ويتعمق الكاتب في هذا الموضوع أكثر وأكثر فيكمل : اننا عندما نقول عن الجيل الحالي بأنه جيل الأنانية والنرجسية نكون قد وصفناه فقط ، ولكننا لم نبين سبب هذا الوصف ، فاننا لانستطيع توجيه اللوم الى الشخص الذي يعيش في عالم يمثل الاهتمام بالذات فيه المكانة الأولى من تفكير الافراد ، بل ومن تفكير المؤسسات الرئيسية فيه ، وأي تظاهر بالاهتمام بالمصلحة العامة لايعدو أن يكون نفاقا ، والأبناء الذين يربون في ظل حالات الطلاق والتفكك الأسري لايلبثون أن يصيروا تكرارا للمأساة التي عاشوها فيخلقوا مشاكل جديدة ، ويصبح عدم الولاء للأسر والمؤسسات أمرا عاديا .

ثورة على معتقدات تقليدية عن طريقة الامريكي

يبدأ الكاتب حديثه في القسم الثاني من الكتاب بالاشارة الى قضية لغوية واجتماعية مهمة هي مانسميه بالعربية (انتقال الدلالة) للفظ



في الصراع بين الشعوب لا يجد متخذو القرار مكاناً وسطاً بين "الخير" و"الشر"

أو بصورة ألفاظ ، ويبرهن عليه الكاتب بالاشارة الى وصف الرئيس ريغان الشهير للاتحاد السوفيتي على أنه « الامبراطورية الشريرة » يقول الكاتب ان الرئيس عندما استخدم هذا المصطلح تصدى العديد من رجال الفكر الامريكيين الى الاحتجاج على هذا المصطلح ولكن عندما قال في وقت لاحق : « ان القيم التي تؤمن بها الولايات المتحدة تختلف عن القيم التي يؤمن بها الاتحاد السوفيتي » قوبل هذا القول بالصمت ، على الرغم من أن محتوى الموضوع لايختلف كثيرا كما يعتقد الكاتب ، هذا القبول ـ يقول الكاتب ـ يلفت نظرنا الى موضوع مهم هو أن الناس يميلون الى استخدام ألفاظ بديلة وجديدة غير كلمتي (الخير) و (الشر) في وصفهم للدول أو الساسة أو الأشخاص . والآن فإن هناك (لغة جديدة) صار يستخدمها الناس للتعبير عن الاختلافات في الرأي أو الاتجاه ، وهي (اختلاف القيم) ، ولكن الباحث المنقب يرى أن الرئيس ريغان يعتقد في استخدامه لمفهوم القيم أن الامريكيين وحدهم الذين يعرفون معنى الخير ، وهم وحدهم الذين يدركون معاني الشرف والكرامة ، ويعرفون المسالك التي تؤدي الى الخير وتلك التي تؤدي الى الشر ، هذا التوجه كما يقول الكاتب ، يحمل ضمنا شعور الامريكيين



الاقتصاديون يعلمون الناس كيف يحصلون على النقود والأطباء النفسيون يهيئون لهم المكان الذي ينفقون فيه هذه النقود

بالاحتقار للشعوب الأخرى التي لاتشاركهم هذه « القيم » .

القيم ـ يقول الكاتب ـ هي أمور نسبية ، ولكن هذه النسبية غير متاحة المعرفة لدى الشباب الأمريكي ، لأن ماتلقوه من تعليم هزيل في مدارسهم قد أوهى من تطلعاتهم وحد من ادراكهم ، انهم معتمدون على « الثقافة الامريكية » التي هي ـ كما يشير الكاتب ـ اشبه بالبناء الذي ليس له اساس عميق يرتكز عليه ، كما أن الأسوأ من ذلك أنّ الثقافة الامريكية لايخامرها احساس بسطحيتها وضحالة معرفتها .

ويشير الكاتب في مقارنة مطولة بين أفكار الكاتب والفيلسوف الانجليزي جون لوك ، والفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو فيقول ان المجتمع الامريكي قد زاوج بين هاتين المدرستين المتعارضتين في بعض مجالاتها لصالح بقاء المدرسة النفعية ، وهو يضيف بأسلوب لايخلو من التهكم : هذان النوعان من التنظير (لوك ، وروسو) يمثلان طريقتين مختلفتين في التفكير : المدرسة التي تتبع فلسفة لوك الواضحة الايجابية والكفوءة والتي يتبناها رجال الاقتصاد ، والمدرسة التي تتبع فلسفة روسو

القائمة على التفكير العميق والتي يتبناها المحللون النفسيون . . هاتان المدرستان متعارضتان تماما من حيث المبدأ الذي تقوم عليه كل منهما . . ولكن الهدوء الذي يتم به التفاعل بين أنصار المدرستين في أمريكا هيأ لهما سبيلا للتعايش معا ـ فالاقتصاديون يعلمون الناس كيف يحصلون على النقود والأطباء النفسيون يهيئون لهم المكان الذي ينفقون فيه هذه النقود !

●●●

لقد انقسم القراء والنقاد أمام هذا الكتاب ، الذي لخصنا جزءا من أهم أفكاره ، الى فريقين : الفريق الاول اعتقد أن هذا الكاتب ماهو الا رجل شديد المحافظة يريد أن يرجع المجتمع الى الخلف بإشاعة أخلاق القرن الثامن عشر ، والفريق الآخر اعتقد أن الكتاب نقد موضوعي لمجتمع الولايات المتحدة اليوم ، وهو مجتمع في نظرهم يحتاج الى وقفة مع النفس ومراجعة للقواعد الفلسفية والاجتماعية التي يعيش فيها . . هذه المراجعة تبدأ من نقد الجامعات وطلابها .

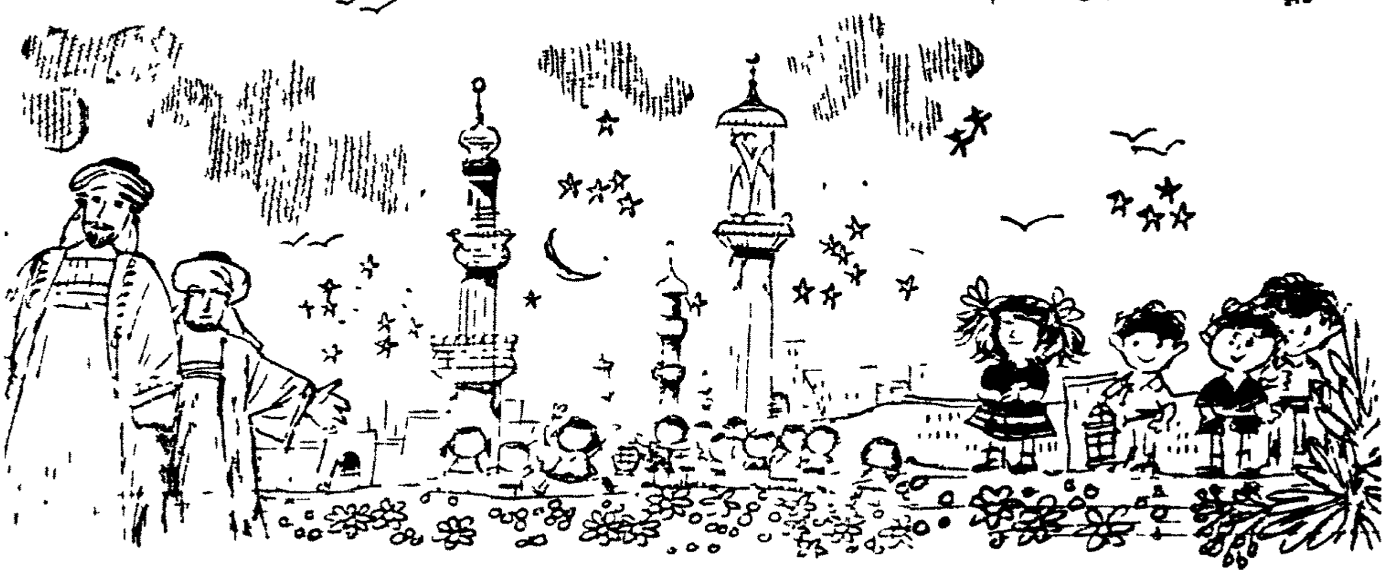
لقد استخدم الكاتب عبارات قاسية تجاه الشعب الامريكي ، وعلى الأخص بالنسبة لاستعصائهم على المراجعة والنظر في الأمور ، على حد التعبير الذى أورده « شعب ينفر حتى من مجرد رؤ ية نفسه في المرآة » كما أنه في مجال آخر يغوص في قضية شائكة يصفها بأنها تفاؤل الامريكيين الساذج بتمجيدهم للطرق العلمية ، وهم في نظر أهل الفكر الاوروبيين « مجرد أطفال يلعبون في ألعاب مصممة للكبار » .

الا أن الكاتب من جانب آخر يثير قضية مهمة هي قضية التعليم الديني المستنير في مدارس وجامعات الولايات المتحدة التي مازالت تقف أمامها العقبات الكثيرة .

وينتهي الكاتب بتذكير الجميع بإحدى الوصايا الموجهة للشعب الامريكي التي تقول :

. . تذكروا أن الله هو الذي أخرجكم من بيوتكم في أوروبا وخلصكم من الطغاة الاوروبيين وأسكنكم في هذه الارض الخيرة . . أرض الله . . فكونوا أقل حدة وصرامة من الطغاة الذين أنقذكم الله منهم . □

محمد الرميحي



لك الله يا دمشق

.. بقايا صور رمضانية

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

عندما يقترب رمضان تشرع المدن العربية بارتداء زينتها الخاصة احتفاء بالشهر المبارك ، وتأخذ بعض الجماعات بالاستعداد لإحياء لياليه ، ولكن تطور المدنية الحديثة عفى دور بعض الجماعات كالمسحرين ، وحلت محلهم أجهزة الراديو والتلفاز . فماذا بقي من طرق الاحتفاء برمضان في مدينة عربية كبيرة مثل دمشق ؟ .

كان ما كان ، في سالف العصر والأوان ، كانت هناك مدينة اسمها دمشق .. إنها ليست هذا السيل الاسمنتي الشاسع الذي يملأ السهل والجبل فيما يسمى بدمشق اليوم : عمائر وجسور وبيوت التهمت المتنزهات والغوطة فلم تبق على « مقاصف » دمر ، ولا على الظل الظليل في بساتين النيربين ، ولا على أشجار الثمر والخضرة في الغوطة ! دمشق التي أتحدث عنها شيء آخر انقرض أو يكاد . .

إنها دمشق مطالع هذا القرن ، ودمشق ما بين الحربين التي أدركنا أواخرها ، دمشق التي كانت قلبا كقلب النسر هو الشام القديمة ، وجناحان ممدودان ، واحد نحو الجنوب (هو الميدان) وآخر الى الشمال على جبل قاسيون (هو الصالحية) ، لقد ضاعت



معالم هذه المدينة ، وبهتت التقاليد فما تبين . تغير كل شيء فيها حتى البشر . دمشق الشمشير والياسمين والليلك وشجر النارنج والكباد والبحيرات الدافقة « وأرض الديار » والايوان (الليوان) لم تعد موجودة . تراجع الماء الدافق فيها الى الخزانات ، وحل الاسمنت محل الخضرة على الأرض ، وانسحب سحر الشرق منها الى كتب السياح !

دمشق التي في خاطري

دمشق التي أتحدث عنها أمضت عدة قرون سابقة لم تتغير فيها ملامحها إلا قليلا ، أما تقاليدها فلم تتغير في شيء . ما ذكره ابن جبير قبل ثمانمائة سنة عن أهلها وعاداتهم ، كنت ما تزال تراه ماثلا في البيوت ، في الأسواق في باحة الجامع الأموي وفي الحارات القديمة . . بل وفي عمائم الرجال « وزكرتية » (أي فتيان) الحارات وفي طريقة التحية !

مئات السنين مرت ، وكل شيء يجري في المدينة مكرورا رتيبا . من خرير مياه « الطوالع » الى نزهات المتنزهين عند الربوة وكيوان الى قرقرة النراجيل في « لواوين » البيوت لم تكن هذه الرتابة تضطرب إلا مرة في العام : حين يحل شهر رمضان !

إنه الموسم السنوي للتغير . المدينة تنقلب الى شيء أشبه بالجامع الكبير بما فيه من تهليل وخشوع ، وطيور آمنة ! فلرمضان نكهته ودنياه وأجواؤه الخاصة به كأنما شيء مما وراء الطبيعة يحل مع حلوله . وتغشى البلد كله غلالة هفهافة ملونة بقوس قزح ، فتلون الدروب والناس والجدران المهترئة بالرطوبة ، فالدنيا بحر خشوع وشموع ، وشيء من سكون غير قليل !

يبدأ هذا الانقلاب كله قبل يومين أو ثلاثة من قدوم رمضان ، إذ تمتلىء المتنزهات حول دمشق وضفاف الأنهر بالمتنزهين من العائلات أو الأصدقاء . إنها عادة دمشقية يسمونها « تكريزة » رمضان ، هي وداع للمفاسد كي تنصرف النفوس بكليتها الى التعبد ، والى روحانية رمضان المقبلة فبعض يغني وينقر العود وبعض يذكر وبعض يلهو بالألعاب والحزازير أو بالقمار أو بطاولة الزهر وينتهي (السيران = النزهة) بأكواب الشاي أو بأكواب أخرى تعلن بعدها التوبة حتى اطلالة العيد المقبل .

في الليلة التي ينتظر فيها رؤية هلال رمضان تكون كل الأعين والآذان على الترقب الأتقياء يلزمون المساجد . الباعة يعدون أنفسهم للسهر الطويل ، الذين اعتادوا العبث تابوا منذ الليلة . ودّعوا الكؤوس والأوتار وأدوات القمار شهرا بطوله الفقراء ينتظرون بدء موسم الخير والناسون المهملون يهرعون الى الأسواق يتدبرون السحور الأول ، والكل على الترقب أعينا وآذانا

لم يكن هناك تلفاز ولا اذاعة تعلن ثبوت رؤية الهلال . القاضي الشرعي هو الذي يعطي الاشارة فاذا بالمدافع تطلق احدى وعشرين طلقة وبذلك يعلم الجميع أن رمضان قد حل : « هل هلالك شهر مبارك » وتضج البيوت والأسواق بالتهاني المتبادلة وبالحركة ، ويتراكض الأطفال في الحارات ·

« سبتوها ، سبتوها ! سبتوها وما خلوها ! » .

وترافق المدافع الشهر كله ، عند موعد الافطار مرة وعند موعد السحور في الليل ثلاث مرات ، أولها قبل الفجر بساعتين وآخرها لحظة الامساك . وتكفهر وجوه المقاهي والحانات ودور العبث الحرام ، فان عليهم أن يصوموا بدورهم شهرا عما

فيهم وانهم ليصومونه مرغمين . ومع أن لإبليس مداخله التي لا تنتهي وخباثته الا أن الجو الرحماني يطرده الى ما وراء الأبواب المغلقة . رمضان « الفضيل » هو صاحب الكلمة الأولى . صحيح أن « رمضان كريم » ولكنه كرم التقي . إن له حرمته التي تغشى كل شيء . . وتسيل في الدروب وتنزل الى الأسواق فاذا هي قد اتخذت زينتها الكبرى .

السجاد يعلق على الدكاكين ، والأخشاب تنصب لتقوم عليها الأغصان الخضراء المجلوبة أحمالا من الغوطة ، والفوانيس تعلق . ويتبارى الباعة في عرض بضاعتهم ، فالدكاكين تتدفق بمحتوياتها الى الخارج . وتجد أكياس الرز معروضة بشكل مغر بجانب السكر وقوالبه المخروطية . والطحين الأبيض مع البرغل الأسمر . وغير بعيد تقدم أكياس النقوع والصنوبر واللوز والفستق والجوز ولفائف القمر الدين ، وبين هذا وذاك صفائح السمن البلدي . وتقف صفائح الزيت والجبن والزيتون وراء ذلك المشهد . وأما الخضار والفواكه فلها سوقها الذي تسمع فيه ألوان الغزل بها : « أصابيع البيو ياخيار » ، « نصب الملوك يادراقن » ، « الحلوة ليكا يافندي لا تدور عليها الحلوة ليكا » ، « بخر الشورة يازبداني ياتفاح » « عالمكسر يا أخضر (للبطيخ) » . « استامبولدار مملكت يابامیه » ، « الزيفى ألماس والأحمر دباس ياعنب » ، ومع أن هذه النداءات الغزلية غير خاصة برمضان ، إلا أن لها فيه جاذبية خاصة ، لا سيما حين يشتد الجوع قبل الافطار .

شهر الصيام شهر الولائم

إن شهر الصيام هو أيضا شهر الطعام . لا يتمتع الموسرون وحدهم بالأطايب ، وتكتظ موائدهم بما تشتهي الأنفس ، ولكن يصيب بعض ذلك الفقراء أيضا ، فالولائم تكثر وتكثر وتأتي على رأسها ولائم الحكام الذين يقسمون الشعب فئات متعددة ، ولكل فئة يوم محدد يدعون فيه . وبعض الناس يتبارون في الدعوة الى ما يقيمون من المآدب لذوي القربى وللطارئين على المساجد من الغرباء،وللمساكين ، أو يرسلون الأطعمة للأسر « المستورة » ، وغالبا ما تكون الولائم غنية أكثر مما ينبغي بالأطايب وألوان الحلوى فالمغالاة في ذلك ميزة رمضانية يصر عليها الدمشقي لا بسبب التقى ولكن تحت ضغط صيامه على الأغلب ، فشراب عرق السوس ونقيع قمر الدين والجلاب وعصير التمرهندي توجد معا .

وأنواع الشوربات والمقبلات والفول والفتوش بعدها . وألوان الخضار المطبوخة تلي ذلك وقد يذهب بعضها « سكبة » من بيت لبيت (أي هدية طعام) . ويأتي الخشاف بعد الأكل وأنواع الحليب المطبوخ وألوان الفاكهة وتنتهي المائدة بكوب سخي من الشاي الأخضر . . يحاول أن يهضم ذلك الخليط كله !

وتظهر في الأسواق أنواع من الحلوى لا تصنع إلا في رمضان . يظهر الخبز « المعروك » في المخابز . ويطوف الباعة بأقفاص كبيرة من الخوص ملأى بخبز « الجرادق » عليه الدبس . ويكثر الحلوانيون من صنع « النهش » والقطائف والبرازق ، فهي حلوى الشهر . وللصغار حلواهم أيضا : (ليلة الله) . ما يكادون يسمعون بمناديها حتى يهرعوا اليه بقروشهم ويتناولوا منه بضعة أساور عريضة ملونة من السكر . . وفي السحور لا بد من النقوع وبعض قمر الدين . .

مرق وخرق وورق

وتبدأ بذلك مسيرة الشهر « الفضيل » شهر الخشوع والصدقة والأطايب والزيارات وصلة الأرحام وحسم الخصومات أيضا، (اللهم انى صائم) ومع أن الناس يقسمون رمضان أثلاثا : فثلثه الأول مرق (أي بحث عن شهي الطعام) والثلث الثاني خرق (أي تهيئة لملابس العيد) والأخير ورق (أي دفع صدقات وبحبوحة من المال على الأهل) . مع ذلك فرمضان المقسم بهذا الشكل هو رمضان

« البيوت » . الأسر هي التي تشغل بالمرق والخرق والورق . ولكنك ما أن تغادر البيوت حتى تغرقك أجواء من المد الروحي تسري ملامحها في جميع الوجوه .

التهاني التي تستنفذ اليوم الأول وأمسيته الطويلة ، تستنفذ معه اليوم الثاني . وتصبح المدينة في الأمسيات الأولى بخاصة خلية نحل . حركة الأسر تنتقل من بيت الى بيت . الأهل والجيران تصبح زيارتهم أشبه بالفرض ، والضيافات من الحلو تزيد المعد اكتظاظا ، وحين تمر الأيام الثلاثة تبدأ الأحياء بتبادل الزيارات فيخرج كبار الحي ليباركوا للحي المجاور وينتظرون في اليوم التالي هذا الحي ليبادلهم التهنئة .

العُشر الأول من الشهر هذا دوره ، في حين يكون العلماء ومشايخ الطرق الصوفية قد تبادلوا التهاني مع نقيب الأشراف والمفتي ويكون هؤلاء قد أدوا واجب التهنئة للسلطات الرسمية من والٍ أو رئيس .

. . ولا تستغرق هذه الزيارات وقتا طويلا فإن صلاة التراويح في الانتظار ، وهي عشرون ركعة تصلى حتى في البيوت ، وتتخللها الأدعية كل أربع ركعات : سبحان الملك القدوس ! اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك . وبك منك . لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . . » .

وقد تمتد التراويح في الليالي الأخيرة من الشهر لتزيد عما كانت عليه باثنتي عشرة ركعة أخرى يسمونها صلاة الرغائب ، فينقضي بذلك كله هزيع طويل من الليل ، في انتظار السحور .

كل هذه التقاليد تمر في جو من البشر والحبور إلا لدى الأسر المنكوبة منذ قريب بفقد أحد أعضائها ، عند ذلك يكون رمضان مناسبة لتجديد العزاء والنواح والخروج الى القبور . .

ليالي رمضان

رمضان ليس بنهاره الصائم ولكن بلياليه . الليالي هي رمضان وحياة رمضان تبدأ بعد الافطار . النهار باهت لا تسمع فيه بكل مكان إلا رمضان كريم « وقد تحتد فيه النفوس أو يضيق الخلق أو تنعس العيون بعد العصر » فالجو متوتر وكل « يتخانق » مع ذباب وجهه . فاذا جاء الليل بسط رمضان أجنحته الملائكية روحانية عميقة هادئة . فالمآذن مضيئة حتى الصباح والزينات المشعة تجمع الصغار والكبار على السمر . والسهرات الأسرية بكل بيت ، وأهل التقى في المساجد قائمون قاعدون في صلاة التراويح ، أو قارئون للقرآن في تبتل وخشوع ، بعضهم يتلو الختمة في شهر ، وبعضهم يتلو كل يوم ختمة ! والناس أهواء وأشتات ، بعض يتمعن بقرقرة النرجيلة أمام الحكواتي الذي يبدأ قصة « عنترة » أو « الزير أبي ليلى » أو « أبي زيد الهلالي » فيستغرق الشهر كله متلاعبا بعواطف السامعين .

وبعضهم يفضل سينما ذلك العصر : إنه (قره كوز) الذي يعمل في ليالي رمضان فقط . ويجتمع اليه اللاهون ، فللصغار موعدهم المبكر ، وللكبار موعد آخر بعدهم يقضون فيه ساعة من الضحك المتواصل والغناء والتفكر بمقالب « قرة كوز وعيواظ والبيو والكر وبكر المصطفى » . وقد يتخلل ذلك نقد جارح للحكم والحكام ! وقد يتجمع الأطفال كعصائب الطير من الحارات مجموعات،بعضهم يحمل الفوانيس أو الشموع أولا ، فهم يتساندون في العتمة وعلى ضوء مصابيح الدكاكين يهزجون :

يا مفطر يابم	يا بزاق الدم
دمك دم الخنزير	ربطوك بالجنزير
والجنزير مالو حلقه	علقوك بالمشنقة

ولا عجب في حماسة الأطفال لرمضان ، فإن لهم رمضانهم الذي يصومونه ويسميه الناس « درجات المئذنة » يصومون حتى الظهر فقط . ولاغرائهم بالصيام تقوم كبيرة البيت بحمل الطفل على ظهرها ، والطواف به في ساحة الدار ، ثم تضع له مائدة

صغيرة ليأكل كالكبار . ويمتد الليل ويمتد بمعظم الناس ليصبح ليلين أو ثلاثة فلا ينتهي الا مع طبلة المسحر ! الأداة الموسيقية بامتياز لهذا الشهر .

طبلة المسحر

في الليلة الأولى لرمضان يسمع النائمون في الهزيع الأخير من الليل نقر الطبلة ومن ينادي عليهم بالصحو . إنه المُسَحِر ! يوم كانت المدينة صغيرة في القديم ، كان طبل واحد يقرع للسحور فيها .

وحين كبرت صغر الطبل ، وتوزع طبلات صغيرة يقرعها المسحرون في الحارات والأزقة . وقبل توافر الساعات المنبهة ، كان الكثيرون في حاجة الى من يوقظهم لتناول السحور ، وكان في دمشق ما يقارب خمسة وسبعين مسحرا يملأون الليل بالنقر والتشيد والصياح . ويسلي المسحر نفسه بالغناء أو يستعين به على لسعة البرد أو على الظلمات المتراكمة . وتسمع في هدأة الليل طرقا على الأبواب والمسحر ينادي على صاحب البيت باسمه :

قوم يانائم وحد الدايم
يابوكاسم وحد الله قول لااله الا الله

وقد ينشد المسحر وهو عائد من جولته بعض المدائح النبوية :

ياماسارت لك المحامل ياأشرف العربان
حنين بدرك وحنين نورك يامحمد بان

وليس المسحر بالمتطوع ، إنها مهنة وأجر جزيل يدومان شهرا في السنة ، والمهنة مقصورة على بعض الأسر المتخصصة بها ، ولها مشيخة ، وشيخ الكار منصبه وراثي ويتقاضى أجره من التابعين ، واليه يجتمع المسحرون قبيل انتهاء النصف الثاني من شعبان لتوزيع المطافات (المناطق) بينهم أو استئجار تسحيرها ، ولحسم ما ينشب من الخصومات أيضا ، فثمة خصومات لا تنتهي ، وللمهنة نقيب مهمته التفتيش ، وشاويش يقوم بمهمة الاتصال بين المسحرين وشيخ الكار !

ويتقاضى [illegible] جميع البيوت [illegible] : [illegible] يختلط فيها [illegible] حتى صارت هذه [illegible] المتجانس : مثل [illegible] المسحر » وقد يلحق به [illegible] وطبلته أو ينتظرونه [illegible] :

أبو طبلة [illegible]
شو جابت ؟ [illegible]
جابت جردون بيمشي !

لكن المسحر ينسى عند [illegible] والليل والزمهرير « بالعيدية » [illegible] رب الأسرة شاكرا أول أيام [illegible] . [illegible] صورة المسحر الآن فلم يبق من [illegible] الباهت في الحارات القديمة .

مظاهر الوداع

حين يتجاوز الشهر منتصفه تلتقي [illegible] والقلوب في سرة البلد : في الجامع [illegible] تجتمع كل مظاهر رمضان من التقى [illegible] المظاهر الخاصة ، ويبدأ الشعور بتصرم [illegible] وهرب لياليه ، فتبدأ حركة وداعه التي [illegible] ليلة السابع والعشرين من الشهر . [illegible] النساء في إعداد ملابس العيد للصغار [illegible] الخياطون عليها وينهمك الحذاؤون في إنهاء [illegible] الصغار الذين يكون لأن ملابس العيد لم [illegible] مواعيدها . وينادي باعة الآس في المنعطفات وعلى قارعة الطريق لبيع أغصانهم الخضراء للناس كي يزوروا بها القبور صباح العيد ، ويتراكض المساكين الى أطراف الجوامع يتلقون زكاة رمضان وزكاة الفطر . . وكل ذلك يجعل المدينة شعلة نشاط وحركة وسهر ، ثم ينصرف أصحاب الشعائر الدينية الى ما ينبغي من الترتيبات لوداع الشهر . وللوداع طقوسه وتقاليده ، ولكل جماعة دينية طريقتها في الوداع .

أما المؤذنون فيخرجون الى المآذن في جوقة متطوعة ويتشدون كل ليلة اعتبارا من الخامس والعشرين من الشهر :

يا شهرنا أودعتنا
عليك السلام
لا تشتكي من سوء أفعالنا
واصفح فان الصفح من شيم الكرام

وينبري واحد منهم متفردا :

شهر الصيام لقد كرمت نزيلا
ونويت من بعد المقام رحيلا
نبكيك يا شهر الصيام بأدمع
تجري فتحكي في الخدود سيولا

ويبرز أصحاب الطرق الصوفية كل منهم بلباس طريقته الى الجامع الأموي أو الى الاحتفالات الدينية في المدينة ، أو الى الحضرة (مقر الطريقة) لاقامة الذكر . . ولكل طريقة يومها الخاص الذي يحرصون أن يكون فرديا لأن ليلة القدر قد تتجلى في تلك الأيام حتى السابع والعشرين .

ولما كانت غايات الطرق متشابهة هي عبادة الله كأنك تراه،فان طقوس الذكر لديها متشابهة ، تنشد المدائح النبوية وتوزع أجزاء من القرآن على الناس لتلاوتها ثم تأتي فترة الدعاء والاستغفار ولها بدورها تراتيبها : أستغفر الله ١٠١ مرة ، لا اله الا الله ١٠١ ، الله الله ١٠١ مرة . وبعد وصلة من المدائح النبوية ينهض مريدو الطريقة ويبدأون الذكر على ايقاع الدفوف : الله يادائم (٣٣ مرة) يا حي يا قيوم (٣٣ مرة) الله (٣٣ مرة) كل ذلك مع هز الرؤوس يمنة ويسرة ووضع الكف الأيمن على القلب !

وتتميز الطريقة المولوية طريقة جلال الدين الرومي التي نشرها العثمانيون وتبرز ،فأتباعها الدراويش لهم ذكرهم الخاص ، بلى ! إنهم يجتمعون ليلة الاثنين والجمعة من كل أسبوع ، وليالي ٢٧ رجب والنصف من شعبان وليلة المعراج والمولد ، لكن اجتماعهم الأكبر انما يكون في ليلة القدر السابع والعشرين من رمضان . انهم يعقدون مجلس الذكر في مقر التكية المولوية حيث يجتمع الدراويش بالألبسة التقليدية (الكلاه والعباءات السود تحتها الثوب بالتنورة الفضفاضة) ويدخلون الى الحضرة (السمع خانة) ثم يلحق بهم شيخ الطريقة وتبدأ قراءة القرآن ثم نفخ النايات ثم يقوم الدراويش للدوران على رؤوس الأقدام والكعوب وتتحرك الأيدي من الصدور الى الأعلى ويمتد الدوران وتعلو الأناشيد النبوية فيما يظل الناي على النواح ليصبح الجميع مجرد خاريط بيضاء تدور وتدور . . وينتهي الذكر بتلاوة القرآن ثم يتلوه الدعاء . . ولكن بالفارسية فهذه هي التقاليد .

ويخرج الدراويش بعد ذلك الى مقرات الطرق الأخرى متنقلين من دار الى دار . مقدمين في كل منها « وصلة » راقصة للتحية ويدركهم السحور فيتسحرون عند شيخ الطريقة الأخير قبل أن يدخلوا الجامع الأموي . ويدخلون وهم يدورون ويعودون ثم يكررون فاذا وصلوا مقام النبي يحيى وسط الجامع حيوه « دام سره »ثم صلوا الصبح وانصرفوا خارجين .

أما أصحاب الطرق الصوفية الأخرى فيلتقون في الجامع الأموي بعد عصر اليوم الأخير من رمضان . وتعرف كل طريقة موضعها من الجامع . فهنا الرفاعية ، وهناك القادرية ، ومن بعدها التلمسانية والأحمدية والمولوية وغير بعيد الهاشمية ، ويتجمع السعدية أمام مقام النبي يحيى ، ويقوم الجميع بالأذكار وتلاوة الأوراد والتهليل والتكبير . إنها لحظات الوداع الأخير لرمضان قبل أن تضرب المدافع احدى وعشرين طلقة معلنة حلول عيد الفطر .

كلٌ له احتفال

وللمسحرين بدورهم احتفالهم بوداع رمضان ليلة السابع والعشرين . يجتمعون في مقهى معين وفي

صدر المكان شيخ الكار والنقيب والشوايش ، وأمامهم مائدة تزينها الشموع ومع كل مسحر طبلته

وأمامه فانوسه وسلته ويأخذون في انشاد المدائح النبوية وعزف الطبلات حتى يأخذهم « الحال » وهي

لحظة الاشراق الصّوفي . وحين تذوب الشموع يخرجون بفوانيسهم والطبلات وهم ما يزالون ينشدون ويهزجون :

ياسامعين ذكر النبي عالمصطفى صلوا
لولاك يا محمد ما بنوا جامع ولا صلوا

غير أن قمة احتفالات السابع والعشرين هي الاحتفال بشعرة النبي ، في تلك الليلة يقوم حفل خاص في جانب من الجامع الأموي هو مشهد الحسين ، الحفل للتبرك بشعرة من شعرات النبي ،

وفي دمشق ثلاث شعرات من شعره : احداها لدى آل سعد الدين أهداهم إياها السلطان عبدالحميد ،

والثانية لدى شيوخ الطريقة الشاذلية آل أبي الشامات ، والثالثة لدى الاشراف آل حمزة يحفظونها في مشهد الحسين ، فلا تخرج الا في المناسبات الدينية الكبرى : ليلة ٢٧ رجب ، النصف من شعبان ، ذكرى المعراج ، ذكرى المولد ، وفي ليلة القدر هذه يقام الذكر أولا حتى الوصول الى حالة الوجد العميق ثم يكشف الشيخ الستارة عن مقام الشعرة ويخرج صندوقها من محرابه مغشى بالحرير وموشى بالآيات المذهبة ، وحين يبدأ بكشف الأغطية غطاء بعد غطاء يتعالى صوت المنشدين :

يـا زائـرا شعـر النـبي محمـد
كن عنـد كشفـك للغـطاء معـظما

ويتلمس الحضور تلك القارورة التي تحوي الشعرة أو يحملها الشيخ فيلوح بها في حركة دائرية على الجميع قبل أن يعيدها الى الصندوق في انتظار موسم قادم . . وتهوي الأيدي إثر ذلك على صحون الطعام والحلويات في عشاء دسم أو سحور فاخر .

كانت جدتي تروي لنا قصة أهل الكهف وتختمها بقولها :

« وقال بعضهم لبعض : ناموا لنتام ، لا الدنيا دنيا ولا الناس ناس »

أنستطيع أن نقول ذلك عن رمضان الأمس ورمضان اليوم ؟

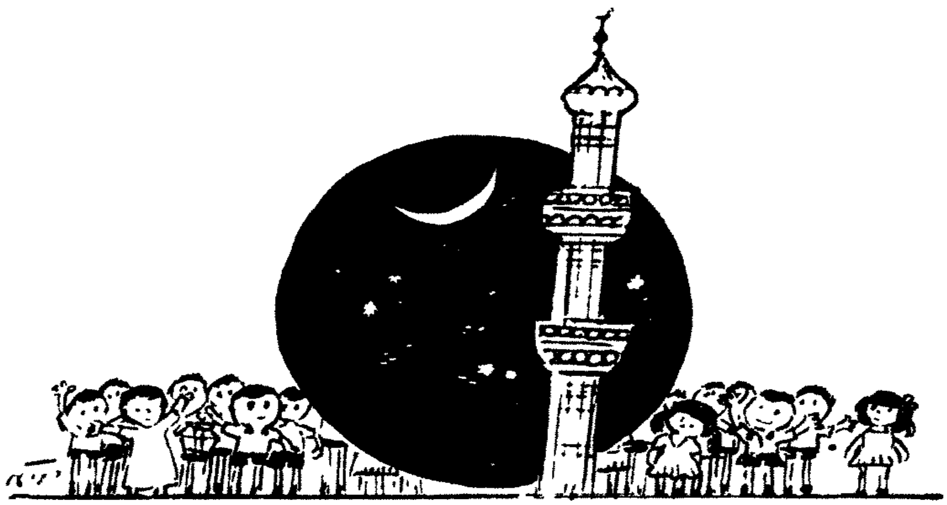
لك الله يادمشق ! □

عناصر الدعوة الاسلامية

● مما قاله المرحوم الشيخ محمود شلتوت في مؤتمر عقد في رابطة الاصلاح الاجتماعي سنة ١٩٤١ ما يلي : تتلخص الدعوة الاسلامية مهما تشعبت فروعها في مبدأ واحد هو « دعوة العالم إلى الخير » ، فإذا أردنا أن نفصل في هذا المبدأ بعض التفصيل قسمناه إلى نواح ثلاث هي : التوحيد والمساواة والعدل .

فقد أصلح الاسلام بالتوحيد فساد العقيدة ، فدعا الناس إلى احترام عقولهم بهجر ما كانوا عليه من الأوثان ، معلنا أن للكون ربا عظيما ، وإلهاً مدبراً حكيماً ، هو الجدير وحده أن يعبد . وقرر بالمساواة مبدأ الوحدة الانسانية التي لا تعرف التفريق بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون ، ولا بين عنصر وعنصر .

وقضى بمبدأ العدل على الظلم ، والتحكم ، والاستبداد ، وأقربه الأمن والطمأنينة والرضا ، ولم يفرق فيه بين قريب وبعيد ، ولا بين عدو وصديق ، ولا بين مؤمن وكافر .



أبناؤنا في رمضان

بقلم : الدكتور عبد العزيز كامل

رمضان يتقرب الى أبنائنا قبل أن يتقربوا اليه . ويأتي ومعه الهدايا دون أن يسألهم شيئا .

وهو الشهر الوحيد الذي جاء اسمه صريحا في القرآن ، كأنه يوسف بين إخوته .

حين تثبت رؤية الهلال يتبدل في العالم الاسلامي نظام الحياة اليومية ، في فرحة تضيء بها الوجوه والمآذن ، وتشرق آفاق من الحب والسخاء وصلة الأرحام .

رؤية الهلال . . . والوجه الآخر

ومع هذه الفرحة ، من حق أبنائنا ومن حقنا معهم أن نتوقف عند مشكلة تقابل العالم الاسلامي كل عام ، وهي الاختلاف في بدء شهر الصوم . ذلك الشهر الداعي الى الوحدة في العبادة ، وهي التي نراها في الصلاة كما نراها في الحج .

ان رمضان يتبع التقويم القمري ، والنظام الاداري والعلمي في أكثر أقطار الاسلام يتبع التقويم الشمسي . والشمس والقمر آيتان من آيات الله جعلهما لنعلم بهما عدد السنين والحساب . وبهذا يدور رمضان مع التقويم الشمسي فيأتي في الصيف أو في الشتاء . وإن أكثر أرض الاسلام في المنطقتين الحارة والمعتدلة ، ولها امتدادها الحديث الى العروض الباردة ، وقد قاربت بعض الجاليات الاسلامية الدائرة القطبية . وأدى هذا الى ظهور قضايا لايصح أن تترك لاجتهادات فردية أو محلية .

إن العالم أصبح الآن مدينة واحدة كبيرة ، وقضى التقدم العلمي على الاحساس بالمسافات . وأمامنا اقتراحان عمليان لتوحيد بدء الصيام في العالم الاسلامي :

الأول : أن نتفق على اعتبار مطلع مكة هو مطلع

الهلال . فمع كروية الارض لابد أن تتعدد المطالع . ولنعامل الصوم كما نعامل الحج . يقول الله تعالى « يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج » (البقرة : ١٨٩) . ولا يمكن أن يجادل مسلم في اتخاذ مكة مطلعا موحدا للعالم الاسلامي .

الثاني : مع التقدم الهائل في علم الفلك وعلوم الفضاء الخارجي لم يعد الحساب الفلكي محل شك . ونحن عمليا نسير عليه في بقية ايام رمضان بعد ثبوت الرؤية . ونتبعه امساكا وصلاة وفطرا . . فلماذا هلال رمضان وحده يبقى بعيدا عن دائرة الحساب الفلكي . هذه الامساكيات أو الروزنامات التي نسير على هداها كلها تتبع الحساب الفلكي . ألا نرى في هذا تناقضا استمر في حياتنا حتى أصبح عادة لها احتفالاتها واتصالاتها ـ وأحيانا ـ محاولات التوفيق فيها ؟! .

وأبناؤنا يعرفون الكثير عن التقدم العلمي المعاصر من مدارسهم وصحافتهم وأجهزة الاعلام . ويعجبون ـ ونعجب معهم ـ في أمر هذه القضية المتجددة .

لو أنفقنا على إقامة مرصد رئيسي في مكة فيه رجال فلك ورجال شريعة ، وأصدرنا « تقويم مكة » لكانت هذه خطوة جليلة نقدمها الى الأجيال المقبلة .

عمليا : سيكون هناك أقطار لاترى الهلال وتصوم . والعكس قد يحدث . ولكن توحيد المطلع واتخاذ الحساب الفلكي الدقيق فيه ، هو الطريق الأمثل ـ هل أقول الوحيد ـ الى وحدة العالم الاسلامي في شهر الصيام وفي الحج معا ، وهما أهم شعيرتين تقتضيان رؤية الهلال وتحديد أول الشهر .

وعندما يطول نهار رمضان

وفي المنطقة الحارة لايزيد الفرق بينهما عن أربع ساعات ، ثم يزداد في المناطق المعتدلة الدفيئة ، ويتسع الفرق في المناطق المعتدلة الباردة حتى يصل الى عروض يزيد فيها طول النهار عن عشرين ساعة .

ولفقهائنا في هذا أكثر من رأي . وان الامر يحتاج الى لقاء عالمي بين علماء الاسلام . علماء يمثلون هذه المناطق جميعا ، ويبحثون مشكلاتها وعلاقة الصوم بالحياة اليومية ، ودورة العمل والنظام الدراسي والامتحانات . والله تبارك وتعالى يقول في كتابه وسط آيات الصوم « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (البقرة : ١٨٥) .

ونحن في المناطق المعتدلة نقابل أمر الصيام وقت أداء الامتحانات ، وفي الابناء حب لأداء الفريضة . وحب للتفوق الدراسي . فما دور الدولة في تنظيم ذلك ؟ هذا بالاضافة الى مشكلات الاقطار الشمالية والجنوبية الباردة .

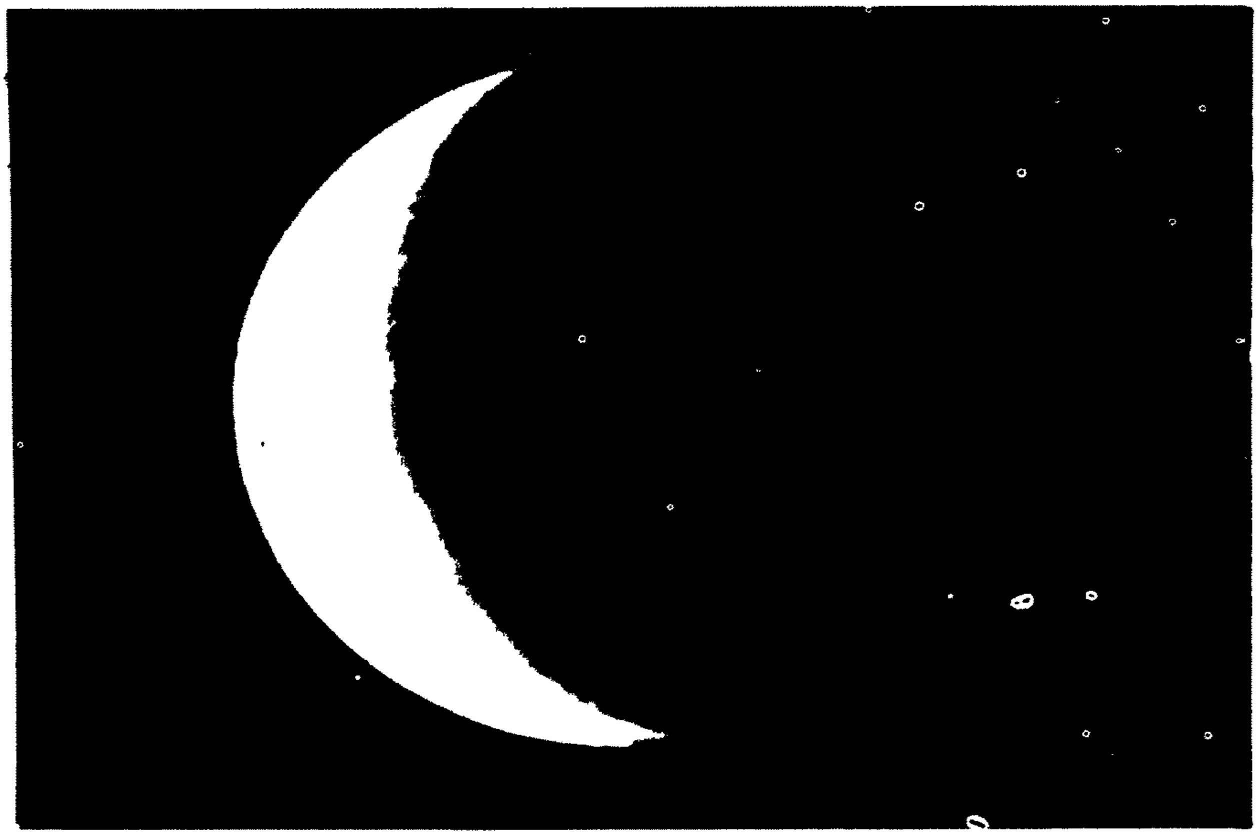
صورة واقعية

ومازلت أذكر مؤتمرا إسلاميا في أواخر الستينيات شهدته في مدينة كوالالمبور عاصمة ماليزيا بدعوة من حكومتها . وكان هذا المؤتمر ـ عمليا ـ تمهيدا طيبا لقيام منظمة المؤتمر الاسلامي التي عقدت اجتماعها الأول في الرباط بعد حريق المسجد الاقصى .

كانت قضية القدس الشريف وفلسطين في مقدمة جدول الاعمال ، وكنا وفودا من أكثر من عشرين دولة اسلامية . وفي الجدول موضوع رؤية الهلال وموضوعات أخرى .

وفي سهولة ويسر اقترح أحد الحاضرين إعلان الجهاد المقدس في أمر القدس وفلسطين . ووافق الحاضرون بالاجماع . ثم جاء موضوع رؤية الهلال فاختلفوا . . وما زالوا مختلفين . ودعا رئيس وزراء الدولة المضيفة رؤساء الوفود الى اجتماع خاص . . وكان مما قاله بكل الوضوح :

ـ إنكم تجمعون على اعلان الجهاد المقدس . فهل أنتم رؤساء دول حتى تتخذوا هذا القرار ؟ إن الجهاد المقدس هو ذروة الاسلام . وهو قرار استراتيجي كبير يقتضي حشد كل طاقات العالم الاسلامي وتوجيهها الى هدف محدد ، وتنسيق العلاقات بين الدول . أتدرون لماذا اتخذتم قرارا اجماعيا ؟ الحق أقول لكم : إنكم اتخذتموه لأنكم لن تنفذوه . واختلفتم في رؤية الهلال لانكم ستصومون . فأنتم اتفقتم على ما لا تعملون ، واختلفتم فيما تعملون . ولكل منكم رأي لايود التنازل عنه . منكم من يأخذ بالحساب الفلكي وقد أعلن ذلك . ومنكم من



هلال رمضان بالرؤية أم بالحساب الفلكي

يتمسك بالرؤية النظرية .

ثم تابع الرئيس قوله :

ـ أود أن أنقل لكم ما يقوله إخوانكم في ديارنا ، وما سمعته في بعض الاقطار النائية . إن إخواننا في كثير من الاقطار العربية يفكرون بعقليا صحراوية . السماء فوقهم صافية أكثر أيام السنة . ومن اليسير على صاحب النظر الحديد منهم أن يـرى الهلال بـالعين المجردة . ونحن في ديار لا نكاد نرى فيها السماء الا قايلا . ويسقط المطر أكثر ايام السنة . وليس أمامنا الا سؤال الجيـران أو الاخـذ بـالحسـاب الفلكي . والاسلام جاء عالميا . والعلم من صفات الله تعالى ، ومما دعانا الى طلبه والاجتهاد فيه . فلماذا لا نوحد المطلع ونأخذ بالحساب الفلكي .

ثم هناك أقليات إسلامية تعيش في دول أكثر أهلها من غير المسلمين : وضرب لنا مثلا من سريلانكا ، حيث يقل المسلمون عن عشر السكان . وكـذلك الجاليات الاسلامية الجديدة في العالم الجديد وأوروبا واستراليا ونيوزيلندة . يسألهم رؤساؤهم عن موعد العيد لتنظيم دورة العمل ، وإعطائهم فرصة لصلاة العيـد وعـطلته . فيقـول المسلمـون : حتى نـرى الهـلال . ويعجب الرؤسـاء من طريقتنـا في مقابلة مشكـلاتنا ونحن في عصـر العلم والتقنيات وغـزو الفضاء . ولكم أن تتصوروا الحرج الذي يعيش فيه اخوانكم .

ورغم هذه الدعوة الحارة المخلصة ، لم يتفق قومنا على كلمة سواء في أمر الصيام ورؤية الهلال .

فهل نستطيع الالتقاء ، ليكـون هذا هـدية من علمائنا الى أبنائنا

أحكام صيام الابناء

ولنا في هذا كلمتان الاولى لغوية والثانية فقهية .

الصوم في اللغة هو الامساك . قال تعالى عن مريم

« إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيـا » (مريم : ٢٦) والصوم هنـا الصمت ، لأنه إمسـاك



رؤ يه اهلال بالأجهزه الفلكيه

عن الكلام ويصمون به الخيل لو كانت صامتة يقول الشاعر

خيـل صيـام وخيـل غـير صـامتـة
تحت العجاج وأخرى تعلك اللجـما

(والصائمة الممسكة عن الصهيل)
والصوم شرعا الامساك عن أشياء مخصوصة في أوقات مخصوصة وصوم رمضان فرض في الكتاب والسنة والاجماع .

ونقرأ في الشرح الكبير لشمس الدين بن قدامة (ت ٦٨٢ هـ) :«ولا يجب الصـوم الا على المسلم البالغ العاقل القادر على الصوم . ولا يجب على كافر ولا مجنون ولا صبي .. فأمـا الصبي العاقـل الذي يطيق الصوم فيصح منه ، ولا يجب عليه حتى يبلغ ، وكذلك الجارية » .نص عليه (أحمد بن حنبل رضي الله عنه) وهذا قول أكثر أهل العلم وذهب بعض أصحابه إلى أنه يجب على الغلام الذي يطيقه إذا بلغ عشرا ، يقول ابن قدامة « ويمكن حمله (أي القـول بـالوجـوب) على الاستحبـاب ، وسمـاه « واجبـا تأكيدا » (٣ : ١٣) ، ويأمر الولي الصبي بالصيام إذا أطاقه ليتمرن عليه ويعتاده كالصلاة (٣ : ١٤) واعتبار الصوم بالصلاة أحسن لقرب إحداهما من الأخرى في كونهما عبادتين بدنيتين من أركـان الاسلام ، إلا أن الصوم أشق فاعتبـرت له الـطاقة ، لأنـه قد يـطيق الصلاة من لايطيق الصوم (٣ : ١٤)

وأنت ترى في هذا درجات من التحمل والارادة وأسلوبا في التربية بالحرمان الى حين حرمـان مما أحل الله وبأمره ، ليس فيه عـلى الانسان رقيب الا الله

وتستطيع أن تأمر الصبي بالصلاة ، وترقبه حتى يصلي ، فإذا فرغ انصرف الى شئونه من مذاكرة أو عمل أو ترويح أما الصوم فلا تستطيع أن ترقبه فيه طول نهاره فالصوم عبادة متصلة تقوم على الرقـابة الذاتية واحترام النفس والوعد أمام الله تعالى وفي هذا ينفرد عن العبادات جميعا ، وتـأتي منزلتـه التي نقـرؤها في الحـديث الشريـف « كـل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف قال الله تعالى الا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي للصائم فرحتان فرحة عند فطوره ، وفرحة عند لقاء ربـه والخلوف فيه (أي رائحة فمه) أطيب عند الله من ريح المسك »
(رواه الستة عن أبي هريرة)

فرحتان

وفرحة الفطر ليست ذاتية فقط ، وإنما تمتد الى المشـاركة في إعـداد الطعـام وتيسيره لاهـل البيت وضيوفه والعابرين ولـلابناء في هـذا نصيب . وما زالت بعض أقطار الاسلام تحافظ على تقاليد كريمة ـ وبخاصة في الريف وعلى مـواقع السفـر والرحلة ـ

فمنهم من يمد المائدة في رحبة أمام بيته ، فلا يحتاج العابر الى استئذان في دخول . ومنهم من يجعل لدار الضيافة بابا مفتوحا على الطريق . وللابناء في اكرام الضيوف تسابق . ولو تأملنا لفظ « حفيد » وهو ابن الابن ، رأيناه يحمل معنى المسارعة الى عمل شيء .

وفي الدعاء « وإليك نسعى ونحفد » والحفدة أيضا من يقومون بالخدمة . وفي هذا يبدو الترابط اللغوي والاجتماعي - قل والانساني - بين الأبناء والتعود على المسارعة الى عمل الخير ، وله في رمضان مجالات واسعة ، وتبلغ هذه الفرحة مداها مع نهاية الشهر المبارك ، والمشاركة في توزيع زكاة الفطر قبل صلاة العيد .

وفي حديثين رواهما الامام مسلم عن عبد الله بن عمر نقرأ :

١ - ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر باخراج زكاة الفطر ، أن تؤدى قبل خروج الناس الى الصلاة .

٢ - أن رسول الله ﷺ فرض زكاة الفطر من رمضان على الناس : صاعا من تمر ، أو صاعا من شعير ، على كل حر أو عبد ، ذكر أو أنثى من المسلمين .

ويعادل الصاع نحو أربعة كيلوجرامات مع جبر الوزن ، ودفع القيمة أفضل من دفع العين . وفي هذا تفصيل يمكن الرجوع اليه في كتب الفقه .

والذي يعنينا هنا بالنسبة لابنائنا ، أنهم يشعرون مع رمضان ومن طفولتهم بالاخاء الاسلامي والمشاركة والتكافل ، يدفع الآباء زكاة الفطر عنهم وهم صغار ، فإذا بلغوا السعي دفعوا عن أنفسهم ، واذا كونوا أسرا دفعوا عن أهلهم .

أما الفرحة الثانية فهي عند لقاء الله . وكل انسان مهما طالت حياته فسيودعها يوما . ولكل انسان ثلاثة أصدقاء : المال والأهل والعمل الصالح .

أما الأول فيظل في داره ولا يخرج لوداعه . وأما الاهل فيشيعونه الى قبره ثم ينصرفون . وأما العمل الصالح فهو الرفيق الذي لايتخلى عن صاحبه « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين . . » (الأنبياء : ٤٧)

هناك حيث البقاء ، وحيث يموت الموت ، وحيث الخلود في دار الخلود . □

دار النـــــدوة أول برلمان عربـي

● يقول المستشرق « أوليري » في حديث له عن مكة ، ان القبائل العربية التي استقرت في مكة كانت مشتركة في تحالف بقصد نقل التجارة ، وكان لهذا الاتحاد مجلس عام أو « ملأ » يضع الخطط التجارية ، ويناقش القضايا العامة ، ثم تطور هذا المجلس الى شيء من الاستقرار النسبي ، وما ان انتصف القرن الخامس الميلادي حتى انبثقت من هذا المجلس دار الندوة التي اسسها قصي بن كلاب بن مرة أحد أجداد الرسول . فالندوة لغة « المجلس » ودار الندوة كل دار يُجتمع فيها للمشاورة .

ويظهر ان استخدام هذه الدار لم يكن للتشاور فقط ، بل ان قريشا كانت تعقد فيها ألوية الحرب ، أو منها كانت ترسل قوافلها للتجارة ، بل لم يكن ليتزوج رجل أو امرأة من قريش الا فيها ، ففي دار الندوة اجتمعت قريش لتقرر مصير الرسول قبل هجرته ، وفيها كانت تجتمع للتداول في أمر غزواته ولتراقبه ورفاقه .

الأغنيـــة :

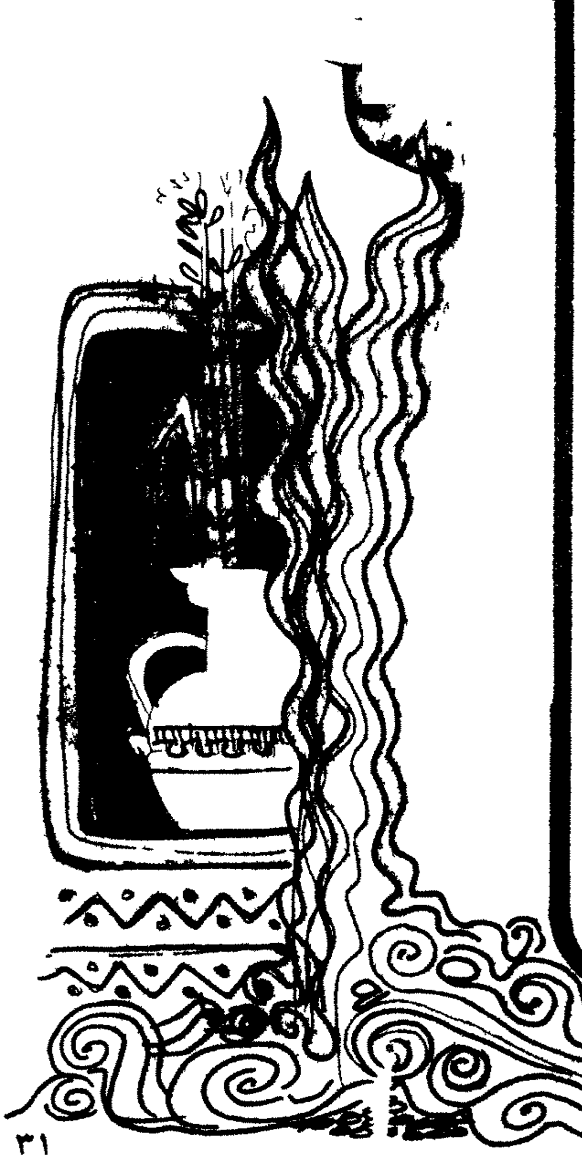
أدافعُ عما سيبقى من الوردِ .
ماذا تبقى من الوردِ
في ساحةِ المذبحةْ ؟ !
أدافعُ عن كِلْمَة لم أقلْها ،
وعن فرصةٍ لم تكن سانحةْ .
أدافعُ عن ولدٍ وجدارٍ ،
وعن شمسِ أشلائنا الجارحةْ .
أدافعُ عن كتبي ودمائي ،
وعن طائرِ اللحظة المُفرحةْ .
أدافع عنك ،
وعنــك ،
وعـني ،
وأطلقُ شريان قلبي يغني :
اعطنـا أيها البحرُ
ماءً ، هواءً ،
وقبل الهواء اعطنـا أسلحةْ

* * *

القصيـــدة :

أنت لم تعلمي بعدُ
أن الرياح تدورُ ،
وحين تعودُ إلى بيتها
لا تجــد
غير صــدري ،

وأنت الطيور تجيء ،
وحين تجيء الظلام
خطّ بحزنٍ على ساعدي ،
وفي آخر الليل تدركُ سري .
أنت لم تعلمي
أن هذي الحقولَ التي تركضُ الآن
أشجارُها في الفضاء ،
وتعلــــو
بأني أجمعها كالصغار
تنام هنا ،
ثم تصحو صباحاً ، وتسرقُ شعري .
أنتِ لم تعلمي
أن روحي حائرةٌ كالمدى
بين مدي وجزري .
إني ذاهبٌ
ذاهبٌ
فدعيني على صدرك الآن أغفو ،
وأسرقَ أشرعتي آخر الليل أسري
أنت لم تعلمي أنني جارحٌ كجناحٍ ،
وأغنيــــةٍ
شـــاردُ
ساكـــنٌ
إنني منذ جئتُ إلى العالم الرحب أحيا هنا
وهنــــا
وهنالك -خارج عمري
أنت لم تعلمي أنني راحلٌ كالصدى ،
ومقيمٌ كظـــلٍ ،
ومنتشرٌ لأضـــلل قبري



الأيدز وأفريقيا والعنصرية !

بقلم : الدكتور علي الدين هلال*

كتب كثير عن مرض « الايدز » ، أو نقص المناعة المكتسبة ، ووجدت عدة فرضيات حول أسباب هذا المرض ، ومكان وجوده الأول ، فقال بعضهم إنه تم تحضيره في المعامل ، وقال آخرون : بأن موطنه الأول هو افريقيا ، وغيرهم قال ببطلان ذلك .

والمقال التالي يأخذ بعدا سياسيا تحليليا لهذا المرض ويدلي دلوه في هذا الاتجاه .

في عالمنا المعاصر صار من الصعب عزل الاعتبارات السياسيةعن كثير من الموضوعات التي تبدو لأول وهلة بعيدة عنها ، أو ينبغي أن تكون هكذا . من ذلك موضوع أصل مرض نقص المناعة الذي سمي في اللغة الانجليزية « ايدز » (AIDS) ، وفي اللغة الفرنسية « سيدا » (CIDA) ، وفي أوغندا « سلم » (SLIM) ، وقد أثار ظهوره وانتشاره موجات من الفزع في أوروبا والولايات المتحدة ، وفتح الباب لعدد غير قليل من الكتابات الصحفية المتسرعة غير المسئولة عن أعداد المرضى وأصل المرض .

مصدر خطورة هذا المرض أنه على الرغم من اكتشاف اول حالة له في الولايات المتحدة عام ١٩٨١ ، وعلى الرغم من تخصيص موارد مالية وطبية كبيرة لمواجهته في الدول الغربية المتقدمة ، فإنه لم يتم الوصول إلى علاج حاسم له حتى الآن ، وأنه ما زال ينتشر بسرعة في العالم .

فوفقا لأرقام منظمة الصحة العالمية فإن عدد المرضى في سبتمبر ١٩٨٦ وصل في الولايات المتحدة إلى ٢٥,٥١٥ ، وفي أوروبا إلى ٣,١٣٠ ، وفي افريقيا إلى ١,٠٠٨ ، وفي آسيا إلى ٥٤ . ، وفي سبتمبر ١٩٨٧ وصل الرقم إلى ٦٠,١٥٣ في ١٢٤

* استاذ في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة ـ مركز البحوث والدراسات السياسية .

دولة ، واحتلت القمة الولايات المتحدة ، حيث بلغ العدد فيها ٤١,٨٢٥ ، بنسبة ٦٥٪ تقريبا ، يليها فرنسا ١,٩٨٠ ، فالبرازيل ١,٦٩٥ ، فألمانيا الغربية ١,٢٩٨ ، فأوغندا ١,١٣٨ ، فتانزانيا ١,١٣٠ ثم كندا ١٠٠٠ ومن الدول التي يتراوح عدد المرضى فيها من ٥٠٠ إلى ٩٩٩ استراليا وهاييتي وكندا وايطاليا ، أما اليابان فإن العدد يتقلص إلى ٤٣ مريضا

تنبع خطورة هذه الأرقام من أنها تشير إلى انتشار المرض عاما بعد عام ، لكن أيضا من حقيقة أن هذه الأرقام تمثل الحالات التي تم تسجيلها رسميا من جانب الحكومات وابلاغها لمنظمة الصحة العالمية . ويقدر بعض الباحثين أن هذه الأرقام تمثل نصف العدد الحقيقي للمرض . أضف إلى ذلك أن هناك فارقا بين المرضى الذين يتم علاجهم ، وحملة فيروس المرض الذين أصيبوا به دون أن تظهر عليهم أعراضه ، وتتراوح تقديرات هذا العدد بين ٥ ـ ١٠ ملايين في العالم .

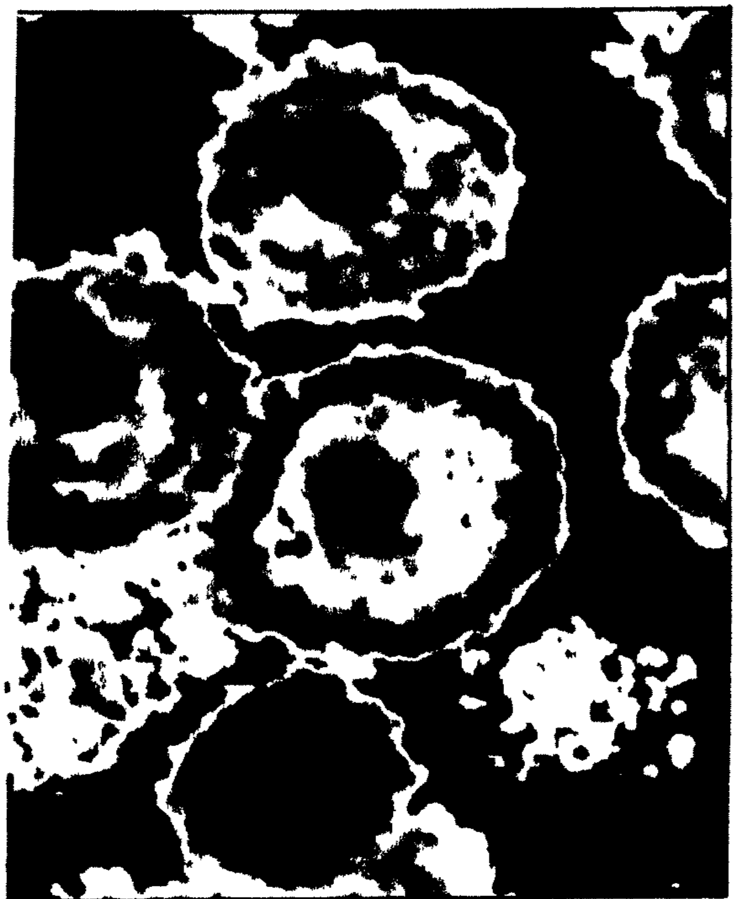
نحن إذن إزاء خطر حقيقي ، تتنوع أساليب نقله لا سيما في المستشفيات وأثناء نقل الدم وبقدر خطورة المرض كانت محاولات تفسير أصله ومصدره .

فقد سارعت مجلة عسكرية سوفيتية في عام ١٩٨٣ بالشرح :

إن فيروس مرض نقص المناعة لا يوجد في الطبيعة ، وإنما هو فيروس اصطناعي ، تم تركيبه في معامل الجيش الأمريكي الذي كان يقوم بتجارب في الحرب الكيماوية ، وتم تسرب الفيروس منها . وقال بنفس الرأي عدد من الأساتذة الأوروبيين والأمريكيين الذين ذكروا أنه ربما تم الحصول على عينات أولية من الفيروس من القرد الأخضر في غابات أفريقيا ، ثم تم تطويرها في المعامل .

هل أصل الفيروس أفريقي ؟

لكن الرأي السائد في الكتابات الأمريكية والأوروبية وبخاصة على مستوى الصحافة والمجلات هو أن المرض أصله أفريقي ، وأن الدول الأفريقية لا



فيروس الايدز يتحول إلى مادة مدمرة لجملة المناعة عند الانسان

تريد الاعتراف بحجم المشكلة الموجودة لديها ، ومن ثم فإنها لا تقوم باتباع السياسات اللازمة الضرورية لمواجهة المشكلة .

وتقدم هذا الكتابات عددا من الحجج التي يمكن إيجازها على النحو التالي :

١ ـ أن هناك عددا من المرضى الذين توفوا في الستينات والسبعينيات في أفريقيا بسبب أمراض لم تكن معروفة أو مفهومة في ذلك الوقت ، وأنه يمكن اليوم تفسير تلك الوفيات بأنها نتيجة لفيروس مرض « الايدز » .

٢ ـ أن أول مريض ظهرت عليه أعراض « الايدز » كان في افريقيا في عام ١٩٧٧ ، تلاه بعد ذلك المريض الأمريكي عام ١٩٨١ .

٣ ـ أن أحد المرضى الذين ماتوا مبكر من

« الايدز » كان بلجيكيا ، عاش في زائير مدة طويلة .

٤ - أن أحد مكونات فيروس « الايدز » موجود في القرد الأخضر .

على أن هذه الحجج تتضمن قدرا كبيرا من الفرضيات والمعلومات غير المؤكدة التي لا تستند إلى دليل .

فلو كان المرض قد ظهر حقا في افريقيا قبل ظهوره في أمريكا ، لكان يجب أن ينعكس ذلك على انتشار المرض وعدد المرضى ، وهو الأمر الذي لم يحدث ، فما زالت الولايات المتحدة تتقدم على كل القارة الافريقية في عدد حالات المرض . ولو كان المرض قد بدأ في افريقيا لكان من الطبيعي أن ينتشر أولا في أوروبا ،قبل أن ينتقل إلى امريكا ، .لا سيما في الدول ذات الصلة الوثيقة بالدول الافريقية كفرنسا وانجلترا ، وذلك بحكم القرب الجغرافي نسبيا ، وبحكم تبادل الزيارات بين الطرفين .

أما بالنسبة لاحتمال أن يكون المرض قد وجد في أفريقيا قبل عام ١٩٨١ ولم يتم اكتشافه أو التعرف على مظاهره وأعراضه ، فإن ذلك غير مرجح ، فأعراض المرض واضحة ، ولا يمكن تجاهلها أو الخلط بينها وبين أمراض أخرى ، ولا يوجد في سجلات الأطباءالأفارقة أوالأوروبيين الذين اشتغلوا في أفريقيا خلال الستينيات والسبعينيات ما يشير إلى وجود تلك الحالات الغريبة أو التي لم يمكن تفسيرها .

هذا ما كتبه الدكتور البريطاني « روبرت بيجر » في المجلة الطبية البريطانية في يناير ١٩٨٦ ، وقد أشار إلى أنه لا يوجد دليل على ظهور حالات مرضية تقترب أعراضها من أعراض الايدز خلال مدة العشرين سنة الماضية ، لذلك رجح أن يكون الايدز مرضا جديدا لم يكن معروفا من قبل في افريقيا .

تمييز وعنصرية

تبقى نظرية - أو افتراض - القرد الاخضر ، وأنه باعتباره حاملا لفيروس المرض ، وأن بعض السياح قد قام بنقل المرض إلى امريكا . والرد على هذا الافتراض بسيط ، فهذا القرد الذي عاش دوما في الغابات لا بد أنه قام بعضّ عشرات ومئات الافريقيين ، وكان من الضروري أن ينتشر المرض بينهم ، وهو ما لم يحدث ، أضف إلى ذلك أن هذا القرد يعيش في الغابات ، ولو صدق الافتراض لحدث انتشار المرض بين سكان المناطق الريفية القريبة من الغابات ، وهو ما لم يحدث أيضا،فالمرض ينتشر في أفريقيا في المدن والمناطق الحضرية

وقد علمنا أن الولايات المتحدة قد خصصت ما يقرب من بليون دولار سنويا في السنوات الخمس الأخيرة لمواجهة هذا المرض دون أن تتمكن من السيطرة عليه ، ونحن نعلم أن الدول الافريقية لا يمكن أن تنفق ولو نسبة ضئيلة من هذا المبلغ ، ولو كان صحيحا أن هذا المرض منتشر في افريقيا بالصورة التي تتحدث عنها الكتابات الصحفية الأوروبية والأمريكية لكان من الضروري أن يكون نصف الأفارقة قد هلكوا بسبب هذا المرض .

والرغبة في نسبة هذا المرض إلى افريقيا تبدو لي استمرارا للنظرةالأوروبية التقليدية إلى افريقيا من موقع الاستعلاء والتمييز بين الانسان الأبيض والأسود . لذلك ظهرت دعوات في الجرائد البريطانية مثلا تطالب بتطبيق اختبار مرض « الايدز » في المطارات والموانيء على كل الزائرين من افريقيا قبل دخولهم البلاد ، ومن الغريب أن أحدا لم يدع إلى مثل هذا الاجراء بالنسبة للقادمين من الولايات المتحدة أو الدول الأوروبية التي ينتشر فيها هذا المرض .

سامحهم الله . □

● ان الطبيب الماهر ينبغي أن يعرف طرفا يسيرا عن كل الأشياء ومنها الطب .

(تاليران)

استطلاعات :

- تايوان .. الجميلة لم تعُد عذراء ـــــ سليمان مظهر
- اليونسكو.. عطاء الثقافة والعلوم والتربية ـــــ صلاح مزيتي

واقرأ أيضاً للكتّاب :

د. محمد الرميحي - د. عبدالله عبدالدايم - د. سمير رضوان - د. خليفة الوقيان
د. عبدالكريم أبوشويرب - فهمي هويدي - أبوالمعاطي أبوالنجا - محمود الريماوي .

رمضان في الأدب العربي

بقلم : محمود الشرقاوي*

لرمضان في الأدب العربي آثار عميقة خصيبة ، تطالعنا في النثر والشعر معا ، وتمثل لنا تمثيلا صادقا ما يختلج في نفوس الأدباء والشعراء من عواطف ومشاعر لهذا الشهر الكريم .

وليس الهدف من هذا المقال أن نستوفي كل هذه الآثار المتشعبة ، لكن حسبنا أن نرسم خطوطا وملامح لهذا الأدب وما يتصل به مشفوعة ببعض الشواهد المختارة .

كانت الدولة الإسلامية وشعوبها تعنى عناية فائقة بهلال رمضان ، وترصد مطالعه حتى تثبت رؤيته ، فيتحقق أول الشهر ويحق الصيام ، ويكون ذلك من الأيام المشهودة ، فتؤلف المواكب الدينية ، وتنار مآذن المساجد ، وتعلن البشائر والتهاني .

كان يوم الرؤية يسمى بيوم الركبة ، وكانوا يستزيدون من إنارة المساجد عند رؤية هلال هذا الشهر المنير ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من فكر في إنارة المساجد في ليالي رمضان ليتمكن الناس من إقامة صلاة التراويح وإحياء شعائر الدين . وروي أن عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه مر ذات ليلة في رمضان على المساجد ، فوجدها مضاءة ومزدانة من الداخل والخارج بالقناديل فقال : (نور الله على عمر بن الخطاب في قبره كما نور علينا مساجدنا) .

حدثنا أحمد بن يوسف من كتاب الدولة العباسية قال : أمرني الخليفة المأمون أن أكتب إلى جميع العمال في أخذ الناس بالاستكثار من المصابيح في شهر رمضان ، وتعريفهم ما في ذلك من الفضل . فما دريت ما أكتب ولا ما أقول في ذلك ، إذ لم يسبقني إليه أحد فأسلك طريقه ومذهبه . فنمت وقت القيلولة ، فآتاني آت فقال : قل : فإن في ذلك أنسا للسائلة وإضاءة للمجتهدين ، ونفيا لمكان الريب ، وتنزيها لبيوت الله من وحشة الظلمة .

تهاني رمضان

كانت التهاني بحلول شهر رمضان ترفع إلى الخليفة والأمراء والاخوان ، ولا يزال هذا الرسم مرعيا في هذا العصر ، وسيدوم إلى آخر الدهر إن

* كاتب وصحفي من القطر العربي المصري .

شاء الله تعالى . فمن ذلك قول الشريف الرضي ، يهنيء الخليفة الطائع العباسي

تهنَّ قدوم صومك يا إمامي
يصوم مدى الزمان عن الأنام
إذا ما المرء صام عن الدنايا
فكل شهوره شهر الصيام

ولهبة الله بن الرشيد جعفر بن سناء الملك من قصيدة :

تهنَّ بهذا الصوم يا خير صائر
إلى كل ما يهوى ويا خير صائم
ومن صام عن كل الفواحش عمره
فأهون شيء هجره للمطاعم

وفي التشهير بالمفطرين يقول الشيخ محمد الجنبيهي من قصيدة له :

جاء الكتاب بأعمال لها حكم
إن ظل يعملها الأعمى تبصره
منها الصلاة ومنها الصوم هل سقطت
عنك الصلاة لعذر أنت ذاكره
صام الأفاضل شهر الصوم وانسكبت
دموعهم لشهور لست تحضره
وأنت ساه ولاه غير مرتكب
إلا الذي كاتب الأوزار يحصره
أطعت بطنك ما لاحظت عاقبة
يا من تصاغر والدنيا تكبره

رمضان شهر بر وإنفاق

شهر رمضان ، شهر بر وإنفاق ، وقد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه أجود الناس ، لكنه كان في رمضان أجود بالخير من الريح المرسلة ، لا يسأل عن شيء إلا أعطاه .

كان رؤساء الدول الإسلامية يتخذونه مجالا



المسحراتي يطوف في الأحياء والأزقة ، يوقظ الناس في المدن والأرياف

للأفضال على المحتاجين وإطعام الفقراء ، وإجزال الهبات لذوي القربى والأرحام ومن كان يحتفل بهذا الشهر الكريم أحمد بن طولون ، فقد جمع أعيان القاهرة في أول شهر رمضان في قصره ، وبعد أن أكلوا وشربوا خطب فيهم قائلا · (إني لم أجمعكم حول هذه الأسمطة إلا لأعلمكم طريق البر بالناس ، وأنا أعلم أنكم لستم في حاجة إلى ما أعده لكم من طعام وشراب ، ولكن وجدتكم قد أغفلتم ما أحببت أن تفهموه من واجب البر عليكم في رمضان ، ولذلك فإني امركم من الآن أن تفتحوا بيوتكم وتمدوا موائدكم وتهيئوها بأحسن ما ترغبونه

لأنفسكم فيتذوقها الفقير والمحروم) .

وأمر أن يعلق هذا القرار في كل مكان ، وتوعد كل قادر لا يؤدي واجبه نحو الفقراء ، ولا يفتح بيته لهم طوال شهر رمضان بأشد العقاب ، فامتثل الجميع لأمره ، واحتوت الناس عاطفة من الألفة والتعاون ، وقد عنيت الدولة الفاطمية عناية كبيرة بشهر رمضان ، وأحاطوه بأنواع الحفاوة والتكريم ، ففي أول يوم من أيام رمضان يرسل من دار الخلافة لجميع الأمراء وغيرهم من أرباب الرتب والخدم لكل واحد طبق ، ولكل واحد من أولاده ونسائه طبق فيه حلوى ، صرة من ذهب ، فيعم الفرح سائر أهل الدولة ، ويقال لذلك غرة رمضان .

سحور رمضان

بدأت شخصية « المسحراتي » منذ عهد الرسول الكريم ، فقد كان ابن أم مكتوم يؤذن حتى يمتنع الناس عن الطعام .

في مصر كان الوالي عتبة بن اسحق (عام ٢٣٨ هـ) يخرج من منزله في مدينة العسكر إلى جامع الفسطاط ماشيا ، وكان في طريقه يصيح مناديا على الناس بالسحور .

كانت شخصية « المسحراتي » من أجمل معالم شهر رمضان ، وكانت طائفة المسحرين تتفنن في الأناشيد والأزجال ، وتؤديها وفق مرور أيام الشهر الكريم ، وفيها وعظ وحث على الصيام والقيام والتوبة والصدقة ، بالإضافة إلى الدعوة إلى تناول السحور ، ومما كانوا يقولونه :

أيها النوام قوموا للفلاح
واذكروا الله الذي أجرى الرياح
إن جيش الليل قد ولّى وراح
وتدانى عسكر الصبح ولاح

اشربوا عجلى فقد جاء الصباح

لم يكن التسحير مقصورا على الرجال ، بل شاركت فيه النساء ، وقد وصف الشيخ زين الدين بن الوردي إحداهن بقوله :



مئذنة مسجد قديم ترتفع في الفضاء ، يسمع منها صوت المؤذن وهو يدعو إلى الصلاة في أوقاتها .

عجبت في رمضان من مسحرة
بديعة الحسن إلا أنها ابتدعت
قامت تسحرنا ليلا فقلت لها
كيف السحور وهذي الشمس قد طلعت

فانوس رمضان

لفانوس رمضان قصة طريفة ، يرجع تاريخها إلى عصر الفاطميين ، ففي يوم الثلاثاء الخامس من رمضان سنة ٣٦٢ هـ ، دخل الخليفة المعز لدين الله الفاطمي مصر قادما من المغرب ، وكان دخوله إليها ليلا عن طريق الجيزة في موكب كبير ، فخرج الأهالي لاستقباله ، واحتشدت جموعهم على الطريق من

الجيزة إلى حي الجمالية ، وفي أيديهم الشموع الكبيرة ، والمشاعل ، والفوانيس لإضاءة الطريق الذي سيمر به الخليفة إلى قصره .

ومنذ ذلك التاريخ بدأت فكرة الفوانيس ترتبط برمضان ، وكان الأطفال في ذلك العصر يحلو لهم أن يمسكوا الفوانيس لينيروا الطريق أمام أهاليهم وقت خروجهم ليلا إلى المساجد أو لزيارة الأهل والأصدقاء .

كان فانوس رمضان موضع مساجلة بين الأدباء والشعراء يتبارون في وصفه بخيال رائق ، قال علي بن ظافر الأديب المصري المتوفى سنة ٦١٣ هـ :

اجتمعنا ليلة في رمضان فجلسنا بعد انقضاء الصلاة للحديث (في جامع عمرو بالفسطاط) ، وقد أوقد فانوس للسحور ، فاقترح بعض الحاضرين على الأديب أبي الحجاج يوسف بن علي أن يضع فيه شعرا فأنشد :

ونجم من الفانوس يشرق ضوءه
ولكنه دون الكواكب لا يسري
ولم أر نجما قط قبل طلوعه
إذا غاب ينهى الصائمين عن الفطر

وقال :

هذا لواء سحور يستضاء به
ويسكر الشهب في الظلماء جرار
والصائمون جميعا يهتدون به
كأنه علم في رأسه نار

وقال مظفر الأعمى

أرى علما للناس في الصوم ينصب
على جامع ابن العاص أعلاه كوكب
وما هو في الظلماء إلا كأنه
على رمح زنجي سنان مذهب

ومن عجب أن الثريا سماؤها
مع الليل تلهي كل من يترقب
فطورا تحييه بباقة نرجس
وطورا يحيّيها بكأس تلهب
وما الليل إلا قانص لغزالة
بفانوس نارٍ نحوها يتطلب
ولم أر صيادا على البعد قبلَه
إذا قربت منه الغَزالة يهرب

أشهر حلويات رمضان

من أشهر حلويات رمضان الكنافة والقطائف .

ومن العقائد الموروثة : أن للحلوى أثرا محمودا في رد قوة الصائم إليه ، وقد بلغ من شهرة الكنافة والقطائف أن جلال الدين السيوطي جمع ما قيل فيهما في كتاب سماه « منهل اللطائف في الكنافة والقطائف » .

يذكر ابن فضل الله العمري : إن أول من اتخذها من العرب معاوية بن أبي سفيان ، وكان يأكلها في السحور ، وذلك أنه شكا إلى طبيبه الجوع - وكان معاوية من الأكلة المشهورين - فوصفها له .

وهناك رواية أخرى تقول : إن الكنافة صنعت خصيصا لسليمان بن عبدالملك الأموي ، ومما قيل في الكنافة قول أبي الحسين الجزار المصري الذي أنشد يتغزل بالكنافة بقوله :

سقى الله أكناف الكنافة بالقطر
وجاد عليها سكر دائم الدر
وتبا لأوقات المخلل إنها
تمر بلا نفع وتحسب من عمري

والمراد بالقطر هنا :ما تسقى به الكنافة من العسل وذوب السكر ويقول شهاب الدين الهائم :

اليك إشتياقي يا كنافة زائد
ومالي غناء عنك كلا ولا صبر
فلا زلت أكلي كل يوم وليلة
ولا زال منهلا بجرعاتك القطر

وفي القطائف يقول أبو هلال العسكري :

كثيفة الحشو ولكنها
رقيقة الجلد هوائية
رشت بماء الورد اعكافها
منشورة الطي ومطوية
جاءت من السكر فضية
وهي لدى الأذهان تبرية

وقال سيف الدين بن قزل المشد في وصف القطائف :

وقطائف مثل البدور ... أتت
لنا من غير وعد
قد أسقيت قطر النبا
ت وطيبت بالماء ورد
فحسبتها لما بدت
في صحنها أقراص شهد

وقال سعد الدين بن عربي :

وقطائف مقرونة بكنافة
من فوقهن السكر المذرور
هاتيك تطربني بنظم رائق
ويروقني من هذه المنشور

عيد الفطر

عيد الفطر هو أحد العيدين العظميين في الإسلام ، ويعد من المواسم الشعرية المرموقة ، وقد أنتج لنا أدبا وشعرا رائعا .

يقول البحتري يهنيء المتوكل العباسي بصومه المبرور وعيده الأغر ، ويصف فيها خروجه للصلاة يحف به جيشه الجرار .

بالبر صمت وأنت أفضل صائم
وبسنة الله الرضية تفطر
فانعم بعيد الفطر عيدا إنه
يوم أغر من الزمان مشهّر

ويقول الأمير تميم من قصيدة يهنيء أباه الخليفة المعز لدين الله الفاطمي :

أهنيك بالعيد الذي أنت عيده
ونورسنا إقباله حين يطلع
إذا ما تأملت الزمان وجدته
بكفيك يعطي من يشاء ويمنع

كعك العيد

بدأ الشعب في مصر تقاليد صنع كعك العيد في عصر الدولة الفاطمية . ويقال ان الدولة الاخشيدية سبقت الدولة الفاطمية في العناية بكعك العيد، ويؤثر عن أبي بكر محمد بن علي المادرائي وزير الدولة الاخشيدية أنه عمل كعكا حشاه بالدنانير الذهبية ، أطلقوا عليه وقتئذ إسم (افطن له) ، وعناية الفاطميين بالمائدة ، وعمل الكعك ، جعلا لمطبخهم وطباخيهم شهرة ، وقد بقيت من طباخيهم بقية عملت في القصور الأيوبية ، ومنهم طباخة كانت تعمل كعكا شهيا عرف بها « كعك حافظة » .

استمرت مصر معنية بعمل الكعك وتوزيعه على الفقراء حتى لا يحرموا منه ، وتنص الوقفيات على توزيعه في عيد الفطر على الفقراء واليتامى ، ومنها وقفية الأميرة « تتر » الحجازية التي تنص على توزيع الكعك الناعم والخشن على موظفي مدرستها التي أنشأتها سنة ٧٤٨ هـ ، ولرواج هذا النوع من الحلوى اهتم به تجار الحلوى ، وكانت أسواقه رائجة



ـ عجينة الكنافة يكثر الطلب عليها في رمضان ، وهي شائعة في معظم أقطار الوطن العربي

في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، وكانت تروق رؤية الكعك بأنواعه في عيد الفطر لكثرة ما يعرض منه في حوانيتهم .

وكان للفن دخل في صناعته ، فعملت له القوالب المنقوشة والمكتوبة ومنها مجموعة في متحف الفن الإسلامي في مصر مكتوب على بعضها : « كل هنيا » ، « كل واشكر ، كل واشكر مولاك » « بالشكر تدوم النعم » .

ومن الأبيات التي قيلت في كعك العيد ما كان على لسان الشاعر المصري الجمال أبو الحسن الجزار المتوفي عام ٦٧٩ هـ/ الموافق ١٢٨٠ م كتبها إلى الأمير جمال الدين بن يغمود يقول فيها :

أيهذا الأمير قد أشكل المعنى
وما زلت عارفا بالمعاني
ظاهر البستندود لم أدر ماذا
فيه حملا وباطن الخشكنان

ومن السنة في عيد الفطر ، التوسعة فيه على الأهل بأي شيء من المأكول . وينبغي على كل مسلم أن يتهج ، وأن يبهج من حوله في هذه الأيام المباركة . □

الامتياز في النجاح

● قيل للأديب العربي المعروف مصطفى صادق الرافعي هل تكره الموت ؟ فقال : لا ، بل أكره ذنوبي ، أما الموت فهو اكتشاف العالم الأكبر . وقيل له ما هي وصيتك إذا حضرتك الوفاة ؟ فقال :

تكرار المبدأ الذي وضعته لأولادي : النجاح لا ينقصنا ، بل ينقصنا الامتياز في النجاح .

قراءة نقديّة في كتاب:

رسالة في الطريق إلى ثقافتنا

للاستاذ محمود محمد شاكر

بقلم : الدكتور سعد مصلوح*

« رسالة في الطريق الى ثقافتنا » هو آخر كتاب أصدره العلامة الكبير الاستاذ محمود شاكر ، وقد أودعه خلاصة رأيه في عديد من القضايا الاساسية المتصلة بمسيرة ثقافتنا العربية الحديثة ، « الاخطار التي أحدقت بها وحرفتها عن الطريق الذي كان ينبغي أن تسير فيه لتواصل نموها الخاص والأصيل »

في المقال التالي يناقش الدكتور سعد مصلوح هذا الكتاب المهم ، ولعل أهمية هذه المناقشة أنها تصدر عن واحد ممن يعرفون للاستاذ الكبير محمود شاكر قدره ، ويعتبر نفسه واحدا ممن خرجوا من عباءته ، لكنه مع ذلك يختلف مع استاذه اختلافا نرجو أن يكون في ابرازه خدمة للقارىء وللثقافة وللحقيقة التي نتطلع اليها جميعا .

إن تعجب فعجب أن يحول الحول أو يزيد ، على هذه الرسالة الجليلة الخطر ـ منذ ظهورها لاول مرة ـ دون أن تلقى ما هي حقيقة به من العناية الواجبة على كل مهتم بأمر الثقافة العربية ، مع توافر الدواعي الموجبة للحوار حولها ، ذلك أنها رسالة تستمد أهميتها وخطرها من جهات عدة ، من مؤلفها ، ومن موضوعها ، ومن غايتها .

فأما مؤلفها فحسبك أن تسميه ولا تزيد ، وأما موضوعها فهو ثقافة الأمة التي اليها نتتسب ، وتاريخها العقلي الضارب بأعراقه في أطباق الزمن ، وأما مادتها فقد جلت عن أن تكون صحفا مجردة ، وأوراقا مرقومة ، يجمعها جامعها كيفما اتفق ، ويصنفها نحوا من التصنيف ، ويقول فيه بما تؤديه إليه النظرة العجلى أو المتأنية . كلا ، فالرسالة هي فوق ـ ذلك رحلة عمر ، وتجربة حياة ، وهذا نوع من التأليف نادر جدا ، وخطير جدا . وأما عن غايتها فقد أرادها مؤلفها بيانا من ناصح أمين لما يراه من فساد وبيل ، أخذ علينا حياتنا الادبية من أقطارها ، واستظهارا للعلل الخبيثة المنتجة لهذا الفساد في محاولة دءوب لاستنقاذ امة يراها هو وقد جرى تفريغها الثقافي على يد المستشرقين والمستعمرين من أبناء الثقافة الغربية الحاقدة على الاسلام وأهله ، وعلى يد المقهورين الحاطبين في حبالهم من ابناء هذه الامة على تعاقب الاجيال .

---

* استاذ بكلية دار العلوم (سابقا) ـ استاد مشارك بكلية التربية الأساسية بالكويت (حاليا) .

ويستبين مما سلف موقفه الرافض للثقافة الاوروبية رفضا قاطعا حاسما ، يعالن به صاحبه الناس في غير جمجمة ولا التواء في هذه الرسالة ، بل في مواطن أخرى كثيرة مما كتب ، بل في كل ما كتب .

ملامح أساسية :

٢ـ لكي نكون على ذكر من فحوى الرسالة ، رأيت أن أبدأ بعرض لابرز المعالم التي تشكل قسماتها باختصار . وهذا العرض الموجز أمر واجب إذ به تتحقق غايتان ، أولاهما تيسير الرسالة لمن لم يقرأها ، وتعريفه بما لها من جلال وخطر ، واخراهما أن يكون مدخلا لطرح طائفة من الملاحظات احببت أن يطلع الناس عليها ، عسى أن أسهم بقولي هذا في اختراق الصمت الذي أراه مطبقا عليها ، كما أطبق من قبل أربعين سنة على منهج الشيخ الجليل في كتابه عن المتنبي . وقد التمست معالم الرسالة فوجدتها بحسب ما هداني اليه اجتهادي هي : (١) حد الثقافة (٢) مراحل الصراع بين المسيحية الأوروبية والاسلام (٣) تقويم الاستشراق (٤) النهضة الاسلامية (٥) تقويم الحملة الفرنسية وحكم محمد علي في مصر (٦) فساد الحياة الادبية ومظاهره .

مقومات الثقافة

لقد ساق صاحب الرسالة تعريفا للثقافة تغيا فيه تحقيق الامور الآتية : (١) اثبات السلطان المطلق للدين على ثقافة أهله . (٢) اثبات أن الدين هو المحرك الفاعل في الصراع بين الامم والثقافة المتباينة ، بل هو الفاعل في حركة التاريخ البشري كله (٣) اثبات التداخل غير القابل للفصل بين الدين واللغة في كل ثقافة (٤) تزييف القول بوجود « ثقافة عالمية » يشترك فيها جميع البشر ويمتزجون على اختلاف لغاتهم ومللهم ونحلهم وأجناسهم وأوطانهم (٥) وجوب التمييز بين « الثقافة » و « العلم » أي « العلوم البحتة » ، إذ الاولى متعددة بتعدد الملل والنحل والثاني ميراث مشاع بين خلق الله جميعا .

وإعمالا للمفهوم السالف بيانه في رصد مراحل الصراع بين المسيحية الأوروبية ودار الاسلام يتتبع المؤلف حلقات الصراع منذ المرحلة التي بدأت بهزيمة المسيحية في أرض الشام ، إثر الفتوح الاسلامية الأولى ، الى المرحلة التي أعقبت سقوط القسطنطينية في يد المسلمين . وتميزت بالتخطيط الدقيق لغزو دار الاسلام ، واستبدال سلاح العقل والعلم ثم المكر والدهاء بالمواجهة العسكرية المباشرة في ميادين القتال . وقد انتجت هذه المرحلة الأخيرة حاجة ملحة الى معرفة اللسان العربي وحيازة علوم المسلمين وبذلك ظهر في ميدان الصراع ثلاثة اصناف من الرجال هم : المستشرقون والمستعمرون والمبشرون وهذه ثلاثة عند المؤلف « اخوة أعيان لاب واحدوأم واحدة » لا ينبغي لاحد أن يفرق بينهم . بهذا يضع المؤلف نشأة الاستشراق في سياقها التاريخي من مراحل الصراع . ويمهد الطريق للابانة عن تقويمه للاستشراق منذ نشأته الأولى الى أن تحققت له ـ في رأيه ـ سيطرة فاعلة على التعليم والثقافة في بلاد الاسلام .



ويصل المؤلف الى أن عوامل النشأة والثقافة واللغة والدين والاهواء كلها أسوار مضروبة بين المستشرق والفهم النزيه للثقافة العربية الاسلامية ، ومن ثم ينفي عن جميع ما كتبه المستشرقون صفة « العلمية » كما ينفي عنهم صفة الاهلية . ويقرر أن المخاطب بكتبهم ودراساتهم هو المثقف الأوروبي لاغير ، وأن غايتهم هي الحيلولة بينه وبين فهم الاسلام على وجهه الصحيح . ويرى أن المستشرق بذلك غير مذموم فعله لانه خدم به دينه وثقافته وأهله أما الحقيق بالمذمة فهم توابعه من المنتسبين الى العروبة والاسلام .

بداية أم نهاية

والمؤلف ينفي نفيا قاطعا أن تكون الحملة الفرنسية على مصر هي بداية التاريخ للنهضة الحديثة ، على ما هو شائع لدى جمهرة الباحثين ، بل هي البداية الحقيقية لنكبة مصر ودار الاسلام ، ويأبى ثانيا أن يخلع على محمد على « صفة المؤسس لمصر الحديثة » ولا يرى في « رفاعة الطهطاوي » زعيما من زعماء التنوير والتحديث . وهو يرى أن النهضة ولدت اسلامية عربية خالصة حين بدأ احساس بالخطر المحدق يداخل عددا من اعلام الثقافة ، فانبعثوا يحاولون اصلاح الخلل في « اللغة » وفي علوم الدين و « العقيدة » و « علوم الحضارة » ويجعل على رأسها خمسة من الرجال « عبد القادر البغدادي » و « الجبرتي الكبير » و « محمد بن عبد الوهاب » « والمرتضى الزبيدي » و « الشوكاني » . ويرجع بهذه النهضة الى ما بين القرن السابع عشر الميلادي وأوائل القرن التاسع عشر ، فهي عنده نهضة معاصرة للنهضة الأوروبية وكانت توشك أن تؤتي ثمارها . ومن ثم كانت الغاية من الحملة الفرنسية هي وأد اليقظة في مهدها فكان تدمير القاهرة ، ونهب المخطوطات والقضاء على المماليك[٣] أكبر قوة مقاتلة فى دار الاسلام بعد قوة دار الخلافة ، كان ذلك على يد بونابرت . أما « محمد علي » فعلى يده وئدت النهضة الداعية الى صفاء العقيدة في جزيرة العرب ، وشقت دار الخلافة ، وعزل الأزهر وشيوخه عن قيادة الأمة ، وبرزت فكرة البعثات العلمية التي هي ـ عنده ـ رجس من عمل شياطين الاستشراق والاستعمار وكان « رفاعة الطهطاوي » منفذ سياستهم ، وحامل وزرها بانشائه « مدرسة الالسن » واحداثه صدعا مبينا في ثقافة الأمة ، بقسمتها الى شطرين متباينين ثم جاء الاستشراق الانجليزي ليرث دور الاستشراق الفرنسي ، ويرسم رمزه « دنلوب » لمصر سياسة تعليمية وضع بها أسس التفريغ الثقافي الكامل لجيل طلاب المدارس من تاريخهم كله . وبذلك انتهى الامر الى ما نحن عليه الآن من فساد وبيل في الحياة الادبية من كل وجه في المنهج الادبي ، والنتاج المسرحي والقصصي . وأصبح السطو في رأي المؤلف سنة متبعة سن تقاليدها شيوخ كبار ، وشاعت الثرثرة والاستخفاف والقضايا الهزلية كقضايا الموقف من الغرب « والأصالة والمعاصرة » « والثقافة العالمية » فكان كل ذلك مسوغات للقطيعة التي أرادها بينه وبين الثقافة الأوروبية ، ولرفضها رفضا حاسما قاطعا لاجلجلة فيه ولا التواء .

أما وقد عرضنا منهج الشيخ الجليل ، وأبنا عن رحلته الناصبة وراء هذا المنهج ، فقد صار لزاما أن نتأمل ونحاور ونناقش ، ولا بأس على المناقش إن شاء الله ، إن هو جاوز الصواب أو جاوزه الصواب وهو أمر وارد على كل حال ، ما دام الحق بغيته ، واخلاص النية في الفهم عن شيوخه هجيراه . ومن زكاة العلم الواجبة على شيوخه الذين أحكمتهم التجربة ، وصهرتهم المحن أن يأخذوا بيد المتفقه في السبل المخوفة فاني رأيت أكثر هذا الناس وكأنه المعنى بقول الشاعر القديم :

صعدة نابتة في حائر
أينما الريح تميّلها تمل

المنهج وما قبل المنهج

أبان المؤلف في أكثر من موضع في هذه الرسالة وغيرها عن تصوره للمنهج العلمي ، أو ما يؤثر تسميته « ما قبل المنهج » وهو بعبارة المؤلف « ينقسم

الى شطرين :

شطر في تناول المادة ، وشطر في معالجة التطبيق » (٣٤) ويقوم الشطر الاول على جمع المادة على وجه الاستيعاب المتيسر ، ثم التصنيف والتمحيص ثم التحليل الدقيق لتمييز صحيحها من زائفها . أما شطر التطبيق فيقتضي إعادة ترتيب المادة ، واستبعاد كل احتمال للخطأ . ووضع الحقائق في مواضعها الحقة . ويزيد المؤلف هنا أن شطر التطبيق هو الميدان الفسيح للخلاف العلمي ، واصطراع العقول والحجج ونشأة ما يسمى « المناهج » و « المذاهب » .

وهنا ترد أمور جديرة في ظني بالتنويه : أولها أن هذا المنهج لاخلاف على صدقه وحجيته ، وهو أكثر شيء صلاحية للبحث التاريخي ، ونقد النصوص ، ولكنه لايستثني مناهج أخرى ، ولا يسد مسدها فلدينا المناهج الوصفية والتجريبية والفلسفية والمقارنة والتنبئية والاحصائية . وكلها ممكن وقوعه في مجال درس الثقافة وعلوم الانسان . كذلك تتجاوز القضية اطار منهج بعينه لمسألة بعينها في علم بعينه الى دائرة أوسع تتصل بتصنيف المناهج ووسائل البحث ، والتماس الأسس المعرفية لاختلافها ، ومشكل العلاقات بين العلوم ، ومشكل العلاقة بين العلوم ومجالات المعرفة مع اختلافها ، وبحث المسائل التي تستوجب تضافر أكثر من علم أو منهج لدراستها ، ويشكل هذا كله كيانا لعلم قائم برأسه هو علم المناهج وثانيها أن الخلاف العلمي في البحث التاريخي ونقد النصوص قد يقع في شطر المادة كما يقع في شطر التطبيق ، إذ أن جمع المادة لايستوي فيه جميع البشر ، بله التصنيف والتمحيص والتحليل .

ويرجع التفاوت إما لاختلاف القدرة وإما لتفاوت الامكان المتاح ، وإما لاختلاف وجهات النظر حول حجية المصادر ودرجة الثقة بها أو اختلاف مراتب الادلة . وقد يكون مرد الخلاف الى تباين الاصول المنهجية أو المذاهب» وهو ما جعله المؤلف واقعا في شطر التطبيق . يلزم هنا الدور والتسلسل . وثالثها : أن هذا المنهج اذا اعمل على وجهه في كثير من القضايا التي أثيرت في الرسالة بأن جمعت المادة على وجه الاستيعاب المتيسر فان عمود الصورة الحادثة يوشك أن يختلف اختلافا كبيرا عن الوجه الذي وردت به فيها . وما أظن المقام متسعا لكلام شديد التحصيل والتفصيل في جميع ما طرح من قضايا بيد أني ساحاول الابانة عن نفسي بقدر ما يسمح المقام .

نظرة أحادية

يبدو لي أن رجع جميع أشكال الصراع بين الامم والثقافات الى عامل واحد يراد له أن يكون سبب الاسباب هو أمر قبوله من أصعب الصعب يستوي في ذلك أن يكون العامل هو الدين أو القومية أو الاقتصاد أو ما شئت من عوامل . هذه النظرة الاحادية في تفسير حركة التاريخ تواجه القائلين بها ، بمصاعب أحسب أن تجاوزها ليس باليسير . ذلك أن فيها تبسيطا شديدا لعالم معقد تتصادم فيه المصالح والعقائد والاهواء والانتماءات . وقد يكون عامل من هذه العوامل أكثر ظهورا للعيان في مرحلة بعينها ، وقد يراد له أن يكون قناعا ساترا لعوامل أخرى أشد منه خطرا وأعلى شأنا ، لكن ذلك ما ينبغي له أن يحجب عنا أن حقيقة الصراع معقدة ، وخيوطه مشتبكة ألفاف . وجمع المادة على وجه الاستيعاب المتيسر ، واعتبار مالم يكن منهاموضع اعتبار عند النظر في القضية ، يقودنا الى هذه النتيجة لامحالة وأحسب أن هذا هو موطن الخلاف الذي يدفعنا الى ايراد عدد من الاسئلة على الرؤية المطروحة في الرسالة .

يرد المؤلف أسباب النهضة الأوروبية الى صراع « الغضب المشتعل بعد فتح القسطنطينية » ويرى أن صراع الغضب المشتعل بلهيب البغضاء والحقد هو وحده الذي صنع لأوروبا كل شيء الى يومنا هذا (٦٨) والذي لاشك فيه أن الدين كان حاضرا في ميدان الصراع ، أما رد النهضة الى الصراع الاسلامي المسيحي وحده فيوجب أن تكون النهضة العلمية قد تمت في كنف الكنيسة وبهدي من تعاليمها، وبتنظيم وتنسيق منها ، أو أن تكون رموزه من ذوي النزعة الدينية العميقة ، أو هو يوجب على أقل تقدير

أن لا تقف الكنيسة موقف المعارضة والتقييد والقمع من كل مكتشف أو مخترع أو ذي فكر حر اذا لم يكن موقفها هو التعزيز والنصر . غير أن حقائق التاريخ تؤكد أن الكنيسة لم تكن في أفضل أحوالها إبان عصر النهضة ، وأن الانقسامات الدينية في معسكر المسيحية كانت آنذاك من أبرز ملامح العصر ظهورا . وكان الصراع مشبوباً بين الكاثوليكية والبروتستانتية ، وبين الارثوذكسية والاترودكسية وبين المتدينين في مجموعهم والاتجاهات العقلانية وأديان الطبيعة التي تثبت وجود الله وتنفي الوحي وغير ذلك من البدع

واندلعت حرب دينية في فرنسا دامت ثلاثين عاما ، (١٥٦٢ـ١٥٩٣) أهلكت الحرث والنسل ، ويزيد الأمر تعقيدا صراع الكنيسة مع العلم حين تورطت السلطة الكهنوتية ـ وعلى رأسها البابا نفسه ـ في تبني آراء تعارض صحيح العلم والثابت بالتجربة ، فكان اضطهاد العلماء ولم يتخلص كوبرنيكوس من قبضة الكنيسة الا بالموت ، وأحرق جوردانو برونو وسجن جاليليو ، وحمل على إنكار ما ثبت لديه من حقائق العلم . وحاصل القول أن المسيحية والكنيسة كانتا في محنة حقيقية مع عصر النهضة . وان علماء النهضة تحيزوا الى جانب النور القادم لهم من أرض الاسلام على حساب المسيحية والكنيسة وعلى غير رغبة منها .

وطردا للنظرة الأحادية في تفسير الصراع ، يرى المؤلف أن « الدين » « واللغة » هما أبلغ العوامل في تشكيل كينونة الانسان منذ النشأة الاولى وانهما متداخلان في كل ثقافة تداخلا غير قابل للفصل ، وشطر القضية الأولى لااعتراض عليه ، أما التداخل غير القابل للفصل بينهما فلا يصدق الا على الثقافة العربية الاسلامية ، ولكنه بالنسبة للمسيحية ليس كذلك بيقين ، فالقوم لاينسبون اعجازا لغويا لكتبهم المقدسة ، ولا يرون مذمة ولا نقيصة في ترجمتها من لغة الى لغة . بل ان هذه الترجمة كانت عند مصلحيهم وسيلة لكسر احتكار رجال الكهنوت فهم أسرار الدين ، ولرفع الوساطة بين الرعية والعقيدة ، فهي عندهم اذن ضرب من العبادة . أما العربية والاسلام فكانت وثاقة العروة بينهما مفاجأة لاهل الاستشراق . ولم تصح لهم ولا لغيرهم محاولة لنقيضها .

الحملة الفرنسية على مصر

وتقويم الحملة الفرنسية على مصر شاهد آخر على أن احادية التفسير للصراع لايمكن أن تقبل على علاتها . ذلك أن هذه الحملة لم تكن واحدة الغزوات في حياة نابليون . لقد دوخ بونابرت أكثر ممالك أوروبا وانساحت جيوشه فيها .

ولم يكن عنف اجتياحه للنمسا وايطاليا بأقل من عنف اجتياحه لمصر . ولم تمنعه مسيحيته من أن يفتك بجيش البابا في « أنكونا » وأن يبتلي البابا بالنفي والسجن ، ويصادر أملاكه كلها ويضمها الى النظام الاداري الفرنسي ، فما الذي يمنعه اذن أن يفعل بالقاهرة وبالازهر وبطلاب العلم فيه ما فعل ؟ وهذا هو فيشر في كتابه « تاريخ أوروبا في العصر الحديث » يقول : « إن نابليون لم يكن رحيما متلطفا في معاملة أبناء وطنه الايطاليين ، فقد نهب متاحفهم وأروقة قصورهم وانتزع من جيوبهم آخر فلس بضرائبه الباهظة ومطالبه العسكرية ، وقمع بقسوة بالغة أقل مقاومة لسلطانه » يضاف الى هذا أن الثورة الفرنسية التي انجبته لم تكن على وفاق مع الكنيسة ، بل عادتها ، وصادرت أملاكها ، وجعلت انتخاب رجال الكهنوت من الامور المدنية ، وحظرت على رعيتها الاعتراف بأي سلطان كنسي خارج فرنسا ، وتدلنا حوادث التاريخ على أن حكومة الادارة الفرنسية كانت قد دعت نابليون الى غزو انجلترا نفسها ،لكنه عدل عن ذلك الى غزو مصر حين اتجه وهو بايطاليا بأنظاره الى الشرق كما فعل الاسكندر الاكبر . وكانت مصر والمصريون وبلاد وشعوب أخرى كثيرة ثقال الرحى ولهوتها لصراع يدور بين قطبي المد الاستعماري آنذاك . ويستبين من ذلك أن نابليون لم يكن رسول الكنيسة والصليبيين الى مصر بالاصالة ولكنه الصراع الدنيوي الجشع وأحلام التسلط والغزو ، وغطرسة المستعمروغروره .

وقل مثل ذلك في حروب « محمد علي » وقمعه للصحوة الاسلامية في جزيرة العرب ، إذ يذكر الاستاذ الجليل مماطلته تركيا حين دعته لقمعها واستجابته لسلطان القناصل ، ولكنه يمر مرور الكرام بحروبه في المورة وقمعه لحركة التمرد المسيحي في البلقان ضد دار الخلافة . ترى هل صادفت هذه الحرب هوى من الكنيسة والمستشرقين والقناصل ؟ . ولماذا تقع الملامة في حروب الجزيرة على أم رأس محمد علي ، ولا تنال دار الخلافة حامية الاسلام والمسلمين ؟ . إن مفتاح القضية كلها هو الاطماع السياسية . ورغبة محمد علي بوراثة حلم نابليون الغابر ، فلقد كان الرجل صادقا مع أطماعه ، بل إنه لم يتورع في سبيلها عن محاربة دار الخلافة نفسها حين اجتاحت جيوش ابنه ابراهيم الشام وآسيا الصغرى .

أما الصراع بين نابليون ـ ومن بعده محمد علي ـ وبين المماليك فلنقرر مطمئنين أن أي مذمة تشيل بها كفة الرجلين ليست بالضرورة محمدة يثقل بها ميزان المماليك ، وأن الحملة الفرنسية وحكم محمد علي بالنسبة لمصر لم يكن شرا محضا . وما شأنها في ذلك الا كشأن الحروب الصليبية بالنسبة لأوروبا على نحو ما يقرره الشيخ الجليل (٦١، ٦٢) فالصدام كان أمرا لا مفر منه . ولم تكن لدار الاسلام حيلة في دفعه . وكانَ « التحديث » « والابتعاث » « وانشاء مدرسة » الالسن وسائل في المواجهة لم يكن ثمة غنى عنها . وهي وسائل إلا تكن خيرا محضا فليس من الانصاف أن نعدها شرا محضا أصاب « الثقافة المتكاملة » في مقتل . اذ ما الثقافة المتكاملة ؟ وما هي خصائصها عند المؤلف ؟

الثقافة المتكاملة

إن مفهوم « الثقافة المتكاملة » هو عندي معضلة من معضلات الرسالة إذ يتردد وصفا ملازما للثقافة العربية في أطوارها المختلفة الى أن انتهت الى ما يسميه المؤلف « عصر النهضة الاسلامية » . والذي نعلمه علما ليس بالظن أن هذه الثقافة المتكاملة ، وان تكن عربية النشأة على أرجح الاقوال لم تكن خالصة العروبة فيما تلا ذلك من أطوار . بل إنها نتيجة مباشرة لحوار علمي حضاري بينها وبين ثقافات الأمم السالفة . وهكذا يلقننا أسلافنا درسا ما أحوجنا الى استيعابه في هذا الزمان ، فهم لم يضعوا أصابعهم في آذانهم ، بل أفادوا من غيرهم لثقافتهم ما طوروا به أعرق العلوم العربية والاسلامية كالنحو والنقد والبلاغة وأصول الفقه وعلم الكلام ، بله الفلسفة والطب والرياضيات والبصريات وغيرها من العلوم الحادثة . وكان لهم من دينهم وثقافتهم ضابط يحدد للعقل المسلم المتطلع للمعرفة ما يأخذ وما يدع ، وحاولوا التوفيق بين العقل والنقل ، وبين الشريعة والحكمة . وهذه هي سنة الله في التطور ، فلا نعرف ثقافة تطورت وتجددت من داخلها فحسب دون أن تتلاقح افكارها وعلومها مع الافكار والعلوم الناشئة في ثقافات غيرها .

ونعم صدق المؤلف حين نفى إمكان وجود « ثقافة عالمية » يشترك فيها البشر كافة ، ولكنه من الصحيح أيضا أنه لاوجود لثقافة منطوية منعزلة عن سائر ما يعج به العالم من ثقافات . والمؤلف إذ يقرر محقا إمكان التحاور والتناظر والمناقشة بين الثقافات المتباينة (١١٢) وضرورة أن يكون التجديد « حركة دائبة في داخل ثقافة متكاملة » (٢٣٧) إنما يقرر حقيقة تشفي النفس وتبرىء السقام ولكن هذه النظرة المتسامحة تئول الى نهاية غير متوقعة حين يثبت للمستشرق حقه في أن يكون مستفيدا مناقشا ، وينكر عليه أن يكون دارسا (١١٤) ولا أدري كيف تكون استفادة ومناقشة من غير بحث ودراسة ، واذا كان ذلك لايكون وكان الخطأ واردا على اجتهادات البشر ، فليس، ثمة ما يدعو الى الخوف والفزع إلا إذا افتقدنا الثقة بما في أيدينا ، وكان تراثنا في أعيننا هشيما تذروه الرياح . ولماذا نفترض دائما أن اقامة جسور الاتصال بين ثقافتنا وغيرها من الثقافات تهديد لها ؟ ولماذا يتلعب بها الغرباء الحاقدون على الاسلام ؟ هل لي أن أطمئن الاستاذ الجليل فأقول : إني لاعرف قوما يخطئهم الحصر قد زادهم الاطلاع على ثقافة الغرب ايمانا مع ايمانهم بقيمة ما لديهم ،

وجلى لهم جوانب العظمة في العقلية العربية المسلمة في أجلى صورها ؟

حوار الثقافات

ولعل من أظهر قسمات الرسالة تضييق المؤلف لمجال العلاقة بين الثقافة العربية وثقافة الغرب المعاصرة حتى حصرها في قضية الاستشراق والمستشرقين . ومن ثم وصل نسبها بقضية الاستعمار والتبشير ، ثم انه استصحب مرارة تجربته الأولى مع قصية الشعر الجاهلي ليصل بها في النهاية الى تعميم لامسوغ له باعتبار قضية « الأصالة والمعاصرة » تشدقا بالاوهام وتغريرا بالعقول . ومجال العلاقة بين الثقافتين عندي وعند كثيرين أرحب وأعقد من أن تحصر بين أسوار الاستشراق . إذ هي تتناول سائر ما انتجه الفكر الغربي من نتاج في ميادين الدراسات النفسية والاجتماعية والانسانية والادبية والعلوم البحتة . ولا أحسب أن الفصل الحاسم الذي أراده المؤلف بين « الثقافة » والعلم يمكن أن يثبت في هذا المجال فالعقلية المبدعة كل مركب . وجسم متناسق التركيب ، معقد العلاقات متعددة الوظائف . وهذا كله هو موضوع الحوار الذكي بين الثقافات المتباينة لذلك كان حصر القضية في مجال الاستشراق وحده تخصيصا بلا مسوغ ، كما أن استصحاب تجربة الشعر الجاهلي تعميم بلا مسوغ . ولقد أرجعت هذه التجربة المريرة صاحبها الى نوع من المجاهدة يشبه المجاهدات الصوفية ، وولدت لديه منهجا شديد الخصوصية والتفرد على نحو يصعب معه تحويله الى منهج عام يحكم خطط التعليم والبحث العلمي في مدارسنا وجامعاتنا . حتى أنني كدت لفرط حيرتي بازائه أن أناشد الاستاذ الجليل ابراء لذمته أمام دينه وأمته ، أن يخرج للناس كتابا يصوغ لهم فيه تصورا محددا قابلا لان يستبدل به ذلك النظام الذي صنع ـ في رأيه ـ على عين المستعمرين والمستشرقين والذي يقول عنه « اننا لانزال نسير عليه مع الأسف الى يومنا هذا » .

إن الذي أراه هو أن اتساع دائرة الابتعاث ووفرة المجيدين للغات الغرب والمطلعين على ثقافته غير كثيرا من مظاهر الفساد التي لحظها المؤلف في بداية تجربته فلا « السطو » أصبح متاحا مهما استخفى به صاحبه وبالغ في تمويهه ، ولا الدعوة الى التبعية وانسلاخ الامة من كينونتها تجد سميعا مطيعا ، ولم يعد لاحد مستشرقا كان أو غير مستشرق ـ قول في مسألة يمكن أن يتلقى بالتسليم والاذعان الخاشع ، ولم تعد ثقافة الغرب هولة يخافها الناس وتنخلع لها القلوب . نعم إنها واقع نعيشه ويفرض نفسه في عالم اليوم ، ولا يحل مشكلنا معها أن ننظر اليها على أنها « سامرية » يقال في شأنها « لامساس » فالرفض أو القبول أو التعديل في أي فرع عن تصوره ولايمكن أن تكون صيغة العلاقات الدولية المعقدة في زماننا هي الصيغة نفسها التي حكمت الدنيا في عصر الحروب الصليبية أو الحملة الفرنسية .

نعم ان قضية المواجهة بين ثقافتنا وثقافة الغرب حق وليست من أوهام الخيال . وثقافتنا مطالبة بتجديد نفسها ، وبمواجهة عاقلة رصينة لمتغيرات كثيرة لم تكن من قبل ، وبدفاع رشيد عن كينونتها وشخصيتها المتميزة ، وبدور فاعل في تشكيل الحضارة الانسانية المعاصرة ، ولكن صلاح آخر هذا الامر لايكون الا كما صلح به أوله . ألا هو الحوار الذكي والانفتاح المنضبط على ثقافات البشر ، من موقع الثقة بالنفس ، والوعي بالخصوصية وتحديد المعيار الضابط لما نأخذ وما ندع ، وبالتمثل الصحيح لاي زاد ثقافي غريب حتى يستحيل في جسد الأمة ذكاء ونماء وعنفوانا . وأحسب أن هذا هو الدرس الذي لقننا اياه أسلافنا العظام ليجعلوه لنا تذكرة ، وتعيه أذن واعية . □

● ثمن الحرية والكرامة فادح ، ولكن الاستكانة للذل والاستعباد أشد فداحة .

(حكيم عربي)

للمناقشة

بقلم : فهمي هويدي

التعددية السياسية وشبح الفتنة

امتنعت إحدى المجلات الاسلامية عن نشر مقال لواحد من أئمة الدعوة الاسلامية في زماننا هو الشيخ محمد الغزالي ، إذ كان موضوع المقال يمس نقطة حساسة مضطربة في فهم بعض الحركات الاسلامية المعاصرة ، وهي التعددية الحزبية . ولسنا نرى غضاضة في أن تختلف مساحة الرأي إزاء قضية ممارسة الحرية السياسية في الواقع الاسلامي . ولا تثريب على من دعا إلى فكرة الحزب الواحد ، أو استحسن أن يكتفي بحزبين اثنين ، تضييقا لشقة الخلاف واحتمالاته ، أو من دعا إلى فتح الأبواب لتعدد الأحزاب . إنما أكثر ما يعنينا في المسألة أمور ثلاثة ، أولها أن يظل الحرص قائما على ضرورة الدفاع عن قيمة الحرية ، باعتبارها دعامة أساسية من دعائم المجتمع الاسلامي ، وكل مجتمع إنساني . وثانيها ألا يصر دعاة هذه الصيغة أو تلك على أن الموقف الذي يتبنونه هو رأي الاسلام ، وما دونه خارج عنه .

آخرها أن يتواصل الحوار بين الأطراف المختلفة ، حتى يتبلور التصور الصحيح للمسألة ، فيخدم مقاصد الشارع ، ويحقق مصالح الناس .

لا نريد أن تستغرقنا تفاصيل واقعة حجب نشر مقال الشيخ الغزالي ، لكن دلالة الواقعة ينبغي أن تستوقفنا كذلك . أحسب أنه يعنينا إلى حد كبير أن نحاول استجلاء الحقيقة في مسألة موقف التصور الاسلامي من التعددية الحزبية ، أو بوضوح أكثر موقع الآخر « السياسي » في المجتمع الاسلامي .

الموقف من التعددية الحزبية

فنحن إذا رجعنا إلى أدبيات التيارات الاسلامية المعاصرة ، فإننا نلمس بوضوح مدى التذبذب في موقف تلك التيارات من قضية التعددية الحزبية . وفي مقال سابق (الشهر الماضي) تحدثنا عن مصطلح « حزب الله » الذي يستخدمه البعض في مجال العمل السياسي ، وهو ينصرف أصلا إلى جماعة المسلمين على عمومهم ، وليس إلى جماعة بعينها بينهم ، بحيث تصادر فكرة التعددية السياسية ، ولا يبقى في الساحة إلا قوة سياسية واحدة ، هي تلك التي تحتمي بلافتة « حزب الله » . ذكرنا أيضا أن إقحام ذلك المصطلح في مجال العمل السياسي برز في العقدين الأخيرين ، واستقر في قاموس الخطاب الذي تعتمده بعض فصائل العمل الاسلامي الشبابي (جماعة الجهاد في مصر مثلا). على صعيد آخر نجد اعتراضا مبكراً على التعددية السياسية في الفكر التقليدي لجماعة الاخوان المسلمين . سجل ذلك الاستاذ حسن البنا ـ مؤسس الجماعة ـ عندما ذكر في رسالة « إلى المؤتمر الخامس »

أن هناك فرقا بين حرية الرأي والتفكير والابانة والافصاح والشورى . وهذا ما يوجبه الاسلام . وبين التعصب للرأي والخروج على الجماعة والعمل الدائب على توسيع هوة الانقسام في الأمة ، وزعزعة سلطان الحكام ، وهو ما تستلزمه الحزبية ، ويأباه الاسلام ويحرمه أشد التحريم . والاسلام في كل تشريعاته إنما يدعو إلى الوحدة والتعاون .

أضاف الاستاذ البنا أن الجماعة طلبت من رؤساء الأحزاب المصرية « أن يطرحوا خصوماتهم جانبا ، وينضم بعضهم إلى بعض » ، وأنهم دعوا الدولة إلى « حل الأحزاب القائمة حتى تندمج جميعا في هيئة شعبية واحدة ، تعمل لصالح الأمة على قواعد الاسلام » (مجموعة الرسائل ـ ص ٣١٦) .

ويبدو أن ذلك أيضا هو الموقف التقليدي للجماعة الاسلامية في الهند وباكستان ، وهو ما نستدل عليه مما تضمنته رسالة الشيخ أبو الأعلى المودودي ـ مؤسس الجماعة ـ حول « نظرية الاسلام السياسية » ، وهي محاضرة مبكرة ألقاها في سنة ١٩٣٩ قبل تأسيس دولة باكستان ، إذ ذكر وهو يتحدث عن تصوره للدولة الاسلامية أن « مجلس الشورى الاسلامي لا يمكن أن ينقسم أعضاؤه جماعات وأحزابا ، بل يبدي كل واحد منهم رأيه بالحق بصفته الفردية ، فإن الاسلام يأبى أن يتحزّب أهل المشورة ، ويكونوا مع أحزابهم ، سواء كانت على حق أو على باطل » ـ (ص ٦٠) .

وفي أسس الدستور الاسلامي التي أقرها في سنة ١٩٥١ م جمع من علماء شبه القارة الهندية (عددهم ٣١ فقيها) لا نكاد نعثر على إشارة يفهم منها قبول مبدأ التعددية السياسية ، إذ بينما اتفق العلماء على ٢٢ نقطة لتكون أساسا للدستور المقترح لباكستان آنذاك ، فإن إشارتهم في الشق الذي يعنينا لم تتجاوز « حرية المبدأ والمسلك وحرية العبادة ، والحرية الشخصية وحرية إبداء الرأي وحرية التنقل وحرية الاجتماع » ـ (النقطة السابعة في الأسس المقترحة ـ ص ٣٧٣ من كتاب المودودي « نظرية الاسلام وهويته ») .

ولئن عدلت جماعة الاخوان ، وكذلك الجماعة الاسلامية في الهند ، عن هذا الموقف التقليدي في الثمانينيات ، وشاركت كل منها بالمعترك السياسي في ظل التعددية الحزبية ـ بصورة أو بأخرى ـ إلا أنه ليس بين أيدينا ما يقطع بأن ذلك العدول إنما هو تطوير للموقف الأساسي ، وليس إجراء مرحليا اقتضاه حسن الأداء السياسي .

مواقف أخرى

هذا عن الجماعتين « الأم » في العالم الاسلامي ، غير أننا نجد إلى جوارهما وعلى هامشها تيارات إسلامية أخرى تقبل بالتعددية السياسية مثل :

حزب التحرير الاسلامي الذي يقرر في مشروعه للدستور أنه : للمسلمين الحق في إقامة أحزاب سياسية ، لمحاسبة الحكام ، أو الوصول إلى الحكم عن طريق الأمة ، على شرط أن يكون أساسها العقيدة الاسلامية (مشروع الدستور . ص ٢٧) .

الجبهة الاسلامية في السودان التي أعلنت التزامها بمختلف مبادىء الديمقراطية والشورى ، بما في ذلك مبدأ التعددية السياسية ، وذهبت إلى الاعلان عن أنها لا تضيق بمشاركة غير المسلم في مجالات إعمار الحياة الدنيا ، فيما يمكن أن يتعاون فيه الناس جميعا » ـ (دستور الجبهة الاسلامية القومية ـ ص ٢٦) .

حركة الاتجاه الاسلامي في تونس التي قررت في إعلانها الصادر في عام ١٩٨١ عن إقرارها لحق « كل القوى الشعبية في ممارسة حرية التعبير والتجمع وسائر الحقوق الشرعية ، والتعاون في ذلك مع كل القوى الوطنية » .

ويلفت نظرنا في هذا الصدد رأي سجله أحد الممثلين البارزين للحركة السلفية في الكويت ، هو الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق ، ورد فيه على الرافضين لفكرة الأحزاب السياسية ، مؤيدا إقامة تلك الأحزاب . وكان مما قاله في هذا الصدد :

« إن هذه المؤسسات والوسائل (الأحزاب والجمعيات) ليست حراما ، وإنما بذاتها ، بل هي

مصالح مرسلة ، لم يأت نص شرعي بإلغائها .

إن إقامة أحزاب أو جمعيات أو تجمعات في أي نظام ديمقراطي يسمح بتعدد الآراء والاتجاهات لا يعني بالضرورة إقرار المخالفين ، ولا الرضا بما هم عليه من الباطل ، وإنما يعني فقط الرضا بالطريق السلمي ، والدعوة العلنية ، سبيلا ومنهجا للتغيير ، والتخلي عن سياسة العنف والسرية . وهذا في حد ذاته محمود في الدين ، بله الأصل في الدعوة إلى الله » . (المسلمون والعمل السياسي ـ ص ٢٨) .

ونحن لا نبالغ إذا قلنا ان المسلمين من أهل السنة ، على إطلاقهم ، يستشعرون حساسية خاصة ، بدرجات متفاوتة ، تجاه بوادر الفرقة والانقسام ، ليس فقط لأن مثل تلك الفرقة قد نهي عنها شرعا ، فضلا عن أنها من قبيل المخاطر والمرذولات التي ينكرها كل أحد ، لكن أيضا لأن أحداث الفتنة الدامية التي لاحت في عهد خليفة المسلمين عثمان بن عفان ما زالت مائلة في الوعي الاسلامي حتى زماننا هذا .

وقد أشرنا من قبل إلى أصداء تلك الفتنة عند فقهاء أهل السنة الذين ما انفكوا يسدون منافذ الفرقة بكل وسيلة ، حتى قبل بعضهم الصبر على ظلم الحكام ، خشية أن تؤدي المعارضة إلى انفراط عقد دولة الاسلام ، وانهيار نظامها (على الرغم من أن للتعاليم الاسلامية موقفا حازما تجاه هذه النقطة ، مسجلا في العديد من الأحاديث النبوية) .

وربما كانت كلمات فقيهنا أبي بكر الطرطوشي (ت ـ ٥٢٠ هـ) صاحب « سراج الملوك » معبرة عن هذا الموقف ، فهو القائل : إن « من إجلال الله إجلال السلطان عادلا كان أو جائرا . . . الطاعة عصمة من كل فتنة ، ونجاة من كل شبهة » .

الاختلاف الجذري والفرعي

في كتاب نشر بالعربية في القاهرة مؤخرا لأحد الباحثين في الجامعة السلفية بالهند عنوانه « الأحزاب السياسية في الاسلام » اتخذ مؤلفه الأستاذ صفي الرحمن المباركفوري موقفا حازما في رفضه لفكرة الأحزاب في الواقع الاسلامي . قال فيه : الاختلاف الجذري لا يصلح أن يقبل في الاسلام ، والاختلاف الفرعي وإن كان يحتمل ، لكن المطلوب اماؤه مهما يكن ، ولا يجوز أن يوفر له رصيد من الأحزاب والجماعات . والاختلاف الهامشي أو الخارجي أيضا لا يصلح لبناء الأحزاب في هذه الأمة (الاسلامية) . . ثم إن الاختلاف ـ من أي نوع كان ـ ممنوع شرعا ، والنصوص متوافرة في هذا الباب ، وصريحة في المنع والنهي . والرسول عليه الصلاة والسلام لم يترك بابا صغيرا من الاختلاف إلا وكان يسده وينبه الصحابة إلى شره ـ (ص ٨٦) .

مضى الاستاذ صفي الرحمن على طريق الطرطوشي فقال : أوجب الله ورسوله طاعة الأمير ، ما لم يأمر بمعصية الله ، وشدد في النهي عن منازعته (الحاكم) ، ولو صدر عنه بعض الجور ، وظهر منه الاستبداد بالحكم وببعض الحقوق ، اللهم إلا إذا ظهر منه الكفر البواح الذي يكون فيه عند المسلمين من الله برهان » .

في مقابل ذلك نقرأ نحن رأيا آخر للباحث الباكستاني خالد اسحاق في دراسة له حول « الأحزاب السياسية ونمط القيادة في الدولة الاسلامية » (المسلم المعاصر ـ عدد يوليو ١٩٨٥ م) . فيه يفند الحجج التي يستند إليها دعاة رفض التعددية السياسية بحجة الفتنة . ومنها على سبيل المثال ، الآية : « إِنَّ الذين فَرَّقُوا دِيْنَهم وَكَانُوا شِيَعاً ، لَسْتَ منهم في شَيْء » (الأنعام ـ ١٥٩) ، وهو ينبه إلى أن الآية تنصب على التفريق في الدين ، وأنه ليس كل اختلاف في الرؤية السياسية يمكن أن يؤدي إلى ذلك . وإشارة إلى الآية : « وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ المؤمنينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بينهما ، فإنْ بَغَتْ إحداهما عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا التي تَبْغِي حَتَّى تَفِيْءَ إلى أَمْرِ الله » (الحجرات ـ ٩) .

عقب الباحث الباكستاني على الآية قائلا : إنه حتى إذا ما وصل الخلاف بين الفرق إلى الصدام المسلح ، فإن ذلك لا يخرج أحدا من الملة ، بدليل أن الخطاب القرآني وصف الطوائف الثلاث (الطرفين المتحاربين

والفريق الثالث الذي يتوسط بينهما) وصف القرآن هؤلاء جميعا بالمؤمنين .

ومن الخلاصات الأساسية التي انتهى إليها الأستاذ اسحاق ، أن ثمة عديدا من الواجبات الكفائية التي ينبغي أن تنهض بها جماعة المسلمين في ممارسة الشورى ، وتوجيه النصح للحكام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . وحتى تؤدى هذه الواجبات على نحو صحيح فإن ممارستها تكون من خلال جماعات سياسية ، شريطة ألا تؤدي أنشطة تلك الجماعات إلى تفتيت وحدة الأمة .

في المحيط العربي

أما على صعيد المحيط العربي فلعلنا لا نبالغ إذا قلنا انه ليس بين من يعتد بهم من الفقهاء أو المفكرين الاسلاميين المعاصرين ، (لاحظ أن القضية مستحدثة من أساسها) ، من عارض فكرة التعددية السياسية في المجتمع الاسلامي ، من محمد عبده ورشيد رضا إلى شلتوت والغزالي والقرضاوي ، ومعهم الدكاترة محمد ضياء الدين الريس ، وفتحي عثمان ، وكمال أبو المجد ، ومحمد عمارة ، وجمال عطية ، ومحمد العوا ، وهذه أسماء تحضرنا من بين المصريين الذين صنفنا معهم الشيخ رشيد رضا ، باعتبار أن دوره الثقافي برز في القاهرة . ولسنا نشك أن هناك آخرين في مصر وفي غيرها من الأقطار العربية الأخرى ـ سوريا خاصة ـ يقفون على نفس أرضية التعددية ويؤيدونها .

والخط الأساسي الذي نجده واضحا في كتابات هؤلاء الفقهاء والباحثين أن الأمة الاسلامية منذ بداية مسيرتها ارتضت الخلاف في الفروع ، ولم تقبل الاختلاف في الأصول . وأن التعددية السياسية تظل من ذلك النوع المقبول . باعتباره نوعا من الاختلاف في الفروع .

ونحن نضيف هنا أن تعدد المذاهب الاسلامية يعبر عن ذلك النوع من الخلاف ، وأنه إذا جاز للأمة أن تحتمل اختلافا في أمور الدين على ذلك النحو الذي تفاوتت بصدده اجتهادات الفقهاء ، فيما لا حصر له من نقاط فأولى بها أن تقبل اختلافا في أمور الدنيا ، التي تتراوح بين بدائل وحلول للمشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تواجه الناس .

ولعلنا نضيف هنا ما قاله الدكتور الريس «من أن الفرق الاسلامية لم تكن مجرد مدارس فكرية ، تصل إلى تكوين الآراء ، ثم تكتفي بإبدائها أو تدوينها ، لكنها كانت أحزابا ـ بالمعنى السياسي الذي نفهمه اليوم في ميدان السياسة العملي ـ فلها مباديء معينة ، أشبه بالبرنامج المرسوم ، ولها نشاط ، وفيها نظام ، ثم هي تسعى وتكافح حتى تحقق لهذه المباديء النصر ، وتجعل منها ـ إن استطاعت ـ منهاج الحكم » (النظريات السياسية الاسلامية ص ٥١) .

مما يشير إليه الدكتور محمد العوّا في هذا الصدد أن وجود الأحزاب في المجتمعات الاسلامية المعاصرة (التي لا تنقض مباديء الاسلام) ضرورة لتقدمها ، ولحرية الرأي فيها ، ولضمان عدم استبداد الحاكمين بالمحكومين .

وهو ينقل عن شيخ الاسلام ابن تيمية رأيه الذي أثبته في مجموعة الرسائل بشأن موقف الاسلام من الأحزاب السياسية ، وقوله ان الأحزاب التي تدعو إلى خير وحق ، ويؤدي وجودها إلى تحقيق مصالح الناس ، تدخل في نطاق قوله تعالى عن المؤمنين : « أولئك حزب الله ، ألا ان حزب الله هم المفلحون » ، وأن الأحزاب التي تقوم على محادة الله ورسوله تدخل في وصف الله سبحانه وتعالى للضالين بأنهم « حزب الشيطان » .

وينتهي الدكتور العوّا إلى أنه ليس في تعدد الأحزاب « ما يخالف الاسلام أو نصوصه القطعية ، بل لعل قول الله تعالى : « وَلْتَكُنْ مِنْكُم أمةٌ يدعون إلى الخير وَيَأْمُرُون بالمعروفِ وَيَنْهَوْن عَنِ المنكرِ » مما يشهد لصحة هذا الرأي . (في النظام السياسي للدولة الاسلامية ـ ص ٨٤) .

ذلك عن التعددية السياسية من حيث المبدأ ، أما في الضوابط والتفاصيل فلها حديث آخر بإذن الله . □

نزعات الانتحار عند المبدعين!

بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

للمبدع حياته الخاصة تماما كالآخرين ، انه دائب الرهبانية في قضية الابداع ، وقضية النضال والمباديء .

لكن له شبكة من العلاقات الأسرية والاجتماعية ، وله كذلك غرامياته وحياته الجنسية تماما كالآخرين ، وربما له في هذا المجال خصوصيات قد تكون غريبة ، أو شاذة فلماذا ينتحر المبدع ؟

هل لأنه أخفق في بناء علاقة حب سوية ، أو لأن الواقع المحيط به فيه احباطات وهزائم كثيرة ، أم أن الأمر يعود الى تفاعل هذا بذاك وغير ذلك من الأسباب ؟

الفنانون والأدباء هم أكثر المنتحرين ميلا « للانتحار من أجل القضية » ، لغلبة الجانب المبدئي القيمي على تكوينهم وتفكيرهم . انهم كالرهبان البوذيين الذين يشعلون النار في أنفسهم للاحتجاج على ظلم أو للتنبيه الى قضية عادلة .

غير أن هذا البعد في انتحار المبدعين وان كان واردا في حالات كثيرة ، أو كان عنوانا أبرز وأعم لفاجعة انتحارهم ، الا أنه ليس « البعد الوحيد » في الحالة الانتحارية من حيث هي حالة نفسية انسانية بالغة التعقيد متشابكة الأبعاد .

فبعد إمعان النظر والتدقيق في تحليل كثير من الحالات الانتحارية لدى المبدعين ، سواء تلك التي قد انتهت بالانتحار أو كانت محاولة لم تتحقق، أو كانت احباطا نفسيا شديد الوطأة نهايته العزلة الدائمة شبه الانتحارية ، يتبين للناظر في مختلف تلك الأحوال أن المبدع صاحب النزعة الانتحارية قد عاني - مع معاناته قضيته المبدئية - مشكلتين فرديتين أساسيتين ، احداهما تتمثل في استحالة الانسجام مع الآخرين ، أو مع الحياة ، أو حتى مع نفسه ، بينما تتمثل الثانية في مشكلة عجز أو قصور جنسي أو غرامي أو اخفاق مرير في علاقة زوجية ، بحيث تتضافر هاتان المشكلتان مع شعور المبدع باخفاق قضيته الكبرى - قومية أو فكرية أو انسانية - بشكل يؤدي الى بلورة قرار الانتحار ، أو الانحراف نحوه بصورة أو بأخرى

مشهد انتحاري من اليابان

لقد اندهش العالم وفي طليعته اليابان من مشهد انتحار الأديب الروائي الياباني « يوكويو ميشيما » يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٧٠ ، عندما احتل هو وقلة من رفاقه مقر كلية الأركان العسكرية في قلب طوكيو . واحتجزوا قائدها ، ثم صعد « ميشيما » الى شرفة الكلية المطلة على ساحة التدريب ، وألقى كلمة عصبية لم تستغرق أكثر من عشر دقائق ، في الجنود الشباب المندهشين للحديث ، دعاهم فيها الى رفض خضوع اليابان لأمريكا ، والى تغيير دستورها « السلمي » الذي فرض عليها بعد الاحتلال الأمريكي عام ١٩٤٥ ، والعودة الى تقاليد اليابان العسكرية ، وقيمها القومية التاريخية ، قبل أن ينجرف مجتمعها مع موجة « التغريب والتأمرك » في العقود الأخيرة . وعلى الرغم من أن رد فعل الجنود كان أقرب الى السخرية ، بل ان بعضهم أغرق في الضحك على عصبية « ميشيما » وغرابة أفكاره ـ بمعيار الجيل الجديد في اليابان ـ وعلى حركاته الدرامية المبالغ فيها ، وعلى الرغم من ذلك قرر « ميشيما » المضي في عملية الانتحار ، فغرز سيفه في أعماق أمعائه ، وأخرج رأس السيف من جانب بطنه الآخر ، على طريقة انتحار فرسان اليابان القدماء (الساموراي) ، المسماة (هارا ـ كيري) ، ثم قام أحد رفاقه بحز عنقه ، وفصل رأسه عن جسده ، تخليصا له من ذلك العناء الدموي .

وقد أثار حدث انتحاره اهتماما واسعا في اليابان وفي الغرب ، واعتبره بعضهم دليلا ، وان يكن معزولا ، على أن وراء الأكمة ماوراءها ، وأن الروح اليابانية المتحفزة للمواجهة مازالت تسري في الأعماق . ولم يكن « ميشيما » بالأديب الصغير الفاشل حتى يمر انتحاره دون زوبعة ، فقد كان روائيا كبيرا ناجحا ، وكان قد فرغ توا من ارسال الجزء الأخير من قصته الأخيرة الى المطبعة ، ثم أخذ يخطط لحادث الكلية العسكرية بشكل مدروس ، بعد أن اطمأن الى أنه سجل كلمته النهائية عن اليابان في تلك الرواية التي سماها (بحر الخصب) .

غير أنه على الرغم من هذا البعد المبدئي لانتحار « ميشيما » ، من حيث انه اعلان صارخ عن قضية اليابان التقليدية التي جرفها « التغريب والتأمرك » ، فإن التحليلات والشواهد التي أخذت تترى عن سجل حياة « ميشيما » بأقلام دراسية ، قد أخذت تشير أيضا الى أبعاد شخصية مهمة ، تداخلت في نسيج فاجعة انتحاره . فلقد تبين كما كشف دارسه وصديقه الصحفي البريطاني « هنري سكوت ستوكس » في كتابه المثير (حياة « ميشيما » وموته) ، أن الأديب الياباني الكبير المنتحر كان يمارس الشذوذ الجنسي على الرغم من أنه متزوج ورب عائلة وأبناء . ومما لفت النظر أن شريكه في الشذوذ الجنسي (موريتا) كان رفيقه الوحيد أيضا في عملية الانتحار ، الأمر الذي جعل البعدين السياسي القومي والشخصي الجنسي يتداخلان بشكل عضوي ، ثم ان ظاهرة الشذوذ هذه كانت بادية من ناحية أخرى في أعماله الأدبية ، بما يشير الى ارتباطها بموهبته الفنية الابداعية مع الظواهر الرئيسية الأخرى في أدبه التي تتلخص في كلمات ثلاث ، هي الموت ، والدم ، والانتحار ، بالاضافة الى رفض عميق لعقم الحياة الغربية المعاصرة . وهكذا يتبين أن شخصية « ميشيما » كانت تنطوي على « اشكالية جنسية » من نوع ما ، تتمثل في شذوذه الذي هو اشكال جنسي غير طبيعي . وكان « ميشيما » منذ زمن فتوته قد واجه تحديا لكفاءته الجسمية الرجولية عندما سقط في امتحان اللياقة البدنية اللازمة للانخراط في الجيش ، مما اضطره الى الاتجاه للدراسة النظرية المدنية . وعلى الرغم من انه أصبح كاتبا كبيرا ، لكنه أصر على انهاء حياته في كلية عسكرية ، أي في المجال العسكري الذي حرم منه ، ولم يفته أن ينادي في أحد أعماله الأدبية (الشمس والفولاذ) الى تقديس بناء القوة العضلية الجسمانية في الجيل الياباني الجديد للتعويض عن الهزيمة المذلة . أما عمله الأدبي الذي تحول الى فيلم (عام ١٩٦٦) فقد كان يصور حلمه الأخير وهو « الانتحار الفروسي على طريقة فرسان (الساموراي) باعتباره جزءا من قيم اليابان العليا .

هكذا تتداخل أبعاد الجسد : بناؤه بالفروسية عبوره بالجنس ، تضحيته بالانتحار ، مع الانبعاث المثالي ليابان التاريخ وأبعاده ، بحيث يستحيل التحديد والتمييز : أين ينتهي « ميشيما » الشخص ؟ وأين يبدأ « ميشيما » الرمز أو القضية ؟

واذا كانت « اشكالية الجسد ـ الجنس » أكثر تميزا في شخصية « ميشيما » ونسيج انتحاره من الاشكالية الأخرى ـ معضلة العلاقة مع الآخرين ـ فان هذه الاشكالية واردة ضمنا في تكوينه ونهايته ، لم يعان «ميشيما» مشكلة كبيرة في التعاطي مع اصدقائه وزملائه ، بل كان لطيف المعشر معهم كما يشير الى ذلك كاتب سيرته « هنري ستوكس » . غير أنه واجه استحالة الانسجام مع عالمه الحديث داخل اليابان المعاصرة وفي العالم المعاصر الذي يسيطر عليه الغرب ، كما استحال عليه ـ وذلك هو الأخطر الانسجام مع ذاته حيث ظل قلقا متحولا من اليسار الى اليمين المتطرف ، ومن الرواية الى المسرح الى السينما الى « الفولكلور » ، ومن الحياة اليومية حسب النمط الغربي الى الحلم اليومي باليابان العسكرية القديمة لدرجة تكوينه « لميليشيا » خاصة اسماها « المجتمع الدرع » ، غير أن درعه الذاتي في النهاية أصيب بالتصدع تحت عبء التحولات المستحيلة ، فلم يجد من وسيلة لتحويل كلماته الى أفعال الا بفعل الانتحار .

انتحار حاوي : القضية والشخص

في حزيران سنة ١٩٨٢ عندما بدأ الجيش الاسرائيلي يزحف نحو بيروت ، فجع الوطن العربي بالاضافة الى فاجعة العدوان الاسرائيلي الجديد بنبأ انتحار الشاعر اللبناني العربي الكبير خليل حاوي ، وذلك بأن اطلق على رأسه ـ جهة العين اليسرى ـ رصاص بندقيته وهو داخل شقته الكائنة في رأس بيروت قرب الجامعة الأمريكية ، دون أن يترك أي ايضاح مباشر بشأن انتحاره .

كان طبيعيا أن يرتبط انتحار حاوي بالقضية العربية في مرحلتها المأساوية هذه ، حيث « تعهرت » حتى اللغة حسب تعبيره الأخير ، وهو الشاعر الذي قصر معظم شعره ان لم يكن كله على قضايا الانبعاث القومي والحضاري في مواجهة عقم الانحطاط وشراسة الأعداء .

لاشك فإن البعد المبدئي ، بعد القضية هو عنصر رئيسي واساسي في نسيج شخصية حاوي ونسيج انتحاره ، والذين يعرفونه عن كثب ـ وبينهم كاتب هذه السطور ـ يدركون الى أي مدى كان حاوي مهموما بالقضايا العربية في عمقها القومي والحضاري خاصة ، حيث كانت بمثابة خبزه اليومي وهو الذي لم ينشغل بهموم تأسيس عائلة أو الارتباط بزوجة أو الاهتمام بمشروع شخصي .

واللافت للانتباه أن خليل حاوي قد فكر في عملية انتحار علني على رؤوس الاشهاد ، يعلن فيها احتجاجه الصارخ على تردي الأوضاع العربية ، ثم يلجأ الى فعل الانتحار باعتباره الفعل الوحيد المتاح أمامه :

فاتني طبع المجاهد
لم أعد غير مشاهد
فلأمت غير شهيد
مفصحا عن غصة الافصاح
في قطع وريد .

وكان يتصور نفسه وقد حمل مسدسه وذهب به الى منطقة الحمراء المكتظة بالناس ليقوم بانتحاره العلني ، غير أنه أدرك أنه ليس في تقاليد الحياة العربية « فعل انتحار » كهذا يماثل الـ « هارا ـ كيري ـ » الذي لجأ اليه « ميشيما » في اليابان.ولايستبعد أن يكون حاوي قد تابع قضية انتحار « ميشيما » خاصة وأنها حدثت عام ١٩٧٠ بعد أن فجع حاوي بكارثة حزيران ١٩٦٧ ، وظل ينتظر قدره بعد ١٥ سنة في حزيران سنة ١٩٨٢ عندما تجددت الهزيمة دون رد عربي في مستواها ، وكانت من آخر عباراته « رباه كيف استطيع تحمل هذا العار ؟ »

غير أن عناصر تكوين حاوي الفرد قد تداخلت بلا ريب مع عناصر تكوين حاوي القضية وتضافر الجانبان في نسج قصة انتحاره .

لقد أخفق حاوي من ناحية أخرى في تأسيس علاقة عاطفية دائمة مع المرأة باعتبارها شريكة حياة ، على الرغم من اشارة طبيبه وصديقه الدكتور « نسيب همام » الا أنه « كانت له بعض الغراميات ، فقد كان يميل الى النساء ، وكانت له جاذبية خاصة ومعجبات كثيرات اذ أنه كان محبوبا وقريبا من القلب » (مجلة الفكر العربي المعاصر ، عدد حزيران تموز ١٩٨٣ ص ١٠٧)

ضاع على خليل حبه الأول والأقوى بسبب تقاليد الضيعة ، فقد شغف ـ كما يروي أخوه الاستاذ ايليا حاوي « بفتاة كانت وحيدة والديها ، جميلة ، هيفاء ، عالية الجبين ، ووجنتاها موردتان وعيناها سوداوان وشعرها مدل على كتفيها . نظم فيها معظم شعره الريفي واحبها،لقد كان حبه الأول الذي ظل حيا في أعماقه ، وأما الحب الآخر وغيره فقد كان طيفا وانعكاسا له ، وقد تواعد مع تلك الفتاة على الزواج وقررا أن يقترنا ، الا أنها خطفت في غيابه لأحد اقاربها ، وعاد خليل ينظم فيها شعر اللوعة والحسرات ، وهو شعر مازلنا نحتفظ به بخط يده ، بعضه نشر ومعظمه لم ينشر » ـ (المصدر السابق ص ٢٨) .

اذا كان حبه الأول قد تحطم بهذه الصورة ، فان مشروع زواجه من امرأة أخرى فيا بعد واجه مصيرا مماثلا ، وعلى الرغم من أن هذه المرأة هي التي اهداها كتابه الأول (حياة جبران وآثاره) الذي تقدم به للدكتوراة في كمبردج ، وتحدث عن مكانتها ودورها في حياته بقوله « الى اليد التي امسكت بيدي في ليالي الشك والخلق وهي التي رافقتني الى كمبردج ، على الرغم من هذه العلاقة المتميزة فانه يعود الى الحديث عن دور المرأة في حياته بصفة عامة قائلا : « لم التق بالمرأة التي يمكن أن تكون رفيقة تملأ جوانب نفسي ، المرأة تابعة لي تابع المسحور دون أن استجيب لها استجابة تامة ، العلاقة كانت علاقة رفقة صراع أكثر مما هي علاقة رجل بامرأة تبلغ حد الاندماج التام ، « شعور بالاخفاق في هذا المجال » ، ان أقرب النساء الي كما قالت احداهن تأتي في الدرجة العاشرة بعد الشعر ! . » (المصدر السابق ١٠٢ ـ ١٠٣)

هذا يلخص مدى رسوخ النزعة الفردية المتفردة في شخصية حاوي واستحالة انسجامه مع الآخر حتى لو كان الحبيبة * والواقع أن الشعر في حد ذاته لايمكن أن يمنع هذا الانسجام ، فكم من الشعراء الكبار اتخذوا من الحبيبة رمزا للانطلاق في الشعر ، وتوحد الشعر لديهم بالحبيبة مثل الشاعر الايطالي « دانتي » كمثال بين أمثلة كثيرة ، فالمعضلة هنا ـ في حالة حاوي ـ ليست معضلة الشعر بل معضلة الشاعر ، ويبدو لي أن شك الشاعر وريبته العميقة في الطبيعة الانسانية على الرغم من ايمانه القوي بالانسان قد أدى الى تصدع العلاقة واخفاقها ، يلاحظ أن الأديبة « ديزي الامير » وهي المرأة التي رافقته ، واهداها كتابه الذي ذكرنا ، قد عنونت مقالتها التذكارية عن حاوي بعنوان (عطاء حاوي والشك) وأرخت لشخصيته بقولها : « وخليل اذا ظن شيئا صار يقينا يستحيل تغييره ، اصدقاؤه أحبوه وتحملوا غضبه وقطيعته بحلم ومودة ، لأنهم يعرفون طينته الجيدة » وأشارت الى أنه منذ بداية السبعينيات انقطع عن الدنيا والناس انقطاعا شبه تام ، وزادت صعوبة تعامله معهم ، ثم تلخص المسألة كلها قائلة : « يعللون سبب انتحاره بتراكم الهزائم العربية ، « نعم خليل شاعر عروبي صادق ، مسؤول وطنياً ، ولكن ألم يكن خليل من البشر ؟ ألم تكن له حياته الخاصة » ؟.(المصدر السابق ص ١٢٠ ـ١٢٢) .

* كانت معضلة استحالة الانسجام مع الآخرين ظاهرة أساسية متكررة في حياة الفنان الهولندي المنتحر : فان جوخ أيضا .

وهذا يلخص الاطروحة التي طرحناها في البداية . . وهي ان المبدع المنتحر تشغل « القضية ـ في الأغلب ـ جزءا كبيرا من نسيج انتحاره . . لكنها في كثير من الحالات تبدو تفسيرا تبسيطيا لقضية اكثر تعقيدا . وفي أساس انتحار كل مبدع تترسب اشكاليتان لايمكن غض النظر عنهما ، وهي استحالة انسجام المبدع مع الآخرين أو الواقع أو النفس ، وعجزه عن تأسيس علاقة انسانية عاطفية ثابتة يمكن أن تكون « خيطه السري » الذي يربطه بالحياة عندما تتقطع خيوطه الأخرى

حالات أخرى

الامثلة عديدة لا يتسع المجال لذكرها،نذكر بايجاز أن الشاعر السوفياتي المنتحر « ماياكوفسكي » (١٩٣٠) قد انتحر لبس لأن « قضية » بناء الاشتراكية لم تعد تحتاج شعره ، بل لأنه جوبه بالرفض من المرأة الروسية المهاجرة التي احبها حتى العبادة عندما كان في باريس ، والناقد المصري « أنور المعداوي » قد عاش عزلة انتحارية حتى وفاته ، لانه عجز عن التلاؤم مع الواقع الأدبي والاجتماعي فضلا عن عجزه عن اقامة علاقة طبيعية مع امرأة ، كما كشف ذلك الاستاذ الناقد « رجاء النقاش » في كتابه الموثق :

« صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر » من واقع معرفته الحميمة بأنور المعداوي .

النساء والانتحار

أما النساء ـ مبدعات وغير مبدعات ـ فهن أقل عرضة للانتحار من الرجال وهذه حقيقة احصائية عالمية .

وماذلك في رأينا الا لأن خيوطهن العاطفية العميقة مع الحياة أقوى بكثير من خيوط الرجال الذهنية الواهية . ويقولون ان الرجل أقوى من المرأة وأن المرأة مخلوق ضعيف .

انها ليست كذلك فيما يتعلق بقوة تشبثها بالحياة . وقوة مقاومتها للموت ، فالمرأة أطول من الرجل عمرا .

واذا كانت المرأة أقوى من الرجل في التمسك بالحياة وفي مقاومة الموت فماذا يتبقى للرجل من قوة فيما يتعدى الحياة ويتعدى الموت ؟ □

مسرح الجيب

● قامت فكرة مسرح الجيب في البلاد الأوروبية على نوع من الأعمال المسرحية التي لا يمكن عرضها في المسارح العادية ، ولا أمام الجمهور العادي والمعروف أن مسارح الجيب هي مسارح صغيرة ، جمهورها يتكون من خلاصة المثقفين المستعدين للتجاوب مع التجارب الجديدة الصعبة في المسرح .

وكما أن لكل تجربة في البداية مشاكلها ، فقد لقيت أول مسرحية لتشيكوف ـ وهي مسرحية بستان الكرز التي عرضت في موسكو ـ أسوأ استقبال من الجمهور ، حتى لقد فر تشيكوف هاربا من المسرح أثناء عرض المسرحية ، بل إن تشيكوف قد خرج من موسكو نفسها ، ليبتعد عن هذا الجو الفني السيىء الذي أثارته مسرحيته الأولى ، علما بأن المسرحية لم تكن سطحية ولا تافهة ، لكنها كانت عملا فنيا جديدا غير مألوف للجمهور ، فأنكرها وانصرف عنها .

الموصّلات الكهربائية الفائقة

تخرج من الصّقيع !

اعداد : الدكتور سعود عياش

الموصلات الفائقة (Superconductivity) ظاهرة فيزيائية تعبر عن فقدان المواد كل مقاومة لسريان التيار الكهربائي . فالمعروف أن المواد الموصلة للكهرباء تبدي مقاومة بدرجات متفاوتة لسريان التيار الكهربائي ، وينجم عن المقاومة فقدان جزء من الطاقة الكهربائية في الموصلات على شكل حرارة . وتعتبر السخانات الكهربائية ومصابيح الاضاءة من الأمثلة الشائعة على تحول الكهرباء إلى حرارة بفعل مقاومة المواد الموصلة (ملف التسخين وفتيلة المصباح) لسريان التيار الكهربائي ، أما في الموصلات الفائقة فإن مقاومة سريان التيار الكهربائي تختفي تماما ، ويصبح بالإمكان انتقال التيار الكهربائي عبر مئات أو آلاف الأميال دونما خسارة أو فقدان في شدته .

تعيش أوساط الفيزيائيين في حقل الموصلات الكهربائية الفائقة حالة من الاثارة والترقب ، فقد شهد هذا الحقل من الفيزياء تطورات مثيرة ، وصفت بأنها أهم حدث علمي في ثمانينيات هذا القرن ، وربما يكون الحدث العلمي الأهم حتى نهاية هذا القرن ، فالتطورات العلمية التي تحققت ، وتلك المتوقع إنجازها مع نهاية هذا القرن ستكون لها آثار بعيدة المدى ، بحيث تغير وجه أشياء كثيرة مما يحيط بنا ، فالقطارات السابحة التي تندفع في الهواء على ارتفاع بسيط فوق خط سكة الحديد قد تصبح حقيقة واقعة ، وقد يسافر بعضنا في هذه القطارات التي ستسير بسرعة تزيد على ٥٠٠ كيلو متر في الساعة ، وقد يصبح بالامكان تغذية مدينة بأكملها بكل احتياجاتها من الطاقة الكهربائية بواسطة عدد من الكابلات الكهربائية . والأغلب أن نرى الحاسبات الآلية أصغر حجما وأسرع وأكثر قدرة على

معالجة البرامج والبيانات ، كما سنرى محركات ومولدات كهربائية أصغر حجما وأكبر قوة . وقد نتخلص في نهاية المطاف من الهدر الهائل في الطاقة الكهربائية الذي يفقد أثناء سريان التيار الكهربائي في شبكات النقل والتوزيع .

الاكتشاف في صدر الصفحات

احتلت أنباء الاكتشافات الجديدة صدر صفحات الصحف والمجلات وأغلفتها ، ولم يقتصر الاهتمام بأخبار الظاهرة الجديدة على المجلات العلمية ، بل تعداها الى المجلات ذات الطابع السياسي والاقتصادي ، مثل التايم الاميركية والانترناشونال بيزنس ويك وغيرها .

وخلال فترة وجيزة امتد الاهتمام بالظاهرة الفيزيائية الجديدة من أوساط العلميين والاعلاميين ليشمل الادارات الحكومية وصانعي القرارات ، وخاصة في الدول الغربية الصناعية وقد عبّرت دوائر صناعية وحكومية في الولايات المتحدة وبريطانيا عن خوفها من أن تتمكن اليابان من احتلال موقع الريادة في الاستفادة من التطبيقات العلمية للظاهرة العلمية الجديدة ، فالادارة الاميركية أخذت على نفسها أن تغير قوانين براءات الاختراع ، وأن توفر حماية أفضل للبيانات والمعلومات العلمية ، وأن تزيد من حجم الدعم المالي للبحوث العلمية في مجال الموصلات الفائقة ، وقد وصل الأمر إلى حد استثناء العلماء الأجانب من حضور مؤتمر علمي حول هذا الموضوع نظمته وزارة الطاقة الامريكية . أما في بريطانيا فقد شكّلت وزارة التجارة والصناعة مجموعة عمل لاستقصاء كيفية تمكن بريطانيا من استغلال التطورات العلمية الجديدة .

اكتشاف الظاهرة :

يعود تاريخ الموصلات الفائقة إلى أوائل القرن الحالي ، حين تمكن الفيزيائي الهولندي مايكه أونيس من إسالة الهيليوم عام ١٩٠٨ . وقد حصل أونيس بعد سنوات على جائزة نوبل مكافأة على إنجازه العلمي هذا . والواقع أن الهيليوم كان هو الغاز الوحيد الذي لم يتمكن الفيزيائيون من إسالته حتى



أحدى التجارب على الظاهرة .

ذلك الوقت . وقد لا يبدو الأمر غريبا حين نعلم بأن الهيليوم يتحول إلى سائل في درجة حرارة تبلغ ٤,٢ كلفن . والمعروف أن درجة الصفر بمقياس كلفن تساوي ٢٧٣ درجة تحت الصفر المئوي أو ٤٦٠ درجة تحت الصفر الفهرنهايتي . ويعرف الصفر بمقياس كلفن بالصفر المطلق ، إذ لا يمكن أن تنخفض درجة الحرارة دون ذلك . وبالمناسبة تقترب درجة حرارة الفضاء الكوني بين الكواكب والأجرام السماوية من الصفر المطلق .

بدأ أونيس باستقصاء سلوك المواد على درجة الحرارة القريبة من الصفر المطلق ، مستخدماً الهيليوم السائل وسيلة لتبريد المواد ، واكتشف أنه حين تصل درجة حرارة الزئبق الى حوالي ٤ كلفن فإنه يفقد كل مقاومة لسريان التيار الكهربائي ، أما في درجات الحرارة الأعلى فيفقد خاصية التوصيل الفائقة ،



مختبر لانتاج الموصلات الفائقه

ويعود الى خصائصه الاعتيادية . وتبين لأونيس أن المواد الأخرى تسلك سلوكا مشابها من حيث انها تكتسب خاصية التوصيل الفائقة في درجات معينة ، وتفقدها فوق تلك الدرجات ، وتعرف هذه الدرجات بالدرجات الانتقالية ، ووجد أن الدرجات الانتقالية للموصلات عموما تبلغ بضع درجات فوق الصفر المطلق .

لم يتمكن الفيزيائيون من الانتقال بظاهرة التوصيل الفائقة من المختبر الى حقل التطبيق العملي لأن الظاهرة لا تتحقق الا في درجات الحرارة المنخفضة جدا . وقد أدرك الفيزيائيون منذ البداية الامكانيات الواعدة التي تحملها الظاهرة الجديدة في المجال العلمي ، لكنهم أدركوا أيضا أنه لن يمكن تحقيق أي من هذه الامكانيات على الصعيد العملي إلا اذا خرجت الظاهرة من الصقيع ، وتم تطوير موصلات فائقة تحتفظ بخصائصها عند درجات الحرارة المألوفة ، أي حوالي ٢٠ درجة مئوية أو ٢٩٣ كلفن وما فوقها ، ولذلك انصبت جهود الفيزيائيين منذ البداية على محاولة تطوير ما يطلق عليه اسم الموصلات الفائقة ذات درجة الحرارة العالية .

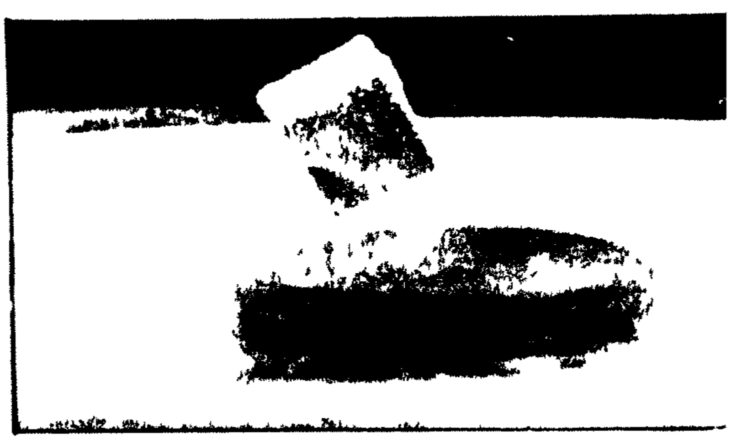
أدرك الفيزيائيون نتيجة لتجاربهم بأن أي مادة من المواد لن تحتفظ بظاهرة التوصيل الفائقة بعيدا عن الصفر المطلق . وفي محاولة للخروج من هذا المأزق استخدموا السبائك المعدنية علها تساعد على الخروج من الصقيع الى الدفء لكن دون جدوى ، وخلال أكثر من سبعة عقود لم تسفر جهود الفيزيائيين في مجال الموصلات الفائقة عن تحقيق الظاهرة على درجة حرارة تزيد على ٢٣ كلفن . حصل ذلك عام ١٩٧٣ . وحتى ديسمبر ١٩٨٥ وتوقفت الأمور عند تلك الدرجة .

التطورات الحديثة :

في نهاية يناير ١٩٨٦ تمكن اليكس مولر وجورج بدنورز من معهد الأبحاث التابع لشركة (اي . بي . ام) في زيورخ بسويسرا من تحقيق ظاهرة التوصيل الفائقة على درجة ٣٠ كلفن باستخدام مركبات سيراميكية ، ولم تنشر نتائج الأبحاث حتى سبتمبر من

نفس العام ، وعقب ذلك مباشرة تمكن العاملون في مختبرات أخرى في الولايات المتحدة والصين واليابان من تأكيد صحة الاكتشاف الجديد ، ومع نهاية عام ١٩٨٦ تم تحقيق الظاهرة على درجة ٣٩ كلفن . ثم جاء التطور المثير في مارس ١٩٨٧ حين أعلن عن تطوير مادة تحتفظ بظاهرة الموصلية الفائقة حتى درجة ٩٤ كلفن ، ثم توالت أخبار الاكتشافات والتطورات المثيرة ، وجاءت أنباء غير مؤكدة عن تحقيق الظاهرة عند درجة ٢٤٠ كلفن ، أو ٣٣ درجة تحت الصفر المئوي ، وقد أعطى هذا الادعاء دفعة قوية لطموحات الفيزيائيين وآمالهم بقرب تطوير الموصلات الفائقة التي تعمل تحت درجات الحرارة العالية .

على الرغم من التطورات والانجازات المثيرة التي أمكن تحقيقها خلال الفترة القصيرة الماضية في مجال الموصلات الفائقة فما زالت هناك مهمات كثيرة بحاجة للمزيد من البحث والاستقصاء وتقديم الحلول العلمية ، وأول هذه المهمات هي تطوير المواد التي تحتفظ بقدرةالتوصيل الفائقة على درجات الحرارة العملية ، فإذا استمرت الظاهرة في نطاق درجات حرارة الصقيع سيقتصر تطبيقها على بعض التجارب المختبرية والبحثية الطابع والواقع أن هذا الجانب من تطبيقات التوصيل الفائقة سيتسع كثيرا لسهولة الاحتفاظ بالمواد الجديدة دون درجة ٩٤ كلفن باستخدام النيتروجين السائل رخيص الثمن



ـ ظاهره ميرر في التاهر المغاطيسي للموصلات الفائقة

سهل الاستعمال الذي تبلغ درجة حرارته ٧٧ كلفن ، ويكاد لا يخلو أي مختبر فيزيائي أو كيميائي منه .

من جانب آخر فإن المواد الجديدة إما أنها سيراميكية أو تتشكل أساسا من أكاسيد مواد مختلفة ، وهذه مواد هشة سهلة القصف ويصعب تشكيلها ، ولا يخفى أن استخدام هذه المواد في حقل التطبيقات العملية يقتضي تطوير مواد سهلة التشكيل والمعالجة ، ومن الضروري أن تكون تلك المواد الجديدة مجدية من حيث الكلفة الاقتصادية .

الخلاصة :

ما تحقق مؤخرا في مجال الموصلات الفائقة يعتبر كشفا علميا مذهلا ، وكما أشرنا في صدر المقالة يلقى هذا الكشف اهتماما كبيرا على الصعيدين الأكاديمي والرسمي ، ويبدو أن النتائج المستقبلية المترتبة على هذا الكشف ستكون مثيرة واسعة النطاق بعيدة المدى ، وستتطلب أعدادا كبيرة من الفيزيائيين المختصين بموضوع الموصلات الفائقة ، لذلك يلاحظ من الأدبيات العلمية وجود اتجاه قوي في الدول الصناعية الغربية لإشراك حتى طلبة المرحلة الثانوية في التعرف على الظاهرة الجديدة وتكرار التجارب التي لم يمض على إنجازها في المختبرات المتخصصة أكثر من أشهر قليلة ، علما بأن رواد هده التجارب مرشحون لنيل جائزة نوبل على اكتشافهم . وبالمناسبة فإن كل المواد المطلوبة لصناعة قطعة من المادة التي تحتفظ بظاهرة التوصيل الفائقة عند ٩٤ كلفن لا تكلف أكثر من دينار أو دولارات قليلة .

إننا نقف أمام ظاهرة علمية مثيرة ، لا تقل أهمية عن اختراع الترانزستور ، وما أمكن إنجازه في مختبرات متخصصة قد أصبح خلال فترة وجيزة بمتناول طلبة المدارس والجامعات ، والمجال مفتوح للمساهمة العلمية في هذا الكشف العلمي والاستفادة من ثماره العملية . وعسى أن لا يمر هذا الكشف كما مر غيره دون أن يثير حتى مجرد الرغبة في متابعة أحدث ما يستجد في مجاله . □

الذاكرة المثقوبة

قصة قصيرة بقلم : عبدالحميد بن هدوقة

- هل أنت نائم ، أم لا تريد الحديث معي ؟ ماذا قال لك الطبيب عن ذاكرتك ؟ عندما لا تريد الحديث معي تبدأ بالشخير ! أعرفك ، ليست هذه هي المرة الأولى .

لم افتعل الشخير ، صدري يصفّر من التهاب أصابه مند أيام ، لكن زوجتي تصدق حدسها أكثر مما تصدق الآخرين

- حدّثني ولو مرة كامرأة كاملة الانسانية !

ماذا أقول لها ؟ كم هي طيبة ! تريد أن أطرح عرض الطريق أكثر من ألفي سنة ذكورة !

- ليست ذاكرتك هي المريضة ، أنانيتك . . لا تتحدث إذا شئت ، حديثك لم يعد يهمني كثيرا لا تنس إطفاء الضوء قبل أن تنام

قالت ذلك وجذبت الغطاء على رأسها ، بعد ما أدارت لي ظهرها كما تفعل دائما عندما تكون في مزاجها القاتم

م أجبها لأني أعرف أنها لا تصدق أني دهبت فعلا لاستشارة الطبيب عن داكرتي كانت تريد أن نذهب معا الى بعض « المغارب * » وأروقة البيع في وسط لمدينة وكنت على موعد مع الطبيب ، فلم بصدق

يزعجني كثيرا أمر ذاكرتي ، صارت لا تبقى شيئا مما أريد . أأتمنها على أشياء ، ثم بعد فترة قصيرة أعود إليها فلا أجد شيئا ، أو أجد معظم ما ائتمنتها عليه قد ضاع !

أتأفف ، أتأسف ، ثم شيئا فشيئا يزول تأففي وتأسفي ، وأنسى أني أنسى !

أعود إليها من جديد ، أضع فيها ما أظنه ثمينا ، قمينا بالحفظ . أوصيها بالحزم ، أقول لها : إن المخزون ثمين ، يجب أن أجده عند الحاجة ، كما وضعته

تمر الأيام ، وتستوقفني حادثة أو حديث . فأحاول التذكر لاشيء ! صندوق أمي القديم الذي اشترته يوم زفافها أحفظ من ذاكرتي وآمن !

ثم أفكر لماذا أنا ضعيف الذاكرة ؟ أعرف أشخاصا يتكلمون الساعات الطوال عن ذكرياتهم بلا توقف يقول لك أحدهم إن أول حبة برتقال أكلت كانت تشتمل على تسعة « أبراج » ، وأن حبة الرمان الأولى كانت حباتها وردية ماعدا واحدة ، ويقول لك الآخر : إن الاجتماع الأول الذي التقى فيه ديغول وعبدالناصر وقع في الجزائر سنة ١٩٧٢م ، « بجنان الميثاق »(١) وأن أول خبر صدر عن ذلك الاجتماع كان بجريدة « المساء(٢) ، بحروف سوداء كبيرة تمتد على « طول » الصفحة

---

* المحلات التجارية كما يطلق عليها في المغرب العربي وبخاصة في الجزائر .

(١) عبد الناصر وديغول توفيا سنة ١٩٧٠م . « جنان الميثاق » : فيلا حكومية ضخمة بالجزائر العاصمة ، خاصة باقامة ضيوف الدولة الكبار .

(٢) المساء : يومية مسائية جزائرية صدرت سنة ١٩٨٥م .



الأولى ! . »

أنا لا أتذكر شيئا . عندما تكون زوجتي في مزاجها العسلي تسألني عن اسمها ، فيحمر وجهي خجلا ! تنتظر لحظات ، ثم تأخذ في سرد الحروف الهجائية العربية التي علمتها إياها ، تسردها حرفا حرفا ، لكن ذاكرتي لا ترى من بين تلك الحروف ما يمكن أن يكتب به اسم زوجتي ، كأنه اسم من عالم آخر ، سكانه من حضارة غريبة لا صلة لها بالبشر ، فأبقى صامتا تغضب زوجتي غضبا شديدا ، وتقول . « هل اسمي أطول من حروفك الهجائية ، أو أقل منها قيمة ؟ لا أجد جوابا يقنعها أتساءل في نفسي : هل اسم زوجتي أطول من الحروف الهجائية ؟ هل هو أصعب منها ؟ لا ، يقينا هو يتركب من بعضها فقط . وآخذ من جديد في سرد الحروف الهجائية حرفا حرفا ، لكن الحروف التي يكتب بها اسم زوجتي لا أجدها ! إن ذاكرتي تتحداني ، تبقى كل الحروف الهجائية كما لقنتها في صغري مكتوبة بالصمغ على اللوحة الخشبية ، الى درجة أنني أراها الأ[illegible] حرفا حرفا ، بما كانت توحي بها الي أشكالها من صور ، بينما اسم زوجتي هذه النائمة الى جانبي لا أتذكره !

أسرد كل الأسماء المتداولة في وطننا ، الصحيح منها والمحرف ، ولاسيما ماكان منها على وزن « تفعليلت » مثل تسعديت ، و« فعيلة » مثل « دهيلة » ، ولكن عبثا، اسم زوجتي ليس هناك ! إنه في غيابات جب الذاكرة ، حيث لا يصل إليه ذكر ولا تداع ! أليس هذا تحديا من ذاكرتي ؟ لماذا أتذكر اسم « ماسو » ؟ أنا لا أعرفه . لم أكن في الجزائر العاصمة عندما كان فيها هو سيد الجلادين ، ومع ذلك يكفي أن يتحدث شخص أمامي عن حرب أو ثورة لكي يخطر ببالي ! بل أكثر من ذلك ، يكفي أن أمر بشارع من شوارع العاصمة التي أعطيت لها أسماء جديدة لأتذكره ، ولو لم أمر بشارع « العربي ابن المهيدي »[3] ماسو ، ليس من ذكرياتي في شيء أنا لست مؤرخا ، لكنه يخطر ببالي ضمن سلسلة

(٣) العربي بن المهيدي أحد أبطال الثورة التحريرية ، وأحد قادتها الأوائل ، أعدم من قبل المصالح العسكرية التابعة

طويلة من الأسماء السوداء والبيضاء : « غي مولي »[٤] ، عبدالناصر ، « هوشي مينة » ، نيكسون ، « سالزار » ، « كابرال » ، وغيرهم وغيرهم ، ، بل أتذكر حتى من أخذ جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٧٨م !

إن هذا الميكانيزم الغريب الذي يرتب الأشياء في ذاكرتي ليحيّرني ، يبقي مايشاء ويحذف ما يريد !

كثيرة هي الأسماء المضيئة التي يبهج النفس تذكرها ، ومع ذلك لا أتذكرها بسهولة ، بينما الأسماء المظلمة قلما أجهد نفسي في تذكرها ، هل تلألؤ نور اسم زوجتي يبهر ذاكرتي الى درجة أنها لا تراه من بين الأسماء ؟ لماذا إذن أتذكر أيامنا العذبة ، عندما كنا خطيبين ، نبيت على الأحلام ونصبح على الأماني ؟ إنني أراها رأي العين ، ببسمتها المحتشمة وإشاراتها الخجلة ، بسنواتها العشرين المنادية من وراء فستانها الأرجواني ! أتذكر حتى لقاءاتنا الصامتة وصمتنا الناطق ! أتذكر السيارة التي رفت فيها عروسا ، كانت من نوع «٤٠٤» يوم أن كانت السيارات أشياء مرادفة للخيال ! يوم أن كان الشاب الشعبي يقول « لا من مات ، في كات صاد كات » ![٥] أتذكر عندما دخلت بيتنا وكانت الجزائر لا تملك شيئا ولكن فيها كل شيء ، لم يكن حلب المواد الغذائية يبرمج في مقدمة المهام اليومية كان أيّ طفل يمر ، يمكن أن يرسل الى دكان زاوية النهج فيأتي بما تحتاج اليه ربة البيت ! كانت امكانياتنا المالية محدودة ، لكن وفرة المواد كانت تيسر لنا سبل التصرف ، وكنا سعداء كنت أنادي زوجتي باسمها ، وكانت تناديني باسمي كان اسمانا خفيفين على اللسان وعلى الذاكرة . لا أحد منا يجد مشقة في النطق باسم الأخر لماذا تغير كل شيء ، حتى أسماء الأشياء ؟ نحن الآن نملك كل شيء ، ونفتقر الى كل شيء ! تعلقت عيوننا بما لا نملك ، فنسينا ما نملك ، وخسرنا راحتنا وأرواحنا !

تتهمني بعدم حبها ، لأني لا أتذكر اسمها ! كيف لا أحب زوجتي ؟ هي شبابي الذي لا أنساه هي وطني . فكيف لا أحب وطني ؟

عندما أسألها عن اسمها يغضبها سؤالي ولها الحق كيف يمكن أن تصدق أني لا أسخر منها ؟ هل يعقل أن يسأل زوج زوجته عن اسمها ؟

كثيرا ما أحاول القيام بعملية نقد ذاتي ، لكني أفشل في النهاية كم من مرة طرحت على نفسي هذا السؤال : لو سألتني هي عن اسمي ماذا يكون موقفي ؟ لا جواب أو لقلت في أحسن أحوالي النفسية : « زوجتي مريضة . ولابد من عرضها على الطبيب . »

أحيانا أقول : لماذا لم تتخذ هي موقفا حاسما معي ؟ تتحداني . تقول مثلا « لا أبقى مع زوج لا يتذكر اسمي » . تقول ذلك بجد وحزم . بحيث أفهم أنها تعتزم فعلا فراقي ! وأتذكر أنها لا تستطيع فعل شيء مطلقا أبواها ربياها تربية منزلية ، اذا خرجت من المنزل ماتت ، كالسمكة تخرج من الماء ، لأنها لا تستطيع حتى كسب قوتها اليومي ثم إن القانون لا يعطيها أي حق في المطالبة بالطلاق ، لو طرحت قضيتها على أي قاض . وقالت له مثلا « زوجي نسي اسمي . لا يتذكره باتا . لذلك اريد الطلاق ، لا يمكن ان ابقى مع رجل يستخف بي الى درجة نسيان اسمي » ماذا ترى يكون رد القاضي ؟ لأفرض أنه يحب زوجته مثلي . ويتذكر العواطف النبيلة التي تربط بين زوجين . أتخيل انه يقول لها في أحسن أحواله النفسية « إن مشاكل الحياة معقدة يا امرأة ، لو كنت رجلا لأدركت مانحيا فيه نحن الرجال . احمدي الله أن رفع عنك

---

(٤) غي مولي ، رئيس الحكومة الاشتراكية الفرنسية [illegible] « العدوان الثلاثي » على مصر سنة ١٩٥٦م

(٥) ترجمة الجملة الى الفصحى هي [illegible] ٤٠٤ [illegible] شهيرة واسعة سابقا في الجزائر . وما تزال)

« القلم » ، وكل تكلف مني
لكن القاضي لا يقول هذا ... القاضي ليس روحا
وظيفته تمنعه أن يتكلم بهذه اللغة الساذجة ! ماذا يبقى
من هيبته وسلطته اذا تكلم لغة الأرواح الذين فقدوا
ذاكرتهم ؟ السلطة لها نواميسها وأصولها . إنها لا سمى
سلطة بدون اثارة الاحساس بالخوف . لذلك أعتقد
أن القاضي يرد عليها بحسم ... لا حق لك في
« الطلاق » ... الطلاق لمن أخذ بالساق !
ما أجملها كنكتة فقهية ... الطلاق من أخذ بالساق !
لاحياء في الدين !

روحي مسكينة ، ها هي ذي نائمة الى جانبي ، لا تدري أني أفكر في كل هذا مكانها ! وأعرف انها لا تستطيع فعل أي شيء من هذا القبيل ... ربما أدركت ذلك بحدسها السوي ، لذلك جعلني أعيش في حرمان متواصل ، حتى من المواد التي أشتريها من السوق « السمراء » ! أطلب أي شيء ، فتجيب في الحال « ماكانش » ، خلاص ، ها ذاكرة فيل بكلمات النفي والسلب ... تحفظ من مترادفاتها ما لا تحفظه من جواهر ألفاظ ، قدامة بن جعفر البغدادي !

ماذا أفعل ؟ هل يعقل أن أتعرى من أجل أكلة او شربة ؟ هل يعقل أن انهي حياتنا الروحية ، لأنها لم تلب لي رغبة زهيدة ؟

قلت لها ذات مرة ... « أنت وطني الذي وهبته روحي وحياتي » ... ردت عليّ في الحال بما معناه ... « وطن لم تنس اسمه ، لأنك لست شيئا في اوطان اخرى ... ألم تقل إنك تحمله معك في وجهك ولسانك ؟ أما أنا المسكينة فمن يذكرك باسمي ؟ شابي ؟ لقد شربه ولما تسل حداوله ... مالي ؟ أبي أوصى بمنع بناته من المراث ، قال ... « إنها عادة الأجداد ، أرضنا تبقى تحت اسمنا الأبدي ، لا يمكن بحال أن تنتقل الى غيرنا بسبب أنثى لم يرد مجيئها الى الوجود أحد » ... قال ... « المال كالاسم العائلي لا ينتقل الى احنبي » ... من يذكرك باسمي؟»
أحزنني كلامها ... فهمت منه أكثر مما في كلماته ! ومع ذلك لم أتذكر اسمها !

أسعر باحمالي ترداد ثقلا ، حتى لكأني سائح ! لم لا أغادر الوطن وكل ما اعرف ومن أعرف ، لأبحث عن اسم روحي في أوطان أخرى ، لعل البعد يريح عن ذاكرتي الأشياء الغثة التي تتراكم عليها كل يوم أكثر ؟ لم لا أغادر كل هذه التفاهات والمعضلات العابرة التي أنستني أعز حلم ؟

أجل ، روحي اعز حلم ...

إني أشعر بعيني مغوصتان في اعماقي حتى لكأن أدخل في عالم اخر ! إني احلم لاشك في ذلك ... لقد غبت ولم أدر ... أراني أحلق في فضاء رحب ، رحب ! ما اراه ليس من محض الخيال ، بل هو حلم ؟ هأنا أراني في فضاء منفسح ، ناسيا كل ما يربطني بالأشياء الصغيرة ، كلما علوت ازداد الفضاء علوا وامتدادا ... كم هو جميل التحليق بلا اجنحة ، وبلا طريق ! لكن السفر صعب بلا رفيق ! من هذه الأعالي المعتمة في العلو أرى سحابا كثيفا ، يسرب بسرعة مذهلة ، في شكل حيطان ضخمة مسراصة أرتطم بها في ذعر ، لكنها لا تصمد أمامي ! أبتعد منها الى صحراء قاحلة ، ترية الرمال ... ما أشد الفرق بين التحليق والتعثر في الرمال ! اين أنا ؟ ولماذا جئت الى هنا ؟ بل من ألقى بي هنا ؟ أشعر بالعطش يلهب في حلقي ... لا واحة ولا حياة على مدى الرؤية ... يجب أن أمشي ولو في خط دائري ... الاتجاهات متساوية ، وخطي في العثور على الماء في هذا الاتجاه متساو ايضا ... الحركة في الرمال كالحركة في السلاسل تغل الرجلين !

في لحظة السقوط يتشكل امامي امل في صورة سراب ... أحث السير ... يتلاشى « ماء » السراب ، وتبقى الرمال وحدها بجفافها ولهيبها ، وأتذكر ... لو كان اسم روحي كهذه الرمال لما نسيته ! لا أدري كم مشيت ، ولا الى اين وصلت ، أسقط على الأرض ، وفي سقوطي يقف امامي شيخ يشبه رعاة التوراة !

العصا طويلة تصل الى كتفه ، الشعر ابيض اشعث أغبر ، الملابس رثة ، النظرات واسعة تحتضن الأفق ... يشير اليّ أن أتبعه ... أحاول القيام بكل ما بقي في نفسي من أمل ... أرى رجليه

لا تلمسان الرمل ، بل تتحركان في الهواء ! إنه يمشي في الهواء مشيا عاديا ! أو لعل رؤيتي كلّت ، فلم أعد أفرق بين رجليه والرمال ! كل خطوة اخطوها يتضاعف شعوري بالعطش والتعب . احاول جاهدا أن أحرك رجلي فلا تتحركان ، كأنهما غرستا في الرمل ! يلتفت الشيخ اليّ فيرى حالتي تلك ، ينظر الي برهة ثم يفتح جناحيه ، واذا بواحة تنتصب امامي ! أشعر برطوبة تحت قدمي ، أحس بنسمات تهب في وداعة ولطف على وجهي . يشير الى الشيخ بالجلوس ، أجلس ، وأجد رجلي في بركة ماء لازوردية الزرقة ! أنتعش ، ويبرز رأس زوجتي مّن البركة ! غريب ما ارى ! انها تضحك في براءة الطفل ، في يدها طاس بلوري ممتليء ، تناولني إياه ، أشرب بلهفة ماء لا أعرف أعذب منه ! ينطفيء مارج اللهيب الذي كان يتلظى في صدري بمجرد انتهائي من الشرب . يختفي الطاس ، وتختفي زوجتي بصورة غريبة ! ويزول عطشي نهائيا ، كأني لم أعرف عطشا في حياتي مطلقا ! يضم الشيخ ذراعيه اليه ، فيمحي كل شيء ، وتبقى الرمال وحدها ، ممتدة امتداد الفضاء أمامي . يساورني الخوف وأنا أحيا في هذا الجو السوريالي الغريب ! أخشى أن يلحقني عطش جديد . أقوم وأتوسل الى الشيخ : « إني تهت في هذه الرمال ، ولولاك لهلكت ، أرجوك ، لقد تساوت الاتجاهات أمامي ، وتساوت الآفاق ، فلا أدري أين أتجه ! أريد الرجوع الى وطني ، هل تعرف الطريق إليه ؟ دلني عليه ، أرجوك ! »

ينظر إليّ نظر المشفق الساخر ، ثم يفتح ذراعيه كمن يحتضن الفضاء ، ويقول وهو ينظر الى المدى البعيد : « هذا كله وطن للانسان . ألست من الأرض » ؟

ماذا يقول هذا الشيخ ؟ كأنه أممي لايؤمن بوطن ! أنا أبحث عن وطني أنا ، وهو يتكلم عن وطن لإنسان !

لما رآني لم أجبه ظن أنني لم أفهمه ، فقال : « الأرض متشابهة ، وهي واحدة ، والانسان فيها واحد . والأوطان كلمات وهمية وضعها الأقوياء ليحكموا بها الأغبياء ، والذي يبحث عن الوطن في الأرض كالذي يبحث عن الجنة في السماء ! »

لم أفهم جيدا ما يرمي اليه . سكت ، وراح ينظر في الفضاء البعيد ، كأن الكلمات بدت له أكبر من رأسي ! أود لو أعرف كيف يتصورني هو الآن ؟ ترى من يكون هذا الشيخ ؟ هل هو « درويش » سائح على وجهه ، أو ملك من ملائكة السراب ؟

لم أكد أشرع في التفكير فيه حتى قطع في ذهني أفكاري :

« لست أنا كما تتوهم ، إن الحلم الذي دفع بك الى السفر هو نفس الحلم الذي يدفع بك الآن الى الرجوع ، إنك لم تسافر ، ولم تبرح مكانك ، فلماذا تفكر في الرجوع ؟ انك في مكانك من الأرض ، حيث كنت ، تبحث عن شيء في الفيافي وهو في نفسك ! »

ـ نعم ، نعم ، هو في نفسي ، لكني نسيته : إنه اسم زوجتي ، نسيت اسمها . انني أتعذب ، أرجوك ! . .

ـ زوجتك ؟

ـ نعم ، نسيت اسمها ، دلني عليه ان كنت تعلم مايضيع في الضمائر ، أو دلني على طريقة أتذكره بها ولا أنساه أبدا . أنت الذي يودع الواحات في الرمال القاحلة . . دلني ، أتوسل اليك بمن تحب ! لقد نسيت اسم زوجتي ، كلما حاولت أن أتذكره عرضت عليّ هذه الذاكرة اللعينة صورا بلا ترتيب ، تمثل مشاهد البؤس التي يعرضها برنامج منظمة الأمم المتحدة للتغذية في التلفاز ، أو مشاهد الحروب والمجاعات وقوافل الأيتام والمشردين والخائفين . . مع أني لا أبحث عن هذه الصور مطلقا ، لأني لست في حاجة الى تذكرها ، فهي تتجدد في كل لحظة ، وأمام كل عين ، حتى فقدت كل تأثير .

ـ صف لي زوجتك .

ـ هي . . هي كالذهب رواء !

قاطعني قبل أن أتم وصفها كما أتخيلها الآن وأنا في الرمال .

ـ لاشك أنك فقير ، تصف زوجتك بالذهب !

ـ عفوا ، أردت أن أقول : هي عرجون في نخلة من نخيل الواحات .

ـ إذن أنت جوعان !

قال ذلك بنفس السخرية المازحة . حاولت أن أتدارك هفوتي ، وأصف زوجتي بما لا يقتنى أو يؤكل :

ـ لا لا ، أردت أن أقول : هي شمس لكنها أجمل ، جدول بل أعذب ، أغنية بل أطرب ، هي حب ، لكنها أرحب !

ـ أرحب من الحب ! كيف نسيت اسمها إذن ؟ ليس هناك ما هو أرحب من الحب سوى الحرية !

ـ هي ، هي ! اسمها « حرية » ! يا لسعادتي تذكرت اسم زوجتي !

ـ يبدو أنك لا تحبها كثيرا . . ذهبت تبحث عنها في الفيافي وهي في نفسك !

ـ في نفسي ؟ كيف ؟ حبها ، نعم ، في نفسي . . لكن الشيطان أنساني اسمها ، والحياة ، وأشياء أخرى . . تَشَكَّلَ ضبابٌ كثيف غطى اسم زوجتي في ذاكرتي ، و . . .

ـ متى تزوجتها ؟

ـ منذ مدة طويلة ، منذ شبابي الأول !

ـ زواجا واحدا فقط ؟

ـ وكم تريد أن يكون ؟ هل هناك من يتزوج بامرأة مرات عديدة ؟

ـ لابد أن تجدد زواجك بها كل يوم إذا كنت ـ كما تقول ـ تحبها ، وإلا ضاعت منك هي نفسها ، لا اسمها فقط !

ماذا يقول هذا الشيخ الغريب ؟ أنا أتحدث عن زوجتي وهو يتحدث . . لست أدري عن ماذا ؟ لاشك أنه لم يفهمني ، أو أنه من عالم آخر ، يتزوج فيه رجاله ونساؤه كل صباح !

ـ نعم كل صباح !

قال ذلك وارتفع في الفضاء كالبراق !

وداعا أيها الشيخ الجليل ، ذكرتني باسم زوجتي . رويتني بعد أن كاد العطش يهلكني ، وداعا . أعاهدك ، ولو لم تفهمني ، أو أفهمك ، أنني لن أنسى أبدا اسم زوجتي منذ اليوم : حرية ، حرية حرية !

ـ قم يا رجل ! قم ، مالك تهذي ؟ على من تنادي ؟ انهض !

ـ ماذا ! . . أنا في الفراش ؟ كنت أحلم إذن !

زوجتي تهزني بغضب :

ـ أفق ! من « حورية » هذه التي تحلم بها وتنادي عليها حتى في المنام ؟ قل ، من هي ؟

ـ لاشيء ، حلم . . كنت أبحث عن اسمك في قفار عذراء لو تعلمين !

ـ اسمع ، لا تشعر عليّ ! لست غبية . . من « حورية » هذه ؟ أين عرفتها ؟

ليس من الممكن اقناعها بحلمي ، وبهذا الاسم الغريب الذي ظننته في المنام اسمها !

كنت عازما ان اقول لها : « أنت سجن ولست حرية » ، لكني عدلت عن ذلك ، فالليل مازال أمامنا طويلا ، وكلانا في حاجة الى النوم . .

ـ من هي ؟ . .

نظرت إليها بكل ما أستطيع من حنان ، ومن شفقة أيضا ، وأنا أرى أنه لابد من إقناعها بجواب مهما كان ، وإلا بتنا في ظلام :

ـ عرفتها في السجن !

ـ ومازلت تتذكرها الى الآن ! كيف عرفتها ؟ هل مازلتما على اتصال ؟

ـ منذ زواجنا انقطعت عن الاتصال بها .

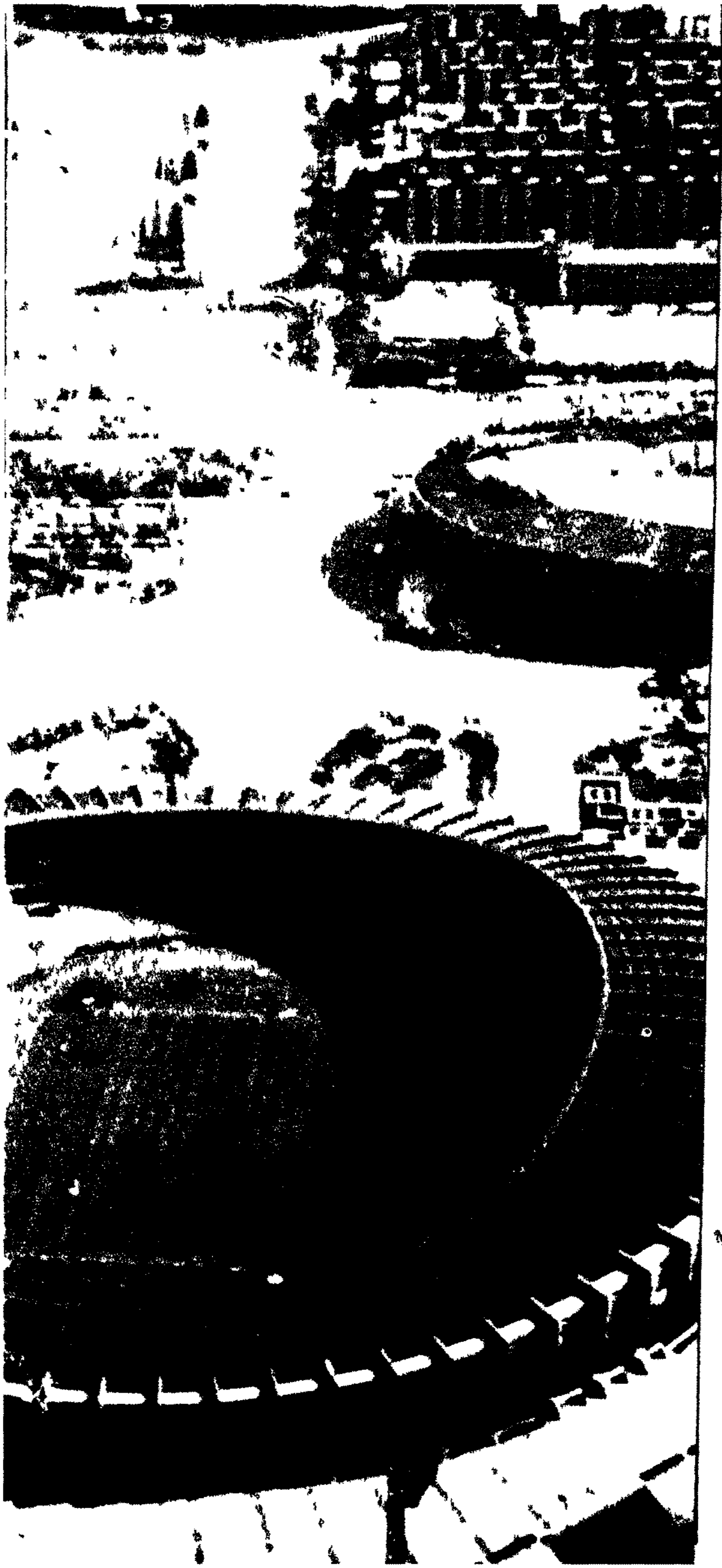
ـ تكذب ، لو لم تكونا على اتصال لما تذكرتها بعد هذه السنين الطويلة . . ولما نسيت اسمي !

ثم استوت جالسة في الفراش ، كمن تذكر شيئا ، وقالت بسخرية :

ـ قل لي ، إذا عرفتها قبل أن نتزوج ، لاشك انها الآن عجوز « حوريتك » هذه !

لم أجبها . حاولت أن استعيد حلمي وأحاول الوصول الى هذا اللغز الذي طرحه عليّ الحلم ، أو ذاكرتي ، لكن ما الفائدة ؟ اسم زوجتي الحقيقي لم أتذكره . . الأفضل أن أنام ، بدل اليقظة في الظلام . □

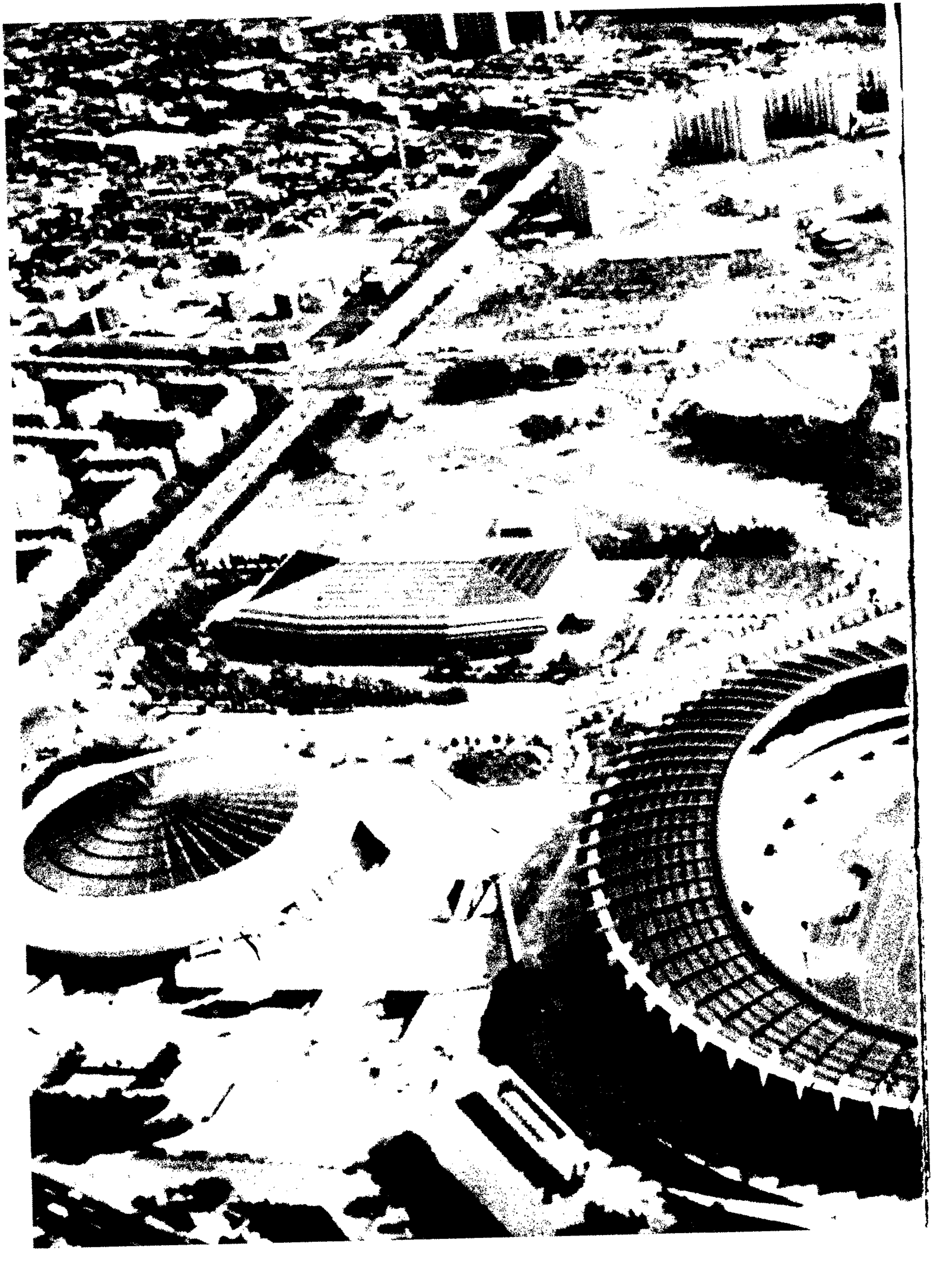
العربي - العدد ٣٥٣ - ابريل ١٩٨٨ م



سيول
عروس الأولمبياد

استطلاع سليمان مظهر
تصوير سليمان حيدر





« في كوريا يقولون إنه لا يوجد منطق ، لكن هناك مشاعر فياضة ، وبصيرة نافذة ، وروح عاطفية منطلقة نحو السماء » .

هكذا قالها الكاتب « لي أو يونج » وهو يتحدث عن سيول* ، العاصمة المستنيرة الزاخرة بالحياة ، فالمثل يقول « إذا كان لديك جواد فأرسله الى شيشو ، وإذا كان عندك ولد فأرسله الى سيول » .

فجزيرة شيشو هي مرتع الجياد بحشائشها الخضراء ومراعيها الخصبة ، أما سيول فهي متعة الأبناء ، الزاخرة بالمدارس والجامعات ، المشرعة الأبواب للباحثين عن الوظيفة في الحكومة والمؤسسات والشركات ، والطامحين الى عالم التجارة والإدارة والمال ، والمغامرين على طريق الحظ والشهرة والمجد ، والمتلهفين للفرص في مختلف ميادين الحياة .

تلك هي العاصمة الاسيوية الثانية بعد طوكيو ، التي تحتضن بين حناياها في السابع عشر من سبتمبر القادم « دورة أولمبياد ١٩٨٨ » .

سيول عروس الأولمبياد ، هي مركز القلب الذي تنبض منه كل عروق الحياة في كوريا ، لكأنها قطعة عملاقة من المغناطيس ، تجذب الى مجالها السحري كل شيء ، الحكم والمال والتجارة والصناعة والسياسة والعلم والثقافة والفن والتاريخ . وقد استجاب لحركة الجذب المغناطيسي كل سكانها الذين يتجاوز عددهم ربع سكان البلاد ، رجالا ونساء وأطفالا ، حتى أنك لو تسللت الى طرقات المدينة بعد السادسة صباحا ، لوجدت نفسك غارقا في خضم دوامة الزحام الخانقة المسيطرة على الشوارع والأرصفة وإشارات المرور ، ولتعذر عليك أن تتنفس دون أن يمتلىء صدرك بدخان عوادم الحافلات والسيارات والدراجات البخارية وهي تجري وتتقافز في صراع مستميت وسباق مجنون !

قبل أن تبدأ جولتك في المدينة ، فاعجب لتماسكها وتكيفها ، وانظر الى انقسامها وتفرعها بين قديم هامد وجديد صاخب ، بين معالم ساكنة ومشاهد متغيرة . وتذكر ماقاله أحد أبناء المدينة « تفهم سيول ، تعرف عليها وعلى ناسها ، عش في عمقها ، واندمج مع أهلها ، عندئذ ستفهم كوريا بكل تناقضاتها الظاهرة والخافية »

حقا إن سيول هي روح كوريا المنطلقة نحو القمة ، وهي المدينة التي دفنت تحت الانقاض والرديم لتنهض فجأة في إعجاز ، لتنافس كبريات العواصم المتطورة المتقدمة ، سواء في الشرق أو في الغرب !

نظرة من فوق القمة

سيول كما رأيناها وتجولنا بين أنحائها ، مزيج من القديم والحديث . أما الحديث فهو ما اطلعت عليه عيوننا ونحن نطل عليها من فوق برج « نامسان » ، أبرز معالم المدينة ، التي تتناثر على صفحتها مجموعات من ناطحات السحاب الحديثة ، التي شيدت في فترة وجيزة لا تسبق بدايتها عام ١٩٨٠ . وإن كانت قد بدت لنا كأقزام ونحن نطل عليها من فوق البرج الذي يعتبر ثالث أعلى برج في العالم

انطلقنا الى قمة البرج « بالتلفريك » الكهربائي

---

* يسميها بعضهم سيئول ، ويسميها آخرون سول ، وينطقها الكوريون سه ب بتخفيف الياء ، وحروفها بالانجليزية هي Seoul

السريع ، إنه يرتفع حوالي ٤٧٩ مترا فوق سطح البحر ، مها ارتفاع حبل نامسان البالغ ٢٤٣ مترا وطول حسم البرج البالغ ٢٣٧ مترا

أما الشرفة التي هبطنا عليها فترتفع ٣٥٥ مترا فوق سطح البحر ، ومها انتقلنا الى شرفتين أحريين على درحات وصلت بنا الى الشرفة المفتوحة الواسعة ، حيث الهواء النقي الطلق ومها صعدنا الى الشرفة الدائرية حيث محلات بيع الهدايا التدكارية ومطاعم الوحبات الخفيفة ومن هده الشرفة كانت إطلالتنا على المدينة الحديثة التي بدت كأنها مدينة أقزام بسياراتها التي تظهر كالنمل المتحرك حول مانيها التي تبدو مثل علب الكبريت !

المدينة الحديثة ساطحاتها ومجمعاتها وفنادقها ومصانعها وشوارعها الفسيحة النظيفة المنمقة ، بدأ تأسيسها الحديث عام ١٩٤٦ ، بعد أن تحررت من الحكم الاستعماري الياباني ولم تكد ترفع رأسها حتى شهدت فترة من التخريب والتدمير خلال الحرب الأهلية التى دارت بين الشمال والجنوب ، وامتد لهيبها ثلاث سنوات ومع نهاية الحرب عام ١٩٥٣ عادت لتصبح إحدى أكبر عشر مدن في العالم ، بملايينها العشرة الدين قام على أكتافهم بناء المدينة ، التى امتدت على مساحة ٦٢٧ كم٢ في عام ١٩٧٣ ، تم اتسعت بجهدهم ومثابرتهم وحديتهم لتتحول الى مدينة عصرية رائعة ، تعد من أجمل مدن العالم

مانهاتن الكورية

من يستطيع ان يصدق عينيه عندما يجد أن كثبا رمليا كبيرا متحللا من نهر « هان » قد تحول الى مدينة تناطح مبانيها السحاب ، في مدى أقل من خمس عشرة سنة ، يتزاحم بين حناياها نهارا مئات الآلاف من العاملين المتدافعين الى أعمالهم ، ويتحول ليلها الى أضواء متلألئة متباينة الألوان ، مع تواصل نشاطات أبناء المدينة في مختلف الميادين

يحتضن حي « يودو » وحده مئات المنشآت الحكومية الرئيسية ، بما فيها مبنى الجمعية الوطنية بقبته النحاسية الضخمة ، والمركز الرئيسي للإذاعتين المرئية والمسموعة ، والمؤسسات العامة للصناعة ، والمصارف ، والمجمعات والمراكز التجارية تتوسطها أطول ناطحة سحاب في اسيا بطوابقها الثلاثة والستين التي تعتبر قمة من قمم النهضة الكورية الحديثة

أما الجسر الطويل الممتد بعرض نهر « هان » الذي لا يقل اتساع مجراه عن نهر النيل . فيربط حي يودو ، بقلب سيول الذي يسمونه « مانهاتن كوريا » ، حيث المركز المالى الرئيسي الشبيه بمثيله في الولايات المتحدة ، والذي يضم البنك المركزى وسوق الأوراق المالية والمصارف الائتمانية

وفي الضفة الجنوبية لنهر « هان » يمتد حي « يونج دونج » الذي تربطه بالمدينة القديمة ثلاثة جسور ، ويتوسطه مجمع المعارض الكبير المسمى « كوكس » ، بما يضمه من أجنحة لمختلف المعروضات والصناعات والسلع التجارية المحلية والأجنبية

النهر الكبير الذي يقسم سيول ، ويمتد مسافة ٥١٤ كم من منبعه في قلب شبه الجزيرة الكورية ، لم يلعب دورا رئيسيا في الحياة السياسية والاقتصادية والصناعية والتجارية والثقافية للبلاد فحسب ، بل لقد كان له دور رئيسي في الدفاع الوطني والأمن القومي ، كما كان مسرحا للحكايات والأساطير الشعبية للشعب الكوري ، لهذا لم يكن غريبا أن يلقى النهر ذلك الاهتمام الحضاري الذي يجعله نموذجا للتألق والجمال ، بما أقيم على طول ضفتيه من المتنزهات والحدائق والعمران الحضاري ، بتنسيق نموذجي ، وما امتد على شطآنه من شبكات للتصفية ، تساعد على تطهير مياه النهر وتنقيتها ، وتضمن عدم تلوثها بالنفايات والعوالق ، ليكون مرآة لامعة نظيفة طوال اختراقه للمدينة بين الشمال والجنوب

على جانب هذا النهر العظيم ، أقيم أحدث الانشاءات الحديثة في سيول وأجملها ، بالجهد والتصميم والمثابرة والبراعة في الإنشاء والعمارة ، إنها المدينة الأولمبية ومجمع سيول الرياضي

ميدان أولمبياد ١٩٨٨

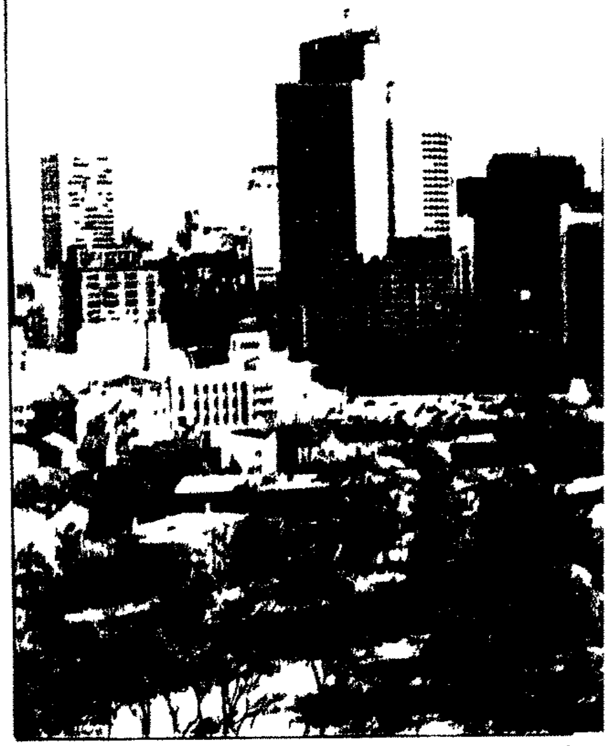
هنا نشهد صورة رائعة للإنشاء والتنظيم















* [illegible]
[illegible] في مشهد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
من ٥ ٧ [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
([illegible])

والإعداد ، تتفق مع الشعار الذي اتخذته « لجنة سيول لدورة الألعاب الأولمبية » تحت عنوان « حسن التنسيق والحرص على النجاح » .

منذ اللحظة الأولى داخل أسوار المدينة الرياضية ، أحسسنا بمدى الجهد الذي يبذل لتأكيد تصميم كوريا الجنوبية ـ كأول بلد نام ينظم دورة الألعاب الأولمبية ـ على أن تجعل من الدورة حدثا رياضيا عالميا مهما ، وتجربة ثقافية رائدة . وكما قال لنا مرافقنا الذي تجول بنا بين أنحاء المدينة : « لقد صدقت نيتنا على أن نجعل هذه الدورة أكثر الدورات كفاءة ، وأنجحها اقتصاديا في تاريخ الألعاب الأولمبية ، وبذلك نعطي مثلا يمكن أن تحتذي به سائر البلدان النامية ، وتصبح الألعاب الأولمبية حدثا دوليا بمعنى الكلمة ، ليست مقصورة على الدول المتطورة وحدها » .

عندما بلغنا الساحة المواجهة لادارة الأولمبياد ، فوجئنا بمئات من الشباب يؤدون تمارين الصباح الرياضية في جد ونظام ومثابرة مدة لا تقل عن نصف ساعة تصورنا أول الأمر أنهم من الرياضيين الكوريين الذين سيسهمون في ألعاب الدورة ، لكن اتضح أنهم جميع الموظفين العاملين في المدينة الأولمبية ـ لم يتخلف منهم أحد ـ يبدأون يومهم بتدريبات رياضية ، تكفل لهم النشاط والحركة وسلامة البنية . » (والعقل السليم في الجسم السليم)

الحلبات وأحواض السباحة

المجمع الرياضي يحتل مساحة من الأرض تبلغ ٥٤٥ ألف متر مربع ، والمدرجات في صالاته معدة لاستقبال ٢٠٠ ألف مشاهد ، ومواقف السيارات تتسع لعشرة الاف سيارة ، والمنشآت الرياضية استخدمت لاقامتها وتشغيلها أحدث الآلات الميكانيكية والالكترونية والتقنية

وندخل الى حلبة الاستاد الأولمبي .

الساحة مساحتها ١٣٢ ألف متر مربع ، والمدرجات تتسع لمائة ألف متفرج ، تتحرك كلها الكترونيا ، بحيث تتداخل كل مقاعد المدرجات في بعضها لتظهر لامعة نظيفة امنة من جوانب الملعب قبل المباريات لاستقبال المشاهدين ، ثم تختفي تماما بعد خلو الملعب في أقل من نصف ساعة ولا يظهر منها شيء . أما المدرجات فمغطاة بمظلة دائرية جذابة ، تمتد من جوانب الاستاد ، وقد صممت بطريقة تجمع بين هندسة العمارة الحديثة والنمط التقليدي الكوري . في هذا الاستاد الرئيسي ستقام مراسم افتتاح الدورة وختامها . وفوق ساحته ستجري مباريات كرة القدم النهائية ومسابقات الميدان وألعاب الفروسية .

وفي الجانب الشمالي الشرقي من المجمع الرياضي ندخل الى صالة الجمنازيوم المغلقة ، المساحة تبلغ ٢٦ ألف متر مربع ، وتتسع المدرجات لعشرين ألف متفرج جلوس و ٧٥ ألفا وقوفا . ويدخل في نطاق الصالة قاعتان للتدريب ، وقاعة للمؤتمرات ، ومكاتب مخصصة للتسهيلات الخاصة باللاعبين

في الركن الشرقي يحتل حوض السباحة المغطى مساحة من الأرض تبلغ ٢٢ ألف متر مربع ، وتتسع مدرجاته لحوالي ستة الاف متفرج ، أما الحوض الذي ستجري فيه مسابقات كرة الماء والغوص فيبلغ طوله ٥٠ مترا وعرضه ٢٥ مترا بعمق خمسة أمتار ، والى جواره حوض اخر تجرى فيه التدريبات وعمليات التسخين قبل المباريات

أقيم الحوض المغطى على هيئة سفينة بشكل السلحفاة تسمى « جوبكسون » ، وهو اسم سفينة القيادة للاميرال « لي سون شين » التي قاد بها المعركة البحرية ، حيث حقق الانتصار على أسطول الغزو الياباني في أواخر القرن السادس عشر . وقد تم فتح هذا الحوض في غير أوقات المسابقات في الدورة لتستغلها ربات البيوت والأطفال في ممارسة السباحة والسباقات المحلية .

في الجنوب الغربي من المجمع الرياضي يقوم ملعب مغطى مخصص للبيسبول على مساحة ٦٠ ألف متر مربع ، ويتسع لخمسين ألف متفرج ، ويضم الملعب قاعات للتسهيلات وغرفا للتدريب وصالة للتليفزيون ، وقد أنشيء على الشكل التقليدي المعروف في كوريا ، وخاصة أن لعبة البيسبول

رياضة شعبية يعتز بها الكوريون . وكنا نشاهد الشباب في زي اللعب وهم يصوبون الكرات ويصدونها بمضاربهم خلال ممارسة اللعب في أي أماكن فسيحة تصلح للعب .

وعلى مسافة حوالي أربعة كيلومترات تقوم قرية الألعاب الآسيوية ومنتزهاتها ، التي شهدت دورة الألعاب التي أقيمت في سيول عام ١٩٨٦ . تحتل القرية حوالي ميلوني متر مربع ، منها مليون وستمائة ألف مخصصة لحلبات السباق ، بينما الباقي عبارة عن منتزه تتناثر بين خضرته أحواض الزهور المنسقة في جاذبية رائعة .

القسم الخاص بحلبات السباق يضم ثلاث صالات مغطاة ، تتسع لحوالي ٢٦ ألف متفرج ، وتجرى فيها مسابقات الألعاب السويدية ، والمبارزة بالسيف ، ورفع الأثقال ، كما تضم حوض سباحة مغطى ، يتسع لعشرة الاف متفرج ، وتجرى فيها مسابقات السباحة والغوص

وعلى الطريق الموصل بين المجمع الرياضي والمنتزه التابع له نشهد القرية الصحفية والقرية الأولمبية على أرض مساحتها ٦٢٦٤٤م . هاتان القريتان تضمان ٥٥٤٠ شقة سكنية في ١٢٢ مبنى ضخما تتسع لإيواء ١٣٠ ألف رياضي وإداري ينتمون الى ١٦٧ دولة ويتبارون في ٢٣ نوعا من الألعاب الرياضية ، بالاضافة الى حوالي عشرة الاف صحفي

لقاء مع رئيس الإعلام

قال لنا رئيس مكتب الإعلام لما وراء البحار « لي زاي هونج » : عملية الإعداد للألعاب الأولمبية وتهيئة الأماكن المناسبة للمسابقات وما يتبعها من التسهيلات تعتبر من أكثر العمليات تكلفة في العالم ، ولذا حرصت اللجنة المنظمة على استكمال أعمال التخطيط في وقت مبكر للحيلولة دون إهدار الأموال في الانفاق على منشات لا طائل وراءها ولا ضرورة لها . كما حرصت كذلك على الاستفادة التامة من المنشآت القائمة فعلا ، ووضعت الخطط لتجديدها وإصلاحها لتكون صالحة للاستعمال الدولي .

وعندما بدأت إقامة المنشآت الجديدة وضعت اللجنة في اعتبارها أن تضمن لكافة المشاركين في الدورة كل التسهيلات التي تمكنهم من تقديم أحسن ما عندهم وإظهار كل قدراتهم » .

ولكن . . كيف ستجري ألعاب الدورة ؟

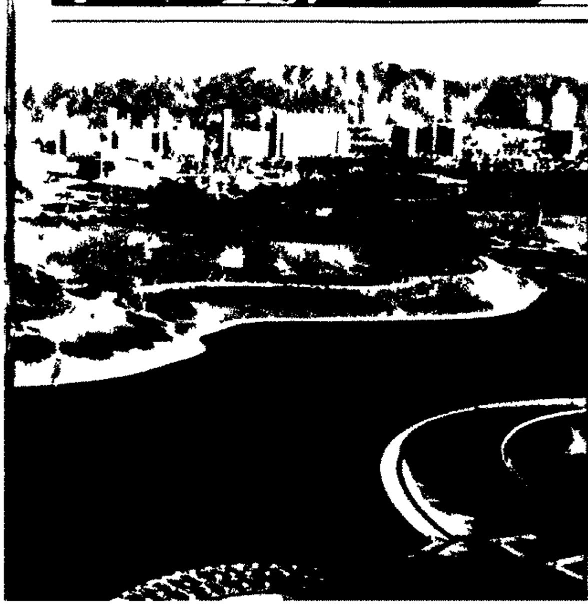
لقد تقرر إقامة ٣٤ حلبة للمسابقات ، بعض هذه الحلبات تولت البلديات إقامتها ، بينما أقامت الجامعات والمؤسسات الخاصة حلبات أخرى ، وافقت على وضعها تحت تصرف اللجنة المشرفة طوال فترة الدورة ، وتم إعداد ٨٥ ميدانا للتدريب ، ستوضع كلها تحت تصرف الرياضيين .

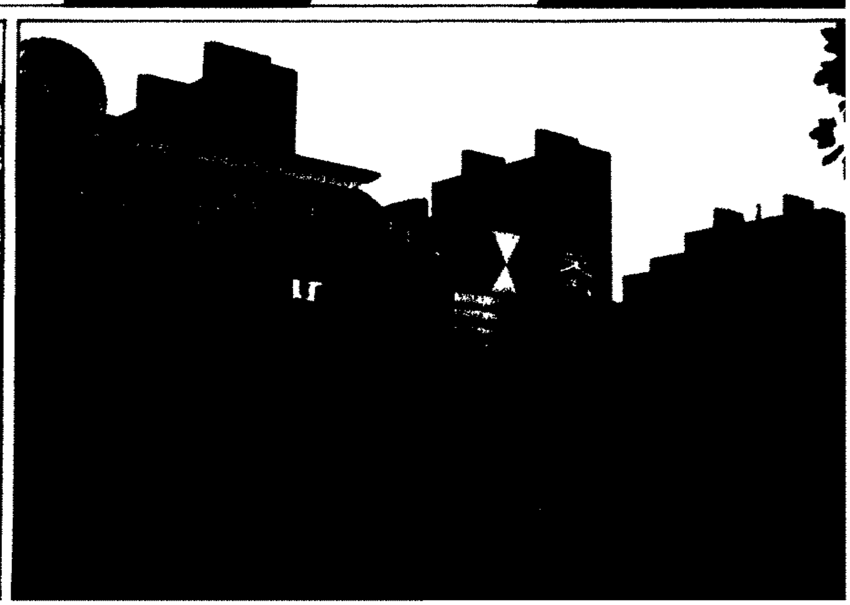
شهدنا جملة من الإنشاءات الأخرى التي وضعت تحت تصرف اللجنة المشرفة على الإعداد للدورة ، منها ملعب « تونجدامون » المدرج ، وتتسع مدرجاته لثلاثمائة ألف متفرج ، وهو مخصص لسباق الخيل وهناك ميدان الرماية الدولي في « تايننج » شمال شرقي سيول ، أما المسابقات الأخرى في الرماية بالسهام فقد أعد لها ميدان « هوارانج » ، وستجرى مسابقات كرة المضرب في صالة الألعاب المغطاة بجامعة سيول الوطنية أما مسابقات الفولي بول فستجرى في ملعب جامعة هانيانج المغطى على مسافة عشرة كيلومترات من القرية الأولمبية ، وتتسع مدرجاته لثمانية الاف متفرج أما في المدن الأخرى فستقام مباريات عديدة ، ففي ملعب سوون المغطى الذي تتسع مدرجاته لحوالي خمسة الاف ستقام مباريات كرة اليد ، بينما في ملعب سونجنام الذي يتسع لحوالي ٢٥ ألف متفرج ستجرى مباريات الهوكي والمصارعة ، وفي ملاعب البلدية في تايجون وكوانجيو وتايجو وبوسان التي تتسع مدرجات كل منها لحوالى ٣٠ ألف متفرج ستقام المباريات التمهيدية لكرة القدم .

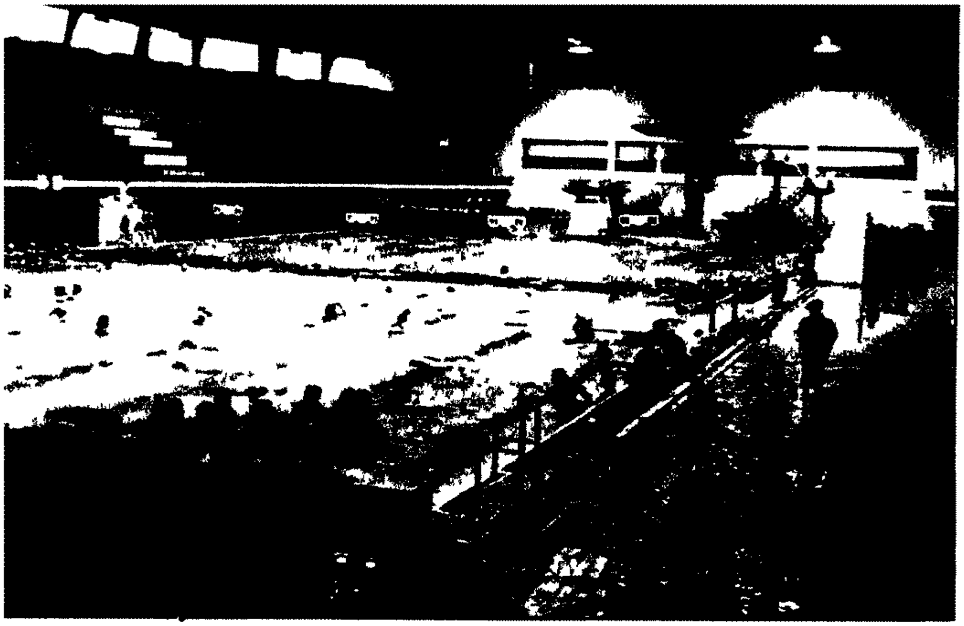
كل النفقات غطيت

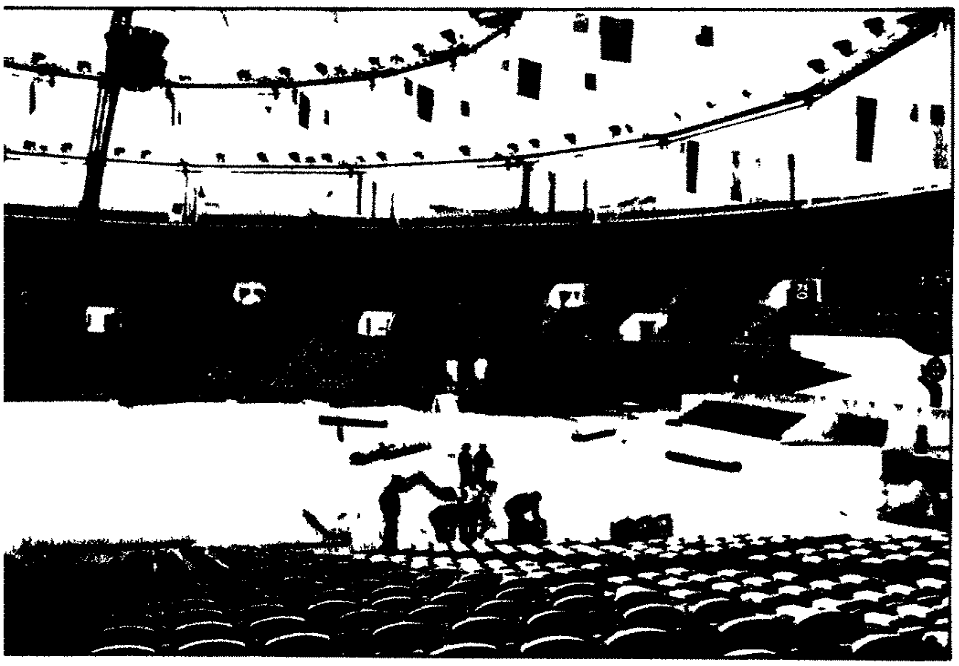
يثير كل ذلك تساؤلات حول النفقات التي صرفت للإعداد للدورة ، وردا على هذه التساؤلات كانت إجابة رئيس مكتب الإعلام : « وضعت الخطة على أساس أن التكاليف تصل الى ٣١٠٠ مليون دولار













* الاسـاد الكـر ابـرز معـه لمدسه الـرياصـه (أعـلى) ويمتـد عـلى صـول شـاطىء مهرهار حيث سدو حلفه مبانى المديه ومن بينها نبانات القـرية الصحفيه الى تسـع لايـواء ۱۳۰ ألف ريـاضى (الى اليمين) وحيث تجرى الاستعـدادات في مختلف السـاحات الـرياضية بما في ذلك مركز الهدايا التذكـاريه للدورة (الى اليسار)





أمريكي ، منها ١٤٠٠ تكاليف المشروعات الثانوية التي ترتبط بالألعاب الأولمبية ارتباطا غير مباشر ، ومن هذه المشروعات ما يعتبر جزءا من خطة التطوير الاقتصادية والاجتماعية الخمسية ٨٢ ـ ٨٦ التي سبق وضعها وإقرارها ، مثل مشروع تطوير نهر هان ، ومشروعات تجديد مدينة سيول ، أما بقية التكاليف البالغة ١٧٠٠ مليون دولار فقد تم إنفاقها بشكل مباشر على الإعداد للدورة وإنشاء مراكز التدريب والتسهيلات الأخرى ونفقات العمل وتكاليف إقامة المنصات ومستلزمات الألعاب المختلفة ، ومتطلبات الأمن .

لكن ، هل تتحمل الحكومة كل هذه النفقات ؟

الحقيقة أن بعض هذه النفقات قد قام بدفعها مجموعة من المستثمرين لإنشاء القرية الأولمبية والقرية الصحفية ومركز رسو اليخوت وبعض المرافق الأخرى ، وسيقوم هؤلاء المستثمرون باستغلالها لأنفسهم بعد انتهاء الدورة ، أما بقية النفقات فستكون لجنة تنظيم الألعاب مسئولة عن تحصيلها من خلال بيع حقوق البث الإذاعي والتليفزيوني وإصدار عملات تذكارية وبيع تذاكر « اليانصيب » وحقوق استعمال شعار الدورة ، بالإضافة الى قيمة التذاكر المبيعة . وهناك تغطية أخرى للنفقات ، فجميع الشقق السكنية وعددها ٥٥٤٠ شقة قد تم بيعها بالفعل لأبناء المدينة ، وسيمتلكونها فور انتهاء الدورة .

كل الظواهر تؤكد أن دورة الألعاب الأولمبية في سيول مع هذه الاستعدادات الجادة ستكون من أروع الدورات التي شهدها العالم .

وليس هذا رأينا فقط ، فهو أيضا رأي خوان سامارانش رئيس اللجنة الأولمبية الدولية الذي قال : « إن دورة الألعاب الأولمبية في سيول ستكون أنجح الدورات في تاريخ الأولمبياد ، فقد فعلت كوريا الجنوبية كل ما بوسعها من أجل الإعداد لها ، وقد شهدت بنفسي الاستعدادات الرائعة لهذا الحدث الكبير الذي أستطيع أن أقول إنه يفوق كل ما شهدته في الدورات السابقة » .

هذا هو ماقاله سامارانش في كلمته التي ألقاها أثناء الاحتفال برفع الستار عن النصب التذكاري النحاسي الذي أهداه للجنة المنظمة ، فنان اسباني ، وهو نصب يمثل رياضيا شابا وقد قام بصنعه هذا الفنان ، وتقرر أن يوضع في المتنزه الأولمبي .

وقد تبع الحفل دعوة مفتوحة لكل المشاركين في الإعداد للدورة مع أعضاء اللجنة الدولية ، لتناول نماذج من الأطعمة التي ستقدم للرياضيين ، أبرزوا فيها فنون المطبخ الكوري والاهتمام بتجهيز الوجبات المناسبة لكل الرياضيين من مختلف الدول .

حكاية لحم الكلاب

قبل أن ندخل القاعة التي أقيمت فيها المأدبة ، تبادلنا وزميلي المصور نظرات التردد عندما وجدنا في الصدر مائدة حافلة بالطعام الشعبي المميز للاعبين الكوريين ، وهو ماكان علينا أن نجربه في البداية ، وأدركت مرافقتنا سر ترددنا وما كنا نخشاه فقالت باسمة :

ـ لا تخشوا شيئا ، المهم ألا تجربوا « البوشنتانج » !

كنا نسمع أن البوشنتانج نوع من الطعام يفضله الكوريون وبخاصة في الريف ، وهو شواء من « لحم الكلاب » ، وبسببه كنا نتعمد ألا نأكل اللحوم في أي وجبة إذا كانت خارج الفندق ، لهذا أعلنا لمرافقتنا أكثر من مرة أننا لن نجرب أي شواء !

ابتسمت وهي تقول :

ـ عليكم أن تطمئنوا ، فالبوشنتانج ممنوع بأمر الحكومة في كل المدن الكورية ، وإن كان بعضهم في القرى مازالوا يفضلونه ، لكن لماذا تتأففون ؟ لقد سمعت أن بعض القبائل العربية تأكل الجراد ، وفي أوروبا يأكلون لحم الخيل ، وفي فرنسا يتلذذون بأكل الضفادع ، والفلاحون في بعض الدول الغربية يأكلون فيران الحقل ، وفي بعض دول أفريقيا يأكلون دود الأرض الكبير مسلوقا ومقليا ومشويا أيضا . . !

كانت تقول الحقيقة . ولكننا عندما جربنا وجبة الطعام الشعبية لم نتناول سوى الأطباق الرئيسية من الطعام الكوري ، وهي الحساء والأرز والخضار

المشكل مسلوقا والبقول المطحونة بالثمار و« الكمشي » ، وهو كرنب مخلل متبل حار المذاق ، ومرق الصويا ومعه منقوع « الجينزنج » وهو نوع من الأعشاب يعتقدون أنه يقوي الجسم ويجدد الشباب !!

وكانت هناك أطباق أخرى تقدم كلها وتؤكل معا ، منها « البولغوفي » وهي شرائح من لحم البقر تشوى على الجمر فوق المائدة ، بعد أن تتشرب بمرق الصويا الممزوج بالزيت والسمسم والثوم وعدة توابل أخرى ، وذلك غير « الشينسوللو » ، ويجمع بين اللحم والبيض والجوز وخضراوات مرتبة بشكل فني جميل في طبق ذي مدفأة مصممة للمحافظة على حرارة الطعام عند درجة معينة .

مثل هذه الأطعمة التي يتميز بها المطبخ الكوري جربناها بعد ذلك خلال جولاتنا بين معالم سيول الحديثة والقديمة ، خاصة عندما كنا نتنقل بين الأسواق الشعبية والأحياء التجارية التي لا تستطيع أن تقطع جولتك فيها لتعود الى الفندق لتناول الطعام الغربي .

الأسواق متعة وحدها

في هذه الأوقات كانت متعتنا أن نتجول بين المتاجر والمعروضات داخل أسواق « نامدامون وتو نجدامون وايتاون » ومراكز الصناعات التقليدية في مبنى دمون ، والأسواق الشعبية العامرة بالبضائع ذات الثمن الزهيد . هناك كنا نصاب بالدهشة أمام الطريقة التي يتعاملون بها مع كل راغب في الشراء من معارضهم ومتاجرهم ، فالبائعات عندما يروننا نقترب كن يخرجن إلينا من المعرض لمصافحتنا ببشاشة وود وترحيب ، ويجذبننا الى الداخل ، وهذا ما يفعلنه مع الجميع . وطريقة البائعين محببة ومغرية في عرض سلعهم التي يعرفون من خلال نظرتهم الى المشترى والمتجول في السوق كيف يجتذبونه ، وهم يدركون من خلال نظرتهم المتفحصة جنسية الزبون ، وما يود أن يقتنيه ، وما يمكن أن يغريه ، المساومات لابد منها ، وهي إحدى سمات ، التعامل التجاري وبخاصة في أسواق ايتاون التي يرتادها السياح من كل مكان . . وتستطيع أن تهبط بالثمن المعروض الى ثلث القيمة أو نصفها في كثير من الأحيان . ومهما دفعت من ثمن فلن تستشعر أنك كنت مغلوبا في عملية الشراء ، خاصة عندما تشتري الملابس أو الأقمشة التي يفصلونها لك خلال ٢٤ ساعة لتتسلمها « بدلة » من ثلاث قطع غاية في الأناقة والدقة وسلامة المقاس ، وبأقل الأسعار ، بل حتى ملابس النساء يمكن تفصيلها خلال نفس المدة بعد اختيار نوع القماش ، وأجمل أنواع الحرير ، بألوانه الزاهية الأنيقة . لكن هناك ما هو أكثر جاذبية من الملابس والأقمشة والأحذية ، إنها المجوهرات ، والصناعات التقليدية واليدوية ، والفنية التي تعمر بها المعارض والمحلات بل حتى الأرصفة التي يفترشها الباعة على الجانبين ، ويعرضون عليها كل أنواع السلع ، بما في ذلك الأجهزة الالكترونية والساعات والحقائب وألعاب الأطفال ، خاصة المصنوعات الجلدية ، ومنتجات الكائنات البحرية المحببة ، الموجودة بكثرة في كل مكان . وأجمل من كل ذلك ما تجده في أسواق تونجدامون من القطع الفنية التقليدية والتاريخية والأثرية ، وبخاصة المحفورة في الخشب أو المصنوعة من السيلادون والسيراميك واليشب الأخضر الذي يبدعون في تشكيله وصياغته ويجد له سوقا رائجة بين السياح القادمين من دول الغرب ، باعتبارها أجمل الهدايا التي تمثل إبداع الشرق ، على أنك طوال تجولك في الأسواق الممتدة ومع مضي الوقت ستجد باستمرار ما يخفف عنك التعب في المطاعم والمقاهي وأندية الموسيقا والفيديو ، وكلها تتميز بالاناقة والنظافة والجاذبية في كل شيء .

متحف بلا جدران

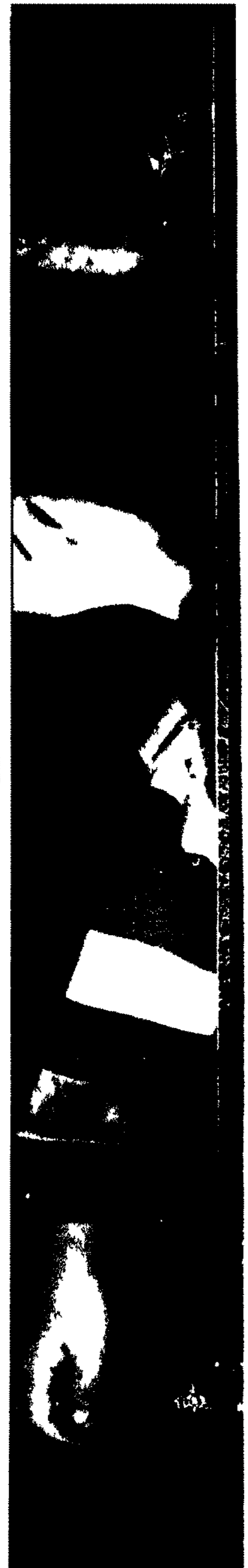
وبعيدا عن الأسواق نواصل جولاتنا في سيول عروس الأولمبياد .

وهي حقا عروس تتألق في كل شيء ، بالجمال والأناقة والنظافة التي لا تجد معها ورقة أو عقب سيجارة في الطريق أو على الرصيف أو أي نفاية يمكن أن تخدش جمال المدينة ، بل إن ذلك الجمال يزداد


孝









* لا يقتصر التعليم
على المدارس
فالمسيرة التعليمية
تشمل أيضا المعاهد
الفنية حيث تدرب
على الصناعات
التقليدية بما في ذلك
صناعة الملابس
والمنسوجات والفنون
الجميلة من رسم
ونحت وموسيقى
تشترك فيها كلها
فتيات الجيل الجديد
يتعلمنها على أيدي
المتمرسات من
المعلمات
والفنانات

جاذبية بما يعمرها من معالم معتنى بها كل العناية ، يمتد تاريخها الى أكثر من ستمائة سنة من الثقافة الكورية ، يمثلها تراث وكنوز ، تجعل منها بانوراما ومتحفا مفتوحا لكل فنون البلاد وتاريخها وأمجادها .

على أن هذه السنوات الستمائة هي فقط الأكثر بروزا في عمر سيول الذي يمتد الى ثلاثة آلاف سنة في عمق التاريخ . كانت المدينة في أول أمرها تحمل اسم « ويرى سانسونج » ، ومعناها « القلعة » ، في عصر مملكة بايكيزيا ، إحدى الممالك الثلاث الكبرى التي حكمت شبه الجزيرة الكورية منذ عام ١٨ ق . م ، حتى قامت مملكة شيلا الموحدة (٦٦٨ ـ ٩٣٥م) ، ثم مملكة كوريو (حتى عام ١٣٩٢م) ، حيث بدأ عصر مملكة زوسان (عصر يي) التي امتد حكمها حتى بداية القرن العشرين عام ١٩١٠ واتخذت المدينة مقرا لحكمها بعد أن حولت اسمها الى (هايناتج) .

خلال عصر « يي » شهدت العاصمة أزهى فترات تاريخها الذي ماتزال معالمه باقية حتى اليوم ، فقد أقيمت على أسس هندسية متميزة ، سواء في قصورها الرائعة أو معابدها الملكية ، أو أسوارها المحصنة التي كانت تحيط بالمدينة بطول ١٧ كم ، تتلوى بين جبل نامسان وجبل بوك هانسان ، ببواباتها الثماني التي مازال متبقيا منها خمس حتى الآن ، وأعيد ترميمها وأصبح بعضها يتوسط أجمل الميادين وأفسحها ، مثل البوابة الجنوبية (نامد امون) ، والبوابة الشرقية (تونجد امون) .

بعد الغزو الياباني لكوريا عام ١٩١٠ أعيدت تسمية المدينة لتصبح « كيونج سونج » ، وظلت تحمل ذلك الاسم حتى أغسطس عام ١٩٤٥ ، حين تحررت كوريا من الحكم الاستعماري الياباني ، وسمت عاصمتها « سيول » .

من خلال نظرة قريبة متعمقة تجولنا بين معالم رائعة من الآثار القديمة في « مدينة الملوك » التي تم ترميمها والمحافظة عليها . روعة هذه المعالم تبدو في القصور والمعابد والأضرحة والأسوار والبوابات البرجية والمتاحف التي تعطي لدارسي الحضارة الكورية ثروة ضخمة من المعلومات عن البلاد وسكانها ، وتمثل تاريخا مجيدا لعصر مملكة زوسان الذي امتد أكثر من خمسة قرون .

تعال بنا نشهد بعض أمثلة ذلك التاريخ الذي يعتز به الكوريون ، ويغذون به أبناءهم منذ مراحل الرياض والابتدائي ، الذين تراهم يتجولون بين أنحاء القصور والمتاحف باحترام وهيبة ، ويسجلون في دفاترهم الصغيرة كل ما يرونه اعتزازا منهم بماضيهم التليد .

عندما تحكي القصور

وندخل قصر « كيونج بوكونج » وهو قصر سيول الرئيسي ، بناه الملك تايجو عام ١٣٩٤ ، لكنه أحرق عند الغزو الياباني عام ١٥٩٢ ، وترك القصر المدمر مخربا تماما حتى عام ١٨٦٧ ، حين قام الحاكم تاونجون بإصلاحه وترميمه ، ليكون مقرا لابنه الملك كوجونج ، ولأجل أن يجعل القصر آية في العظمة أقام مجموعة من الأجنحة والقاعات الملكية التي تفوق ما كان عليه القصر الأصلي من فخامة ، واضطر لمواجهة النفقات الضخمة لإعادة تشييد القصر الى فرض ضرائب ثقيلة على الشعب ، وصك نقدا بقيمة كبيرة دون تغطية قيمته بالذهب ، وسخر عمالا من جميع أنحاء البلاد ليشاركوا في البناء . وقد أثقل ذلك كاهل الميزانية النقدية للمملكة حتى أن استنزاف أموالها لإعادة بناء القصر كان سببا غير مباشر وراء سقوطها في أيدي الغزاة عام ١٩١٠ .

ولأهمية القصر وارتباطه بالتاريخ القومي فقد اهتمت به الدولة بعد الاستقلال ، وأعيد بناء بوابته الرئيسية (كوانجدامون) عام ١٩٦٩ بقبابها الثلاث وأفاريزها المزدوجة وسقوفها القرميدية التي تعد من أروع الآثار القائمة في المدينة ، وتطل على أكبر شوارع سيول وميادينها ويقوم على مدخلها تمثالان لحيوانين أسطوريين ، يقال إنهما يحميان القصر من النار ، وإن كانت النار قد أحرقت القصر أكثر من مرة على مدى سنوات متتالية !!

لم نكد نجتاز باب القصر ونجتاز أسواره ذات البوابات الأربع حتى وجدنا أنفسنا في ساحة متسعة ، تحيط بها الحدائق وأحواض الزهور ، وواجهنا في

وسط الساحة بناء رائع ، يمثل « الباجودا » ، وهو من أجمل الآثار الملكية الكورية ، والباجودا أحد معالم الفن الكوري المنقول عن الصين ، وهو عبارة عن برج شيد من الآجر ، يرتفع فوق ثلاث قواعد من الحجارة ، تقوم فوقها ثلاث طبقات ذات شرفات كبيرة ، يعلوها سبعة طوابق صغيرة مربعة ذات شرفات على نفس الهيئة ، وكل طابق يحمل تماثيل لبوذا وأتباعه المقدسين ، وتتوسطه زهرة اللوتس . وقد اصطبغت الباجودا في العقيدة البوذية ببعض الخرافات التي كانت منتشرة في البلاد ، وكانت رمزا للتنبؤ بالغيب عن طريق الشقوق والعروق ، كما كانوا يعتقدون أنها تقي الناس غوائل الأعاصير والفيضانات ، وتسترضي الأرواح الشريرة ، وتجلب الرخاء ورغد العيش ، لهذا فهي توجد بصورة أو بأخرى في كل المعابد البوذية وقصور الملوك التابعين لهذه العقيدة . بجوار المبنى الرئيسي للقصر تقوم عدة أبنية ، منها قاعة استماع ومشاهدة تسمى « كونشجون » ، وهي أكبر بناء خشبي في كوريا .

ويقوم صرح اخر يسمى « كيونج هورو » على أعمدة فخمة ، عددها ٤٨ عمودا حجريا ، وسط بحيرة رائعة ، أعدت لتكون مقصورة للاستقبالات الملكية . . ويزين الصرحين والأفاريز تماثيل للتنين بألوان زاهية مستلقية وهي رافعة رءوسها لحماية المكان الملكي . أما الزخارف الملونة في السقف فهي على النمط الكوري التقليدي بنقوشه الزاهية ذات اللون الأحمر والأخضر والأصفر .

القسم الجنوبي من القصر تحول الآن ليكون مقرا للمتحف الوطني . في هذا المتحف شاهدنا كنوزا تاريخية قيمة ، من بينها تماثيل كبيرة من البرونز لبوذا ، ولوحات حائطية رائعة ترتبط بالعقيدة البوذية التي كان يعتنقها ملوك زوسان ، جلبت من مقابر قديمة . ومن أروع محتويات المتحف المجوهرات الملكية والتاج المصنوع من الذهب على درجة كبيرة من الروعة والفخامة والاتقان ، بالإضافة الى قطع خزفية لا شبيه لها في جميع أنحاء العالم ، مصنوعة من السيلادون « كوريو » ، الذي اشتهر في ذلك العصر ، وبرغم المشاهد الرائعة للقصر وما يحيط به ، والتي فقدت الكثير من ماضيها الملكي التاريخي ، إلا أنها ماتزال مفخرة ودليلا على عظمة عصر زوسان الملكي .

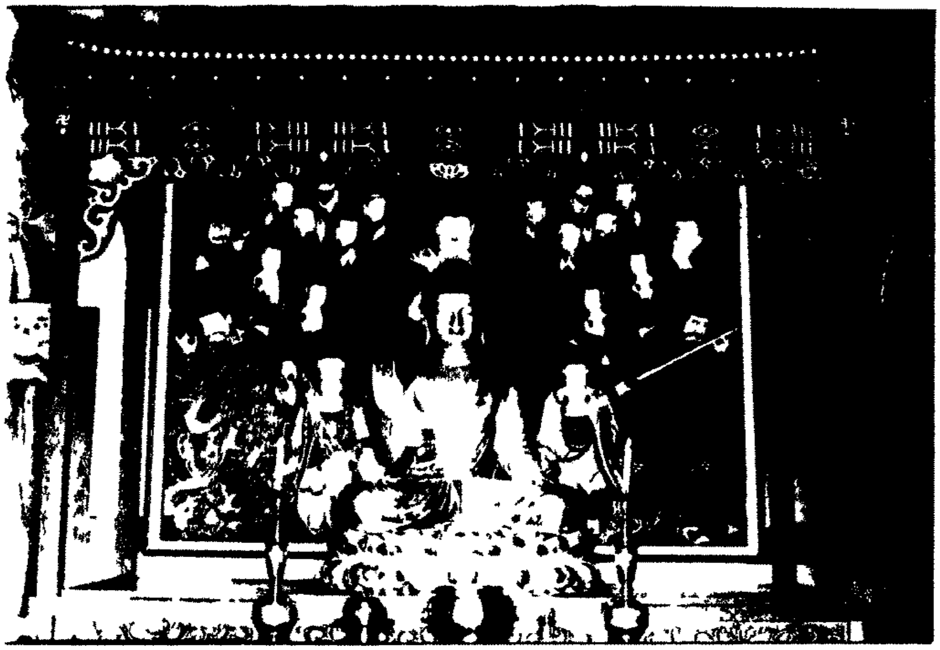
وننتقل الى قصر « شانج دوكونج » قالت لنا مرافقتنا « أحلام » : « إن القصر قد تم بناؤه عام ١٤٠٥ كقصر ملكي شرقي ، جرى الآن ترميمه وإعادة إصلاحه . وهو أحد النماذج الرائعة للقصور الملكية في سيول ، والأكثر اجتذابا للسياح ، على أمل أن يلتقوا بأميرتين ماتزالان تقيمان فيه ، وهما كل من بقي حيا من الأسرة المالكة التي أطيح بها ، وإن كانتا لم تظهرا لأحد من الزائرين قط بعد أن أغلقتا على نفسيهما الجناح الملكي الخاص بهما .

القصر يعتبر أكبر القصور الملكية الباقية على الطراز التقليدي الكامل . وينقسم الى أربعة أقسام . المبنى الرئيسي ، وقاعة الاستقبال الملكية ، وجناح الأسرة المالكة من السيدات ، ثم الحديقة السرية المسماة « بي وان » التي تغطي مساحة ٧٨كم^{2} والتي كانت ممنوعة إلا للملك والملكة ، ولا يسمح لغيرهما بارتيادها . تضم مباني القصر المقامة على النمط الشرقي آثارا ترجع الى عهد آخر الأسر المالكة في كوريا ، وأغلب الغرف ماتزال مؤثثة كما كانت في عهد الملوك وحاشيتهم ، وقد شهدنا العربة الملكية ، وأولى السيارات القديمة التي كان يستخدمها الملوك السابقون خلال الأيام الأخيرة للأسرة الحاكمة . وسقف الجناح الملكي من قرميد أزرق ، من نوع فريد زاخر بالزخارف ، وتماثيل التنين الحارسة ، كما توجد معروضات تضم الملابس التاريخية القديمة والأسلحة وسائر القطع الفنية التقليدية العتيقة .

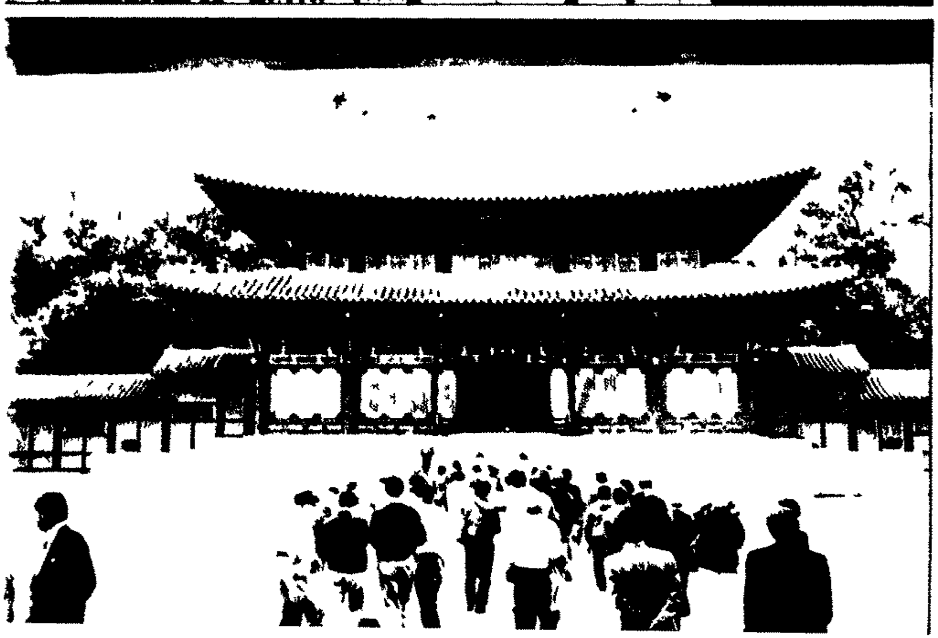
تضم سيول مجموعة أخرى من القصور الملكية ، وكان آخر ما شاهدناه منها قصر تشانج بوكونج الذي تم ترميمه في العام الماضي . وأمام هذا القصر توجد حديقة ومقابر « شونجيو » ، حيث تحفظ لوحات بأسماء أسلاف الملوك والملكات في عصر أسرة زوسان ، وعددهم ١٨ ملكا .

في ساحة هذا القصر تقام الاحتفالات









* عـندما نشهـد سـول احـمالاتها الـوطنـه فـإن أول مـا تحرى فيهـا هـو إطلاق الالعاب النـاريه حول برج نامسان المطل عـلى المـدنـه بـأنــواره المـلألئه (الى الفجر) ولا تخـلو الـشـوارع والاسـواق والمـعـاهـد التاريخيه من الزائرين من أبـناء المـدنـه والسـاح الاجانب بما في ذلك معبد بودا الـذهبي واسـواق نامدامون وإيتاون ومراكز الصناعات التقليديه في مبنى دمـون والقصـور الملكـه التي تزخر بها سول

الكونفوشيوسية التي كانت تجري من قبل خمس مرات في السنة في عهد مملكة زوسان ، وشهدنا إحداها وهي تقدم إحياء للطقوس الكنفوشيوسية ، وقد شارك في إحيائها أحفاد مملكة زوسان ، وذلك للحفاظ على تقاليد ذلك العصر . كان المحتفلون يرتدون الزي التقليدي الملون ، ويشاركون في تقديم المعزوفات على آلات موسيقية تنتمي لنفس الفترة .

الجذور في التعليم

الاحتفالات ليست وحدها ما يرمز الى الفلسفة والتعاليم الكونفوشيوسية التي تعتبر الركيزة الرئيسية التي اعتمدت عليها التقاليد والعادات في المجتمع الكوري ، فنظم التعليم أيضا تقوم على هذه القاعدة قديمة الجذور التي تربّت عليها الأجيال .

والمثل الواضح الذي شهدناه كان عند زيارتنا لمقر جامعة تسونج كوان للدراسات الكونفوشيوسية . قال لنا مدير التعليم في الجامعة : « يمتد تاريخ هذه الجامعة التي أقيمت في هذا المكان الى عام ١٣٩٨ ، وكانت تحمل نفس الاسم ، ويعني « المعهد القومي للتعليم العالي » وقد أنشئت لتكون مقرا أكاديميا للتنوير والتثقيف ، وتخريج القيادات الادارية والتعليمية بعد تدريبها على أسس فلسفة كونفوشيوس وتعاليمه الأصيلة . ومازالت هذه الجامعة تؤدي نفس المهمة وإن تضاءل عدد الدارسين فيها نسبيا .

والجامعة في عهدها الجديد الآن بعد التحديث ، تمشيا مع متطلبات التعليم المتطور أصبحت تضم إحدى عشرة كلية جامعية ، وأربع مدارس للتعليم العالي ، وخمسة معاهد للأبحاث . وعدد الدارسين في الجامعة يبلغ ١٨ ألف دارس من مختلف أنحاء كوريا ، ومن بعض الدول الآسيوية الأخرى . ومنذ ١٩٧٨ أنشأت الجامعة فرعا جديدا على مساحة ١٠٠٠ هكتار بجوار مدينة سوون لتخريج باحثين من كليات العلوم والهندسة والزراعة والصيدلة .

فالتعليم الديني لم يعد دينيا فقط ، لكنه تطور ، ليصبح أكاديميا على أعلى المستويات ، من أجل النهضة والنمو وبناء الإنسان الكوري .

النظرية الكونفوشيوسية التي تعتبر التربية والتعليم مفتاح كل نجاح في المستقبل ماتزال راسخة في نفوس الشعب الكوري .

يقوم التعليم الكوري أساسا على فلسفة ديمقراطية ، توفر للجميع فرصا تعليمية متكافئة ، وتحترم الكفاءات الفردية . وترمي البرامج التعليمية بالإضافة الى تعليم المعارف الأساسية الى تلقين التلاميذ القيم والمهارات اللازمة لبعث الأمة الكورية . وقد تخلصت كوريا من الفقر في سنوات قليلة ، وأصبحت بلدا صناعيا تتعقد فيه الحياة الاجتماعية ، لهذا لم تكن غاية التربية مساعدة الطلبة على المساهمة الفاعلة في المجتمع الجديد فحسب ، بل كان هدفها إكسابهم القدرة على تكوين الأحكام التي تتآلف مع القيم الكورية التقليدية في مجال البر بالآباء والإخلاص للوطن . وتتم على الدوام دراسة التاريخ الكوري والثقافة الكورية وإعادة تقييمها على ضوء النهضة التي تسري الآن داخل المجتمع ، كما يهدف التعليم الى تنمية الوعي التاريخي ليخلق لدى الطلبة شعور الاعتزاز بالوطن ، وليدركوا أهمية المساهمة الكورية في الثقافة العالمية .

تفهمنا كل ذلك عن مسيرة التعليم في كوريا عند زيارتنا لمدرسة « صويو » ولقائنا بناظر المدرسة « لي دو وان » ، وهو في نفس الوقت رئيس المجلس التعليمي بالمنطقة . قال لنا : « إذا كانت التربية قديما تعني قبل كل شيء بالتعليم العقلي النظري ، فإن المتطلبات الملحة للمجتمع العصري اليوم قد خلقت وعيا جديرا بكرامة العمل اليدوي وقيمته ، ومسئولية التعليم في المساعدة على الإسراع بالتنمية الصناعية . وينعكس هذا الأمر في سياسة الحكومة الرامية الى تشجيع التعليم الفني والمهني وتطوره . ففي السنوات الأخيرة تم إنشاء المدارس الثانوية الفنية والمهنية العديدة ، وقام بتأسيس معظمها مجموعات الشركات الصناعية الكبرى ، واستجابت المعاهد العليا والجامعات من جانبها للدعوة لتقديم برامج عملية ، وكان على المعاهد والجامعات في

الريف إقامة أقسام للزراعة ، أما المعاهد الموجودة في الجهات الساحلية فكان عليها إقامة أقسام لمصايد الأسماك وعلوم البحار وهكذا . .

وليس هناك شك أن التقدم الذي حققته كوريا في السنوات الأخيرة يدين لما يعلقه الكوريون على التعليم من أهمية ، النظرى منه والعملي وإذا كانت وزارة التربية والتعليم مسئولة عن سير التعليم الرسمي وصيانة المؤسسات التعليمية ، فإن لبعض المدن والمقاطعات مجالس تعليمية خاصة تعمل كأجهزة تمثيلية تليها إدارات تعليم لكل مديرية ومدينة ، وهي مسئولة عن أنشطة التعليم الابتدائى والإعدادي والثانوي ، وتتلقي التوجيهات السياسية من الحكومة فيما يتصل بشئون التعليم الأساسية ، كما تقدم العون المالي .

أما عن التعليم العالي فهو يرمي الى تكوين فهم عميق للإنسان وبيئته ، وغرس الرغبة لدى الدارسين للمساهمة في بناء المجتمع . وتأكيد الإرادة لديهم للمشاركة في تحسين منهج حياتهم .

وقد تم أخيرا إنشاء « مجلس الإصلاح التعليمي » الذي يرفع تقاريره مباشرة لرئيس الدولة . ويتكون هذا المجلس من قادة التربية والتعليم ومديري المدارس وقادة آخرين من مختلف مناحي الحياة ، ويتولي هذا المجلس ـ مع الاستعانة بفريق مختار من الأساتذة الجامعيين والاختصاصيين ـ مراجعة وإعداد نظام أكثر ملاءمة لحاضر كوريا وحاجاتها المستقبلية .

المسيرة الإسلامية

قبل أن نمضي مبتعدين بعد زيارة مدرسة صويو مودعين بطابورين من الكشافة والمرشدات يصفقون ويغنون ويحيوننا بالأيدى تلويحاً . كان الأذان لأداء صلاة الجمعة يرتفع من فوق مئذنة « مسجد سيول » القائم في مكان غير بعيد من قلب المدينة وسوقها التجاري . وبعد الصلاة كان لابد لنا أن نتعرف على مسيرة الإسلام في كوريا الجنوبية من خلال لقاء جمعنا مع إمام المسجد « محمد يون » ، وضم الدكتور عبد الوهاب ناصر الداعية الإسلامي الموفد من الكويت ، وداعية آخر أندونيسي موفد من ليبيا .

دخل الإسلام كوريا خلال الحرب الكورية بين الشمال والجنوب ، بفضل الوعاظ الأتراك المسلمين الذين صاحبوا الجيش التركي المساهم في قوات الأمم المتحدة بين عامي ١٩٥٠ الى سنة ١٩٥٣ . فكان الإسلام آخر الديانات العالمية الكبيرة التي اعتنقها الكوريون .

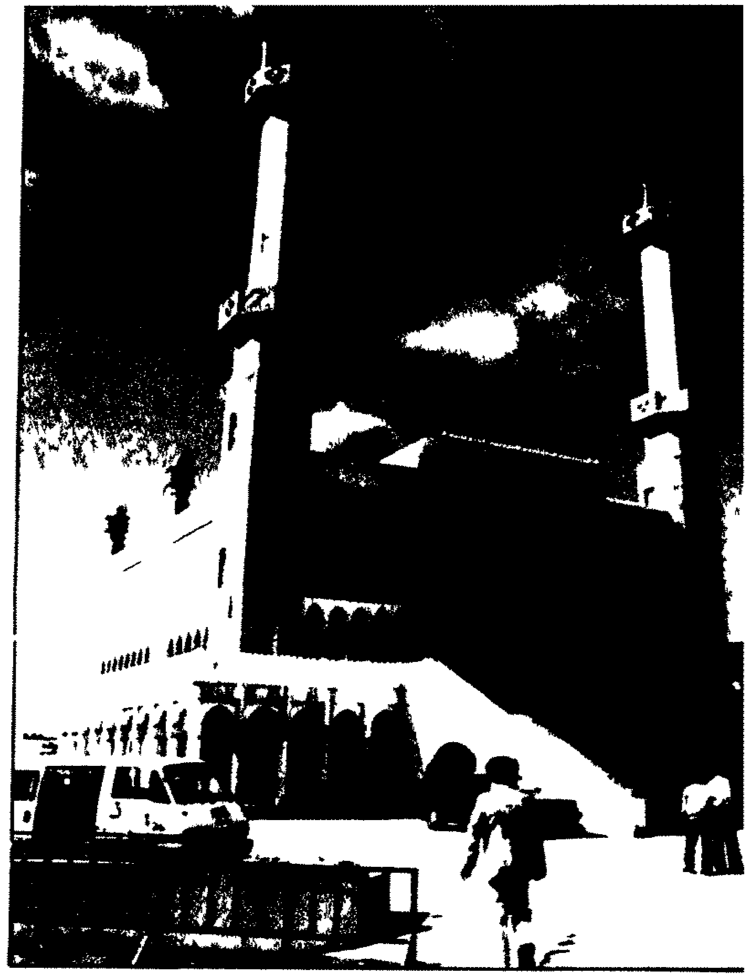
وتم تأسيس اتحاد المسلمين الكوريين حديثا (في سنة ١٩٦٠) ، حيث نشطت حركة اعتناق الإسلام بفضل تواجد العدد الكبير نسبيا من المهندسين والعمال الكوريين الذين يقومون بأعمال التشييد في بعض أقطار الوطن العربي ، في مشاريع تتولاها الشركات الكورية منذ أوائل ١٩٧٠ . وقد تم تدشين مسجد سيول عام ١٩٧٦ الذي أقيم على الطراز المعماري التقليدي ، وافتتح في احتفال شهده أربعون من ممثلي العالم الإسلامي . كما توالى إنشاء ستة مساجد في مدن بوسان وكوانجزو وأولسان وأنيانج وشينجو ، وقد أقيم آخر مسجد عام ١٩٨٦ . يبلغ عدد المسلمين في كوريا الجنوبية كلها حوالي ٣١ ألف مسلم ، بينهم ١٨ ألفاً في العاصمة ، وهو عدد ليس بالقليل بالنسبة لدخول الإسلام حديثا ولفترة لم تتجاوز ثلاثين سنة .

قال لنا الدكتور فؤاد الخازندار الأستاذ بجامعة هانكوك للدراسات الأجنبية : إن هناك عددا لا بأس به من الطلاب سواء من المسلمين أو غير المسلمين الراغبين في دراسة اللغة العربية ، يدرسون في الكليات الجامعية ، حيث افتتحت في ثلاث جامعات كورية أقسام للغة العربية والدين الاسلامي . ففي كلية الدراسات الاسلامية يوجد ١٢٠ طالبا ، وفي كلية العلوم الانسانية هناك ٨٠ طالبا ، بينما يوجد ١٢٠ طالبا آخرين في كلية الاقتصاد والإدارة ، يدرسون العربية الى جانب الشئون الادارية والاقتصاد والتجارة . وحين سألناه عن سر الاهتمام بتدريس اللغة العربية في كوريا قال : إن الدافع الى ذلك في الغالب أسباب اقتصادية نابعة من اتجاه الدولة الى توثيق العلاقات مع الأقطار العربية ، وبخاصة

مع تزايد أنشطة التبادل التجاري مع هذه الأقطار في الفترة الأخيرة ، فهناك مصالح اقتصادية تحتاج الى فتح باب تعليم العربية ، وبخاصة في مجال الترجمة ، ولعل هذا هو دافع غير المسلمين للدراسة في أقسام اللغة العربية . أما المسلمون من الدارسين وأغلبهم من الطبقات المثقفة فلا شك أن لهم اسبابا اكثر اهمية . فجميع المراجع والكتب التي كتبت عن الاسلام ودرسها الطلاب كانت مترجمة الى الكورية عن اللغة الانجليزية وباقلام غربية كانت تتعمد باستمرار اعطاء صورة سيئة متشوهة عن الاسلام ، وهي تنحو الى اظهار ان هناك سلبيات كثيرة في الدين الاسلامي من وجهة نظر الكتاب الذين يتجاهلون ايجابيات الاسلام . كما ان السفارة الاسرائيلية التي كانت موجودة في كوريا قبل سنوات قد لعبت دورا كبيرا في نشر الكثير من الاكاذيب والافتراءات والكتب المضللة التي قراها الطلاب والمثقفون الكوريون . وبذلك فان المعلومات الموجودة في كوريا اغلبها معلومات مزيفة . وقد بذل الاساتذة الذين دخلوا الاسلام جهودا كبيرة لترجمة الكتب الاسلامية الصحيحة من اللغة العربية مباشرة الى اللغة الكورية

هل هي مسئولية الدعاة ؟

من خلال نفس الدوافع تم تشجيع الطلاب المسلمين لتعلم العربية ، ليتاح لهم دراسة الدين الاسلامي بلغة القرآن ، ونقل المعلومات الصحيحة عن هذا الدين القويم من الكتب الاسلامية الصحيحة . وقد بذلت محاولات لترجمة القرآن الى اللغة الكورية ، قام بها عدد من الاساتذة ، الا انها باءت بالفشل حتى الآن ، ولم يستطيعوا إبراز المعاني القرآنية كما يجب ان تكون ، لانهم اخذوا في الترجمة عن اللغة اليابانية . وقد اتجهت رابطة العالم الاسلامي اخيرا الى تشكيل لجنة لترجمة معاني القرآن الكريم الى اللغة الكورية ، تضم عددا من الاعضاء المتفهمين القادرين على هذه الترجمة ، وهو أمر ـ حين يتم إنجازه ـ سيفتح الطريق أمام الاف كثيرة من الدينيين واللادينيين في كوريا وغيرها لدخول





* مسجد سيول القائم في قلب المدينة وسوقها التجاري بمئذنتيه اللتين ترتفعان الى السماء ليطلق الأذان داعيا أكثر من ثلاثين الف مسلم كوري الى الصلاة



* المدخل المميز للمسجد بهندسته ذات الطراز الاسلامي الممزوج بفنون العمارة الكورية بزخارفها واعمدتها وقبابها التصديه

الاسلام ولاشك أن هناك دورا يجب أن يلعبه الأزهر والجامعات الاسلامية في الأقطار العربية لتصحيح صورة الاسلام ، وترجمة معانيه في كوريا وغيرها من الدول الاسيوية التي تنتشر فيها بعض الكتب المترجمة او المنقولة من مصادر عربية ، وهي تحمل صورا محيلة للرسول الكريم والصحابة ، وهو أمر بالغ الاساءة للاسلام وتشويه صورته في هذه البلاد

ويهمس لنا الداعية الاسلامي الدكتور عبد الوهاب الموفد من الكويت قائلا إنه حين يهيم بدعوة الدول الاسلامية والمسئولين عن الدعوة الاسلامية لبذل المزيد من التسهيلات لمساعدة الدعاة في اداء مهمتهم في هذه المناطق ، فلأن الصورة التي نشهدها حتى بين من اعتنقوا الاسلام في هذه الدول لا تبعث على الرضا ومن بين الأمثلة التي ذكرها قوله زرت إحدى القبائل التي دخلت الاسلام ، وهاجرت من الصين الى تايلند منذ مائتي سنة ، فوجدت أنهم نسوا كل شيء عن تعاليم الاسلام ، ولم يعودوا يعرفون شيئا عن الدين الإسلامي ، برغم أنهم يؤمنون بالإسلام زرنا بيوتهم فوجدنا هناك شيئا مغلفا بقماش من المحمل ، محفوظا في مكان أمين ، فسألناهم عنه فقالوا لنا لا تمسوه ، ولكننا حين أخذناه وفتحناه وجدناهم يرتعدون خوفا فقلنا لهم لماذا ترتعدون ؟ فقالوا لنا إن اباءنا وأجدادنا قالوا لنا ان هذا الشيء مقدس وعظيم وإياكم أن تفتحوه ، فلا يجوز فتحه أو العبث به ولكننا حين فتحناه وجدناه مصحفا قديما مخطوطا ، عمره لا يقل عن مائتي سنة وفي مكان اخر وجدنا معبدا جمع بين البوذية والنصرانية والاسلام ، وقد صوروا الرسول الكريم في تمثال اقاموه الى جانب تماثيل بوذا والمسيح ، وحين سألناهم قالوا لنا انا مسلمون ، وهذا هو تمثال إلهنا محمد ، كما أن هنا تمثال إله البوذيين ، وذلك تمثال إله المسيحيين وحين بينا لهم الحقيقة وحدثناهم قد نهضوا يساعدوننا في تحطيم التماثيل كلها باعتبارها أصناما ولكن كيف لنا الوصول الى مثل هذه الأماكن ونصحح الدعوه الاسلامية ، وعرض قيم الاسلام بين معتنقيه ودعوة الاخرين الى اعتناق هذه الديانة ؟

نحن نعرف ان تلك هي مسئولية الدعاة ، ولكن ماذا بيد دعاة لا يملكون الاموال والتسهيلات التي تمكنهم من اجتذاب الاخرين الى دينهم ، سواء كانوا دينيين او لادينيين ؟ !

وبالنسبة لنا هنا في كوريا ماذا يستطيع أن يفعل أربعة دعاة فقط ، بينما هناك الاف اخرون يتجهون بكل قدراتهم الى المناطق التي يقيم فيها أكثر من خمسة عشر مليونا من اللادينيين إنهم يجتذبون الالاف بينما لا نستطيع أن نجتذب سوى العشرات

ولسنا ندري هل هو تقصير فعلي من الدعاة ام ممن بيدهم زيادة عدد الدعاة ، وتسهيل مهمتهم في هذه البلاد التي تحتاج أن تشرق فيها نور الاسلام ؟ ! □



إنذار للمدخنين

قبل فوات الأوان

بقلم : الدكتور صباح السامرائي

سعال مستمر يرافق المرء فترة طويلة ، ومع السعال طرح قشع « بلغم » ، ومعهما عسر في التنفس بسيط قد يشتد ، هذه هي الأعراض الرئيسية لالتهاب القصبات المزمن الذي يضع المدمن عن مفترق طريقين ، له أن يختار أحدهما ، فإما التوقف عن التدخين والتخلص من شروره وأخطاره ، واما الاستمرار عليه ، فيرى المرء بوضوح « التاج » الذي يكلل رؤوس الأصحاء !! فكيف يمكن الاحتفاظ بهذا « التاج » ؟

ان العلامة الرئيسية لالتهاب القصبات المزمن هي طرح القشع (Sputum) ، فترى المصاب يسعل من وقت لآخر ، ومع السعال يطرح كمية من القشع الذي يثير التقزز في نفوس الحاضرين ، مسببا للمريض حرجا اجتماعيا .

وكثير من الناس يقللون من شأن هذه الظاهرة المرضية ، ويصفونها بأنها « سعال المدخنين » ، وكأنها ظاهرة طبيعية ونريد التأكيد هنا على أن طرح القشع ظاهرة مرضية ، تدل على تهيج المسالك التنفسية

كثير من أمراض جهاز التنفس ـ الحادة منها والمزمنة ـ تؤدي الى تكوين القشع ثم طرحه ، فمتى

* طبيب من القطر العراقي

نقول ان هذا القشع دليل على « التهاب القصبات المزمن » وليس على أي مرض آخر من أمراض جهاز التنفس ؟ نقول ذلك عندما يستمر طرح القشع معظم أيام ثلاثة شهور متتالية على الأقل في السنة ، وعلى مدى سنتين متتاليتين أو أكثر . ومن هذا الوصف نستطيع التمييز بين الالتهاب المزمن الذي يستمر شهورا ، والالتهاب الحاد الذي يستمر عدة أيام أو أسابيع ثم يزول .

ان مصدر القشع هو نوعان من الغدد في جهاز التنفس ، فاذا تضخمت هذه الغدد ـ وهو مايحدث في التهاب القصبات المزمن ـ ازدادت افرازاتها المخاطية التي تطرح بهيئة قشع ، وهذان النوعان هما الغدد القصبية والخلايا الكأسية ، أما النوع الأول فيوجد في القصبات الهوائية فقط ، وأما النوع الثاني فيوجد في القصبات وفروعها الصغيرة « القصيبات الهوائية » .

التدخين أصل البلاء : ان الخطر الرئيسي لدخان السجائر على جهاز التنفس يكمن في « القطران » ، وهو المادة الصفراء التي نراها تتكثف في أعقاب السجائر . تقدر كمية القطران المتجمعة من احتراق سيجارة واحدة بمقدار ١٧ ـ ٤٠ ملغم ، وقد أوصت كلية الأطباء الملكية في لندن بأن يكون أقصى مقدار من القطران ١٥ ملغم في السيجارة الواحدة .

ان هذه المادة تهيج المسالك التنفسية التي تحاول أن تقي نفسها من الدخان الذي يزورها في الليل والنهار ، فتقوم بافراز مواد مخاطية ، تحجب عنها هذا الزائر الثقيل ، وتطرح هذه المواد بهيئة قشع ، والافرازات المخاطية تفرز أساسا من « الغدد القصبية » التي تتضخم لكي تؤدي واجباتها الزائدة ، وكلما ازداد سمك الغدة مقارنة بسمك جدار قصبة الهواء فهو دليل على اشتداد التهاب القصبات . انظر الشكل رقم (١) .

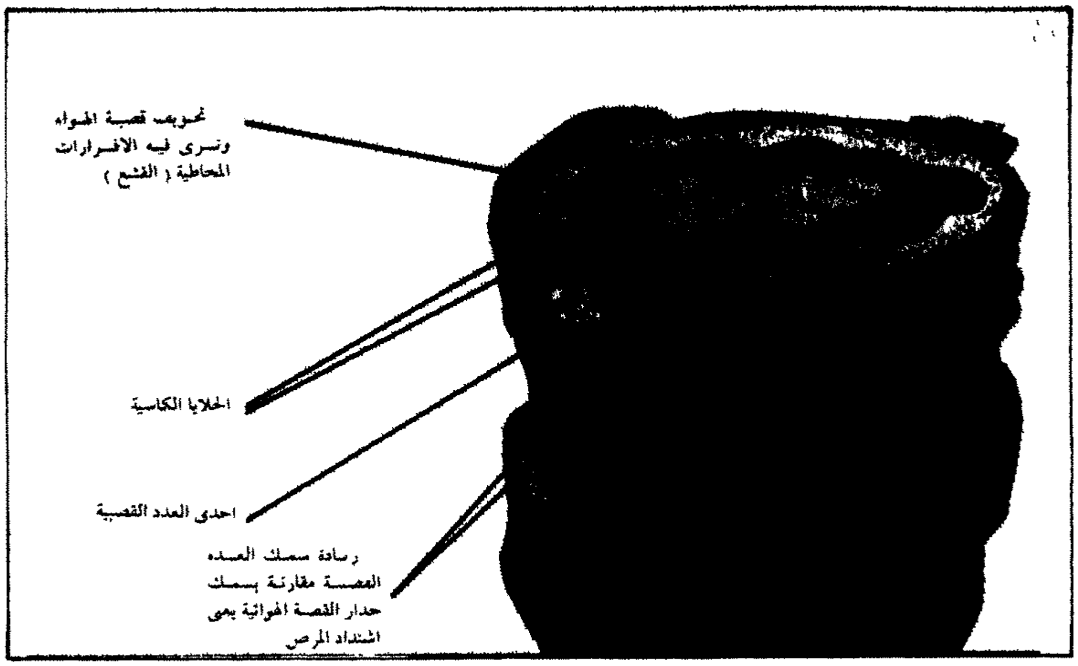
والافرازات المخاطية الزائدة ـ على الرغم من فوائدها في التقليل من أخطار الدخان ـ لاتخلو من الضرر ، بل قد تسبب تضييق بعض المسالك التنفسية أو انسدادها ، وبخاصة الدقيقة منها « القصبات الهوائية » ، ويسبب دخان السجائر ـ بالاضافة الى التهاب القصبات ـ تغيرات مرضية أخرى ، تقلل من كفاءة الأسناخ الرئوية (Alveoli) في عملية التبادل الغازي ، فيشعر المصاب بضيق في التنفس . أما السعال فينشأ عن تهيج المسالك التنفسية والتهابها بفعل الدخان .

وتؤكد الأبحاث أن التدخين هو السبب الرئيسي لالتهاب القصبات المزمن وترتفع هذه النسبة فتبلغ ٢٥٪ بين الذين يدخنون باعتدال « أقل من ١٥ سيجارة يوميا » ، وتبلغ ٤٥٪ بين الذين يدخنون بافراط « أكثر من ١٥ سيجارة يوميا » .

كما يبدو بوضوح من هذه الارقام ، فان غير المدخنين قد يصابون بالمرض ، وأن أكثر من نصف المدخنين لايصابون به ، ويقودنا الاستنتاج المنطقي الى القول بأن التدخين هو السبب الرئيسي للمرض وليس السبب الوحيد . ومن الأسباب الأخرى التي وجدها العلماء « العامل الوراثي » ، وضعف المناعة ، والإصابة بالتهاب القصبات الحاد في السنة الأولى من العمر أو في الطفولة المبكرة ، والتعرض المستمر للغبار أو الدخان ، والحساسية .

ظاهرة مثيرة : يختلف المدخنون فيما بينهم اختلافا كبيرا في مدى تأثرهم بالتدخين ، فترى بعضهم شديد التأثر به ، يصاب بالتهاب القصبات المزمن في عمر مبكر نسبيا ، وتتدهور صحته شيئا فشيئا ، وترى آخرين أقل تأثرا ، فلا يصاب الواحد منهم بهذا المرض على الرغم من افراطه في التدخين ، وكذلك الأمر مع غير المدخنين ، فبعضهم شديد التأثر بالغبار أو الدخان أو غيرهما من المهيجات ، وبعضهم الآخر قليل التأثر .

وقد لفتت هذه الظاهرة المثيرة انتباه الناس ـ خاصة المدخنين منهم ـ وأثارت اهتمام الأطباء ، أما المدخنون فقد اتخذ بعضهم من هذه الظاهرة ذريعة للاستمرار بالتدخين « فما دامت نسبة كبيرة من المدخنين لا تصاب بالمرض ، وما دامت نسبة من غير



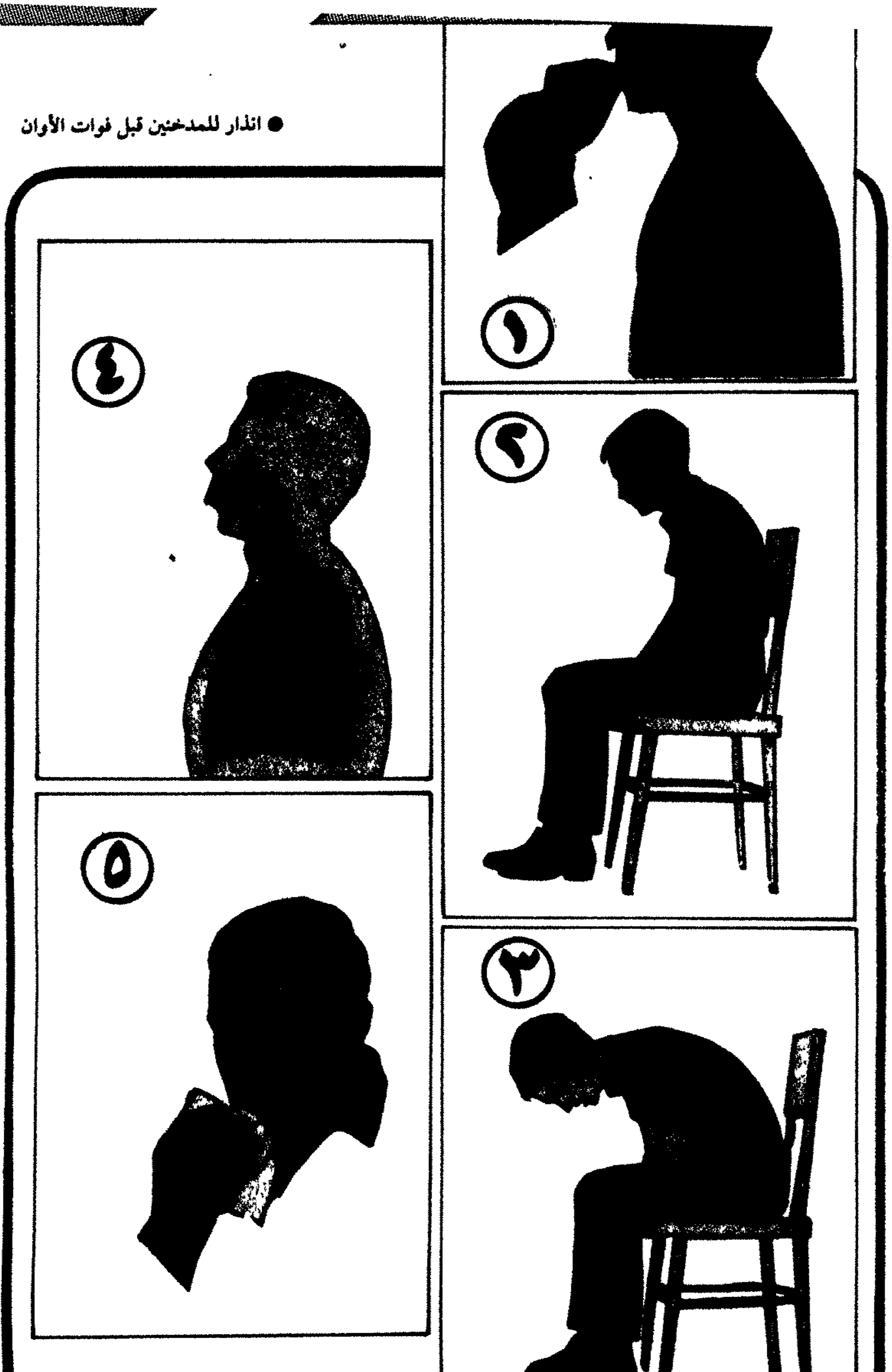
المدخنين تصاب به ، فلا مبرر لترك التدخين !! » ولسنا بحاجة الى مناقشة هذا الاستنتاج الواهي .

أما الأطباء فقد راحوا يبحثون عن منشأ هذه الظاهرة وسببها ، فوجدوا أنها ناشئة عن قوة ـ أو ضعف ـ تفاعل المسالك التنفسية مع الدخان والاتربة وبقية المهيجات ، فبعض الناس يمتلكون مسالك تنفسية شديدة التفاعل مع المهيجات ، ولهذا فهم شديدو التأثر بها ، وأكثر عرضة لأخطارها وبعضهم الآخر عكس ذلك ، وقد يكون سبب هذا الاختلاف وراثيا ، ويرى بعض الباحثين أن كثرة التعرض للمواد المهيجة ـ كالإفراط في التدخين فترة طويلة ـ تجعل الجهاز التنفسي شديد التفاعل معها والتأثر بها .

المكروبات والتهاب القصبات : من المعروف أن كثيرا من أمراض جهاز التنفس تنشأ عن غزو المكروبات له ، ومن هذه الأمراض التهاب القصبات الحاد ، وذات الرئة ، وغيرهما . ترى ماذا عن موضوع حديثنا « التهاب القصبات المزمن » وعلاقة المكروبات به ؟

لقد لاحظ الباحثون أن ٨٠٪ من المصابين بالتهاب القصبات المزمن يمتلكون نسبة عالية من الأجسام المضادة لنوع من البكتريا ، يسمى (Hemophilus Influenzae) ، وظن بعضهم أن هذه البكتريا قد تكون هي سبب المرض ، غير أن معظم الباحثين لايؤيدون هذا الرأي ، ويقولون ان هذه البكتريا ماهي الا نتيجة للمرض ، وليست سببا له ، أي أن التهاب القصبات المزمن بما يسببه من وهن في مناعة جهاز التنفس ، يمهد الطريق لهذه البكتريا وغيرها من المكروبات .

التدخين ممنوع : الامتناع عن التدخين هو حجر الزاوية في علاج التهاب القصبات المزمن ، وفي منع تطوره الى مرحلة خطيرة . والغريب أن كثيرا من الأطباء يترددون في التأكيد على هذه الخطوة العلاجية المهمة جدا ، لأنهم يظنون عدم استجابة المرضى ، ويظن بعضهم عدم جدواها ـ ونؤكد للمرضى ـ والأطباء أيضا ـ أن هناك أدلة كثيرة تشير



شكل (٢) الطريقة الصحيحة للتخلص من البلغم

الى فائدة هذه الخطوة في العلاج،حتى بعد فترة طويلة من التدخين المفرط .

فقد أكدت الأبحاث التي قام بها « فلتشر » في لندن أن الامتناع عن التدخين لايوقف تطور التهاب القصبات المزمن فحسب ، بل انه يعمل ، على تحويل التدهور الى تحسن ، وهذا هو المثير ، وبعبارة أخرى تعود وظائف الرئة شيئا فشيئا الى سابق عهدها من الكفاءة أو قريبا من ذلك .

وعلى عاتق الطبيب يقع جزء كبير من مسؤولية محاربة التدخين فقد يكون شفاء المريض على اثر نصيحة صادقة يقدمها له الطبيب وهو ينصحه بترك التدخين ويوضح له مخاطره . ويجب أن تكون غرفة انتظار المرضى في العيادة مزودة بالصور التي تؤكد مخاطر التدخين ، وأن توضع فيها لوحات تحتوي جملا تمنع التدخين . ولايجوز أن يشاهد الطبيب وهو يدخن ، لأنه مثال يقتدي به الناس في الأمور الصحية ، فلا يكونن مثالا سيئا .

وحين ينصح الطبيب مريضه بترك التدخين فعليه اختيار الكلمات المناسبة والأسلوب المفيد ، لأن الكلمات المروعة التي تحفل بصورة الموت أو الأمراض الفتاكة المهلكة قد تثير في نفس المريض الخوف والقلق ، وربما اليأس والقنوط ، فيلجأ الى التدخين بافراط « !! » . ولافائدة من العبارة التي يستعملها بعض الأطباء « الامتناع عن التدخين يطيل العمر » .

فقد أكدت الأبحاث أن الترغيب أفضل من الترهيب في هذا المجال ، وبدلا من العبارات المخيفة والتهديد بالمصير المظلم على الطبيب أن يخبر مريضه بفوائد الامتناع عن التدخين ، وأنه سيلاحظ التحسن في صحته خلال عدة شهور فقط ، فيتوقف السعال ، ويزول القشع ، ويرتاح النَّفَس ، وتهدأ النَّفْس .

التخلص من القشع : وهو الخطوة الثانية المهمة في العلاج ، فالتخلص من القشع « بالطريقة التي سنوضحها بعد قليل » ، يقلل من السعال ، وضيق النفس ، وأزيز الصدر Wheeze « أصوات موسيقية في الصدر عند مرور الهواء في القصبات الهوائية المتضيقة بفعل القشع » ، كما أنه يحرم المكروبات من فرصة عيش مناسبة .

أما طريقة التخلص من القشع ، كما أوضحتها الباحثة الامريكية « ج . لاجرسون » ـ انظر الشكل رقم (٢) ـ فهي كالآتي :

١ ـ استنشاق البخار أربع أو خمس مرات يوميا ، فالبخار يرطب القشع في القصبات الهوائية وفروعها ويجعله لينا سهل الخروج . ومن المفضل استعمال موسعات القصبات الهوائية بهيئة « منشقة Inhaler » قبل استنشاق البخار ، لكي يصل البخار فروع القصبات الدقيقة .

٢ ـ بعد استنشاق البخار يجلس المريض على كرسي وجذعه محنى الى الأمام قليلا ، وقدماه ثابتتان على الأرض .

٣ ـ ثم ينحني الى الأسفل طارحا الهواء من الفم .

٤ ـ ثم يعود الى جلسته العادية مستنشقا الهواء ببطء ، من أجل زيادة الهواء في الرئتين وادخاله خلف أي قشع في المسالك التنفسية .

٥ ـ بعد تكرار هذه العملية عدة مرات ، يشعر المرء بالرغبة في السعال ، وعليه حينئذ استنشاق نفس عميق ، ثم السعال برفق لطرح القشع .

ولابد من الاشارة الى أن هذه الطريقة أكثر فائدة من العقاقير المزيلة للقشع وعلى المرضى أن يجعلوا منها ممارسة يومية . وينصح بعض الأطباء باستعمال العقاقير التي توسع القصبات الهوائية ، وتؤخذ بهيئة حبوب عن طريق الفم

علاج الالتهابات المكروبية : على المصابين بالتهاب القصبات المزمن أن يتنبهوا الى ثلاثة أمور رئيسية وهي :

* تغير لون القشع أو ازدياد كميته .
* ازدياد السعال .
* اشتداد عسر التنفس .

ان أي واحد من هذه التغيرات معناه أن بعض المكروبات قد غزت جهاز التنفس ولابد من طردها .

وعلى المريض عندئذ استعمال المضادات الحيوية فورا بعد استشارة الطبيب وحسب توجيهاته . وبهذا العلاج الفوري يشعر المريض بتحسن كبير لم يكن يتوقعه .

تصدر في
١٥ أبريل ١٩٨٨

كتاب العربي

التاسع عشر

الفلسطينيون

من الاقتلاع إلى المقاومة

بقلم مجموعة من الكتّاب

كتاب العربي مرآة العقل العربي

النزف في طاحونة المدينة

شعر : عبدالنبي التلاوي *

قِيلَ السحابةُ تمتطي الريح العنيدة ،
كَيْ تبشّر بالربيعْ ،
والأرضُ تَشْربُ منْ حليب الغيم
كالطفل الرضيعْ .
كان المساءُ يدقُّ باب الدار ،
والراعي يعودُ مع القطيعْ
وجهي على « الشباك »
هذي القريةُ السمراءُ تجهلني ،
وتعرفني المدينةُ ،
حافلاتُ النقل تعرفني ،
وكلُّ مواقف « الباصات » تشهدني
أبعثرُ شهوتي تحت المظلة ،
والمدينةُ تنحني تحت الضباب
يشدني بردٌ وتخذلني ثيابي
والمدينةُ تنحني
وأنا انحنيتُ
إذا المدينة موطني
لا بدَّ لي أن أنحني
وأنا اختنقتُ أمام حانوتِ البقالةِ ،
واختنقتُ أمام شيطانِ البطالة
ليسَ لي وطنٌ سوى هذي القصيدةِ ،
كي أجمعَ جثتي
حيناً ،
وأشربَ قهوتي
حينا ،
وأذكر إخوتي
وأنا أحنُّ لقريةٍ
أرتاحُ من هذا الدخان
ومن غبارٍ طالعٍ
من مصنع الغزلِ الكبير
أمام نافذتي الصغيرهْ ،
والقريةُ السمراءُ تجهلني ،
وتعطيني مفاتيح المدينهْ
إن المدينة أنكرتْ وجهي ،
وضيَّعني الزحامْ
يا من أتيتم من قراكم ،
امنحوني شاغراً في قريةٍ
حُبلى بأسرابِ الحمامْ ،
إني تعبتُ من الهموم ،
وبتُّ أحلمُ أنْ أنامْ
يا من أتيتم من قراكمْ
كيفَ جئتم من بيادر قمحكمْ
وتطالبون بأن أقاسمكم رغيفي ؟ !
أنا لستُ أملكُ في المدينةِ
غيرَ هذا النزف ،
فاقتسموا نزيفي .

وجهاً لوجه





د. حسين نصار و د. أحمد المرسي

- الإنتاج الفكري يخضع للبيئة الفكرية التي أنتجته .
- النتاج العلمي نتاج مشترك بين الإنسانية كلها .
- ظواهر الوحدة في التراث أكثر وأعمق من ظواهر التفرّق .
- لكي تؤدي الجامعات العربية دورها ، عليها أن تستقل عن السلطة السياسية .

منذ فترة قصيرة كرمت مصر الأستاذ الدكتور حسين نصار بحصوله على جائزة الدولة التقديرية في الآداب ، وهي أعلى الجوائز التي تمنح للعلماء والباحثين والمفكرين والمبدعين الذين أثروا الحياة علما وإبداعا وتنويرا ، وأسهموا في تقدم الانسان وتأكيد إنسانيته . وهو المؤلف المحقق الناقد المترجم الذي أثرى المكتبة العربيـــة بإنتاج علمي متنوع وفير ، يتسم بالأصالة ، ويتميز بالمنهجية العلمية الصادقة التي تدل على نظرة موضوعية ، وتناول محايد ، ودأب على العمل الذي يحث على المعايشة ، ويغري بالسعي الى الوصول للأعماق البعيدة والمجالات البكر .

وهو إلى جانب ذلك العالم المساهم بخبرته وتجربته في إدارة المؤسسات العلمية والثقافية وعضويتها ، فقد رأس قسم اللغة العربية بكلية آداب جامعة القاهرة مُدداً عديدة ، وهو العميد المنتخب لنفس الكلية .

● د . أحمد مرسي : المتتبع لانتاجك الخصب المتنوع يستطيع أن يلمس لديك نزوعا الى النظر للتراث الانساني ـ والتراث العربي جزء منه بالضرورة ـ نظرة شاملة ، تصل الثقافة العربية بالثقافة الانسانية ، دون إغفال للتنوع والاختلاف ، ودون إعلاء أو تقليل من شأن التأثير المتبادل بينهما . فهل كانت هذه النظرة عندك وليدة مناخ عام بين الرواد من جيلك ، أم كانت وليدة تصور متميز خاص بك ؟

د . حسين نصار : أنا أتصور الانسان ـ في كل أرجاء العالم ـ إنسانا قبل أي شيء ، أعني بذلك أنه كائن ذو مشاعر وفكر ، ويؤدي بي ذلك الى تصوره (واحدا) في أي مكان في العالم : كائنا يشعر ويفكر ، وإنما تأتي الاختلافات بين الناس في : أنواع المشاعر التي يشعرون بها ، والمظاهر التي يعبرون عن تلك المشاعر بها ، وفي أنواع الأفكار التي يفكرون فيها ، وإلام تدفع بهم هذه الأفكار ، وكيف يستثمرونها ، وتلك الاختلافات تقع بين أبناء المجتمع الواحد ، كما تقع بين أبناء المجتمعات المختلفة .

ثم يضاف إليها مشاعر وأفكار أو أعراف صدرت عن اجتماع أفراد في بيئة واحدة ، فرضت عليهم بسبب المقر والقدرة على الحياة معا ، والثقافة المشتركة ، وامتداد الزمن ، طابعا خاصا يباعد بينهم وبين غيرهم من المجتمعات ، غير أن هذا التباعد في المظاهر لا في الماهية ، وعلى الرغم من كل هذا فكل واحد من هذه المجتمعات يجد من أبنائه من يستطيع أن يعبر عن فكره وحده ، ومن يعبر عن مشاعره ممزوجة بفكره .

وقد أتسامح فأقتصر على تسمية التعبير الفكري علما وفلسفة ، وتسمية التعبير عن الفكر الوجداني فنا وأدبا ، ولا جدال أن النتاج العلمي نتاج مشترك بين الانسانية كلها ، أما الفلسفة والفنون فلا جدال أنها ذوات طوابع محلية ، تميز انتاج مجتمع عن آخر ، لكنها في خلدي هي إنتاج (إنسان) و (مجتمع إنساني) ، ومن ثم فالروابط بينها جوهرية وعميقة . هذا التصور يدفعني الى :

ـ ألّا أعيب مجتمعا لأنه فقد نمطا من أنماط الثقافة ، كما عاب بعضهم على العرب فُقْدانَهم الأدب المسرحي . لكني أشترط أن يكون هذا المجتمع قد امتاز في أنماط ثقافية أخرى ، كما امتاز العرب في الشعر الغنائي . والسبب في موقفي هذا أن الأنماط

الثقافية - في تصوري - مظاهر وليست ماهيات ، ومن ثم فالاختلاف فيها له دلالة اجتماعية فقط ، وليس له دلالة إنسانية على النقص أو الفضل .

- ألاّ أصم مجتمعا بالفقر أو الحاجة إذا ما أخذ عن مجتمع آخر نمطا ثقافيا ، لأن المجتمعات تتواصل بعد قطيعة ، فتتغير الأعراف ، وتنشأ حاجات اجتماعية جديدة تبيح الاستيراد ، بل تفرضه أحيانا ، فإذا ما وجد النمط الثقافي المجلوب الأرض الخصبة الملائمة أثبت جذوره فيها ، وأحسن النماء ، فأعطى روائع الثمر .

الانفتاح على الثقافات البشرية ضرورة

وأنا أدعو أن نفتح المجتمع العربي للثقافة البشرية من كل أرجاء العالم ، ولا نقتصر على العطاء الأوروبي الأمريكي ، فإن ذلك يتيح لنا فرصا واسعة غزيرة للاطلاع والتعرف والتأثر والانتقاء ، وذلك هو طريق الثراء .

لقد عرف المجتمع العربي في العصر العباسي - الى جوار التراث الاغريقي - التراث الفارسي والهندي والصيني ، فأبدع ما أمكنه الابداع . وأرى أنه من الواجب علينا أن نحتذي بهم ، ثم نتوسع باتساع عالم عصرنا ، فنوغل الى أقطار الشرق الأقصى ، وننفذ الى الجماعات الافريقية ، ونبعد الى أمريكا الجنوبية ، ولا نقتصر على ما عرفنا من ثقافات أوروبية ، وراءها ثقافات شعوب قد تكون صغيرة العدد غير أنها أصدرت أنماطا عظيمة من الثقافة . ثم أدعو ألا نقتصر على ثقافة العصر عند هذه الشعوب ، بل يجب الايغال الى ماضيها الثقافي أيضا .

ولا ينفع - عند التقصير - الاحتجاج بالاختلاف الديني أو المذهبي أو الفكري أو غيره . فلست أدعو الى الأخذ منها أو الاندماج فيها ، وإنما أدعو أولا وثانيا الى التعرف ، ثم الانتقاء ، أو التأثر أو الأخذ إن كان هناك مجال لذلك .

وأعتقد أن جميع الرواد المصريين امتازوا بالنظرة الواسعة للثقافة ، لكن مدى الاتساع هو الذي يتباين عندهم ، فاتجه بعضهم الى التراث الفرنسي اللاتيني ، مثل محمد حسين هيكل ، وبعضهم الى التراث « الانجلوسكسوني » مثل جماعة الديوان ، وأحمد زكي أبو شادي ، ولويس عوض ، وبعضهم الى تراث البحر الأبيض المتوسط ، مثل طه حسين . وتحدث كل منهم عن التراث الذي تحدث عنه وما حوى من تراثات نقلت اليه ، مثل التراث الألماني والروسي . ومن الرواد الجامعيين فتح أحمد أمين الباب للثقافة الانجليزية خاصة ، وأمين الخولي للثقافة الايطالية ، وعبد العزيز الأهواني للاسبانية . وتعود نظرتي المتسعة للثقافة الانسانية الى التطور الذي وقع في وسائل المواصلات ، حتى صار العالم - كما يقال - قرية كبيرة ، والتطور المماثل الذي وقع في وسائل الاتصال الفكري من اذاعة وتلفاز وفيديو وأقمار صناعية ، وتصوري أن النهضة الثقافية لا تبدأ ولا تزدهر ولا تستمر إلا بالتلاقح الفكري بين الثقافات المختلفة .

تجربتي في البحث العلمي

تؤدي بنا هذه النظرة الشاملة الى الثقافة الانسانية عامة ، والثقافة العربية خاصة - إذا أذنت لي - الى ضرورة وجود مشروع منهجي واضح ذي عناصر محددة واضحة ، يحقق هذه النظرة ويعمل على أن تكون مدرسة علمية ذات خصائص متميزة .

- مذ كنت في السنتين الأخيرتين من دراستي الجامعية طمحت أن أكون : إما عضو هيئة تدريس جامعية ، أو موظفا في المكتبة المركزية للجامعة . وكنت طوال سنواتي الجامعية أقسم العطلة الصيفية قسمين : أخصص أحدهما لدراسة شرح ابن عقيل للألفية باعتباره جامعا لزبدة النحو العربي في عبارة يسيرة واضحة ، وأخصص الثاني لترجمة مقال أو فصل أو كتاب صغير باللغة الانجليزية .

وتبلور كل هذا بعد ذلك في تصوري للباحث الجامعي ، فكان عندي الباحث القادر على استخدام لغة أوروبية واحدة على الأقل في معرفة الفكر غير العربي ، القادر على اكتشاف إضافة علمية توضع في الرصيد العلمي له ، القادر على توصيل فكره بلغة عربية سليمة .

ولأوضح هذا أقول إنني لا أتصور الأكاديمي الحق مدرسا ، وإنما هو أولا باحث ، ثم مدرس . وإذا كان البحث في مجالات علمية كثيرة واضح الحاجة الى معرفة الفكر الأوروبي ، فكذلك البحث في مجالات العلوم الانسانية ، بل لعل هذا المجال أشد حاجة ، لأنه مجال انساني مشترك ، تفيد فيه المعرفة المجردة والنظرية حتى لو لم تقم على مجتمع واحد . ومن هنا يكون اتصال الباحث الاكاديمي بالفكر الأجنبي واجبا ، فإذا أضيفت الى هذه القدرة قدرتان أخريان : قدرة في اللغة الأجنبية ، وقدرة في اللغة العربية كانت الترجمة محبذة ، وذلك ما فعلته في صدر حياتي الجامعية .

وأولى الخطا الى الكشف في مجال الدراسات الانسانية معرفة ما كان عند القدماء أو السابقين على الباحث الأكاديمي ، ويفرض عليه ذلك الاتصال الدقيق الشامل بالمكتبة العربية مخطوطها ومطبوعها ، وهذا هو ما وصل بيني وبين تحقيق المخطوطات .

فقد رأيت أكثر الدراسات السابقة قامت على الانتقاء قبل الاستقصاء ، وعلى الاكتفاء بما اشتهر من مواضع الاشراق والضياء ، ورأيت ذلك قاصرا بل مضللا ، فهو قاصر لأنه يقصر الشهرة على من حكم القدماء لهم بالشهرة ، فيحتفظ بمعايير القدماء ويغفل ما حصلنا عليه من ثقافات من الواجب أن تؤثر في معاييرنا ، وهو مضلل لأنه يجعل القراء يتصورون أن الثقافة العربية لم تعرف إلا الازدهار ، ويحول بينهم وبين معرفة مواطن الانحدار ، والبحث عن أسبابها ، والسعى الى تجنبها في عصرنا الحديث أو عصورنا المقبلة .

ودفعني ذلك الى :

١ ـ العناية بتحقيق المخطوطات ، استكمالا لصورة التراث العربي .

٢ ـ العناية بالكشافات أو الفهارس المنوعة لما أُحقق من كتب ، تيسيرا للبحث العلمي فيها ، ولأن كثيرا منها يحوي خليطا غير متجانس ، بل وجوده فيها غير متوقع .

٣ ـ الاتجاه الى دراسة الظواهر المحدودة في الاتساع ضمانا للسلامة ، والوصول الى الجديد .

وفي مجال القدرة اللغوية التزمت السلامة وألزمت بها تلاميذي ، وألزمتهم البعد عن اللغة الفضفاضة التي تتدفق من القلم حاملة معاني واحدة ، طالبا أن يكون لكل جملة مدلول جديد ، وألزمتهم البعد عن اللغة الانشائية التي تجرف صاحبها اليها وتغرقه في سيل من الزبد الرونقي الزائف .

كاتب عربي مصري

● في مجال التنوع داخل المشروع المنهجي الذي حققته ، لا شك أن هناك علاقات ضمنية ، تجمع عناصر هذا المشروع (الترجمة ـ التحقيق ـ التأليف) ، (اللغة ـ الموسيقا ـ الشعر ـ النثر) .

هل تأذن لي أن أطلب منك أن توضح لنا تلك العلاقات التي تربط عناصر هذا المشروع ؟

ـ أعتقد أن الناظر في كل انتاجي ـ خاصة بعد مرحلة الصبا ـ يخرج بأن صاحبه كاتب عربي مصري ، فكل ما كتبت من لغة وأدب وفن وتاريخ يدور في فلك الثقافة العربية قديمها وحديثها ، غير مقالات قلائل وجدت فيها فوائد أحببت أن أنقلها الى القارىء العربي فترجمتها أو عرضتها .

ثم إني أرى أن المؤرخ الأدبي يجب أن يكون محيطا بثقافة المجتمع العربي كلها ، وكلما زادت معرفته بهذا المجتمع ونشاطاته الثقافية اتسعت أمامه فرص الفهم والانارة والكشف والامتياز في دراسته الأدبية الخاصة .

قد يتعارض ما قلته مع دعوى التخصص ، والتخصص مبدأ أقول به أنا أيضا ، لكنني أعني بالتخصص أن يتركز نشاط صاحبه ، فلا يهمل أي إنتاج فيه مهما كان مصدره قوة أو ضعفا ، وأن ينتهز كل الفرص لاثرائه ، لكني أرى أنه يجب على صاحب التخصص الادبي أن يعرف معرفة دقيقة كل ما جعل تخصصه يتخذ مسارا معينا ، ويحمل ظواهر بعينها ، فإذا ما أراد ذلك كان واجبا عليه أن يعرف في دقة التخصصات الأدبية الأخرى ، بل أن يتسع الى المجالات الثقافية المتعددة لتصح أحكامه ، وتسلم تعليلاته ، ويهتدى الى مالم يهتد اليه غيره .

ولعل أقرب الأمثلة على ذلك أصحاب الدراسات الاقليمية ، فمنهم من حصر نفسه داخل عطاء الاقليم الذي تخصص فيه ، وظن كل ظاهرة فيه خصيصة له ، وجمع كل ذلك ، فخرج بصورة لشخصية زعمها لهذا الاقليم ، وزعم أنها تفرق بينه وبين الشخصية العربية العامة ، أو شخصية الأقاليم العربية الأخرى ، ومن هؤلاء الدارسين من جمع عطاء الاقليم الذي تخصص فيه والعطاء العربي العام في الأقاليم الأخرى ، وقابل بينهما ، وأحسن استخراج الفروق إن كانت هناك فروق ، ووصل الى أحكام لانزاع فيها .

لا شك أن كل مجال من مجالات المعرفة الانسانية له طريقته الخاصة في التعامل ، خاصة إذا افترقت المجالات افتراقا تاما أو كبيرا ، مثل العلوم التجريبية والفنون . وقد تناولت عناصر تنتمي للعلوم المحضة مثل الدراسات اللغوية ، وعناصر لها طريقة تعامل خاصة مثل الترجمة والتحقيق ، لكن المضمون في هذه العناصر كلها هو التراث العربي ، بل من يمعن النظر في هذا الانتاج يجد ما يلي :

ـ عامة الدراسات اللغوية فيه تنتمي الى علم المعاجم أو علم اللغة العام ، وهما أقرب العلوم اللغوية الى الدراسات الأدبية أو الثقافة العامة .

ـ الدراسات الموسيقية فيه قريبة كل القرب من الدراسات الأدبية ، بحيث يعد تاريخ الموسيقا مرجعا مهما لدراسة الأدب العربي ، ولا يمكن الفصل بين الموسيقا والغناء في ألف ليلة وليلة والدراسات الأدبية .

ـ الدراسات التاريخية التي ترجمتها أو ألفت فيها تنتمي الى تأريخ التاريخ ، أعني تاريخ الفكر التاريخي ، وهذا الفكر أحد عناصر الثقافة التي عنيت بها طول حياتي ، أضف الى ذلك أن بعض هذا الانتاج قد اعتبرته أدبا ، وأدخلته في أول دراساتي الأدبية « نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي » .

ومن ثم فهي عناصر تتحاور وتتكامل لتعطي المشروع المنهجي صورته الكاملة .

البارزون من الجيل الحالي

● إذا عدنا مرة أخرى الى المشروع المنهجي ، فهل تتصور امكانية قيام مغايرة بين المشروع السائد في جيلك وما يمكن أن تطرحه أو ماقد طرحته الأجيال اللاحقة ؟

ـ لا يمكن الاجابة عن هذا السؤال في جملته ، وانما أود أن أفتته الى عناصر ، كما لا أود أن أتحدث عن الجيل الحالي في مجموعه وإنما فيما أرى أنهم هم البارزون فيه .

ـ أما الدراسة العلمية المنهجية للأدب فهي المثل الأعلى عند الدارسين الجامعيين جميعا ، سواء من يحرص منهم عليها أو من يتهاون منهم فيها ، وهي السائدة عند أقدر الجامعيين الآن .

ـ كذلك يسود الآن الاعتماد على النص الأدبي أولا وأخيرا ، واستنطاقه على ضوء مالدى الباحث من ثقافة ومعرفة بالنصوص المماثلة في عصور الأدب العربي وبيئاته المختلفة ، دون تعسف أو استعراض أو استهواء للغريب الباهر .

ثم أضاف الجيل الراهن اتصالا أوثق وأشمل بالتراث الحديث ، وبخاصة المعاصر ، والأدب الشعبي الميداني ، والاتجاهات الحديثة في الدراسات اللغوية .

ومعنى ذلك أنني أرى أن منهج الدراسة الأكاديمية عند أبناء الجيل الحالي أقرب الى أحمد ضيف ، وأحمد أمين ، وطه ابراهيم ، ذوي النظرة العلمية منه الى طه حسين ، ومحمد كامل حسين وهما من ذوي النظرة الأدبية الانفعالية ، فهم الى الدراسة أقرب منهم الى النقد ، وإن كان القادرون منهم الذين مارسوا النقد في بعض الأحيان قد كشفوا عن قدرات واضحة .

علاقتنا بالتراث

● هناك موضوع كان ـ ومايزال ـ يشغل بال باحثينا ومثقفينا ، أعني به علاقتنا بالتراث ، فمن خلال خبرتك بالتراث وتعاملك معه ، ماهو تصورك للعلاقة التي ينبغي أن تربطنا بالتراث العربي في إجماله ، وهل لهذا التراث خصوصية تميزه عن غيره ؟

ـ العلاقة التي أرى أنها ينبغي أن تربطنا بالتراث هي الفهم ، أريد بذلك أن أول ما أطلبه من القارىء العربي الحديث أن يقرأ الانتاج القديم كما يقرأ الانتاج الحديث ، وألا يحول بينهما بعد في اللغة أو نوع التأليف أو الطباعة ، وأن يبغي من هذه القراءة الفهم أولا ، والتقييم ثانيا ، واستلهام المواضع القادرة على الإلهام ـ وهي كثيرة ـ قد فطن أدباؤنا الى بعضها .

إن كل انتاج فكري لابد أن يخضع للبيئة الفكرية التي أنتجته ، لكن بعض الانتاج يخضع لها خضوعا كاملا ، فيفقد بذلك كل قدرة على الحياة ، ويتحرر بعضه بعض التحرر ، ويحمل ظواهر هذا التحرر ، وهي التي تعطيه خصوصيته وحقه في الخلود .

وتراثنا العربي يحتوي على عناصر كثيرة متميزة خالدة ، إضافة الى جوهره الخاص القائم على التجريد والتوحيد والفردية .

● في داخل هذه الخصوصية ، ما العلاقة بين البعد القومي ، والبعد الاقليمي ؟

ـ لقد شارك في انتاج هذا التراث قطر عربي خالص منذ وجد ، هو شبه الجزيرة العربية ، وأقطار موغلة في التعرب مثل العراق والشام ، وأقطار عربها الاسلام مثل مصر والمغرب بعناصرها المعروفة ، وأقطار استعربت مدة ثم خلعت رداء العروبة ، واحتفظت بالاسلام مثل فارس وأفغانستان وباكستان وتركيا والجمهوريات السوفيتية ، وأقطار استعربت مدة ثم خلعت رداء العروبة والاسلام معا مثل الأندلس .

وعندما دخلت الجيوش الاسلامية هذه الأقطار ثم هاجر من هاجر إليها من أبناء القبائل العربية حملوا معهم ثقافتهم العربية الخالصة .

والتقت هذه الثقافة بالثقافات المحلية في هذه الأقطار عن طريق جوار أصحابها ، وعن طريق التزاوج الذي فتح النظام الاسلامي أمامه كل الأبواب ، مما أنتج مجتمعا جديدا امتزج فيه كل شيء .

ثم وفدت ثقافات جديدة من مواطن قريبة وبعيدة الى هذه الأقطار العربية ، وبخاصة العراق ، موطن الخلافة ، عن طريق حركة الترجمة الدءوب .

ولم تقف الحدود في هذه الأقطار حائلا دون أي اتصال ، فقد دام الاتصال البشري نشيطا ، يخرج العالم أو التاجر من المشرق الاسلامي فيصل الى المغرب أو العكس ، ودام التيار الثقافي يتدفق من العاصمة ـ حاضرة المعرفة ـ الى جميع الأقطار في سرعة مذهلة ، حتى أن بعض الشعراء الكبار كالمتنبي وأبي نواس ترددت أصداء شعرهم في الأقطار البعيدة أثناء حياتهم .

وكان انتهاء الأغلبية في هذه الأقطار الى الاسلام أولا ، والعروبة ثانيا ، والامتزاج الشديد بينهما في أذهان الناس والخضوع والتطلع الى العراق حاضرة الخلافة ، والاعجاب بالشعر العربي القديم ، والاغتراف من الكتاب الواحد ـ القرآن المجيد ـ وما أثاره من حركة علمية بعيدة الآماد ، واسعة المجالات ، عربية اللغة والمنطلق ، وتنكر المسلمون الجدد لثقافاتهم القديمة : كان كل ذلك وما واكبه من

ظروف أخرى عوامل قوية على توحيد الفكر والشعور في هذه الأقطار ، ونصب مثلا أعلى واحدا في الفنون ، تتطلع اليه العقول ، وتطمح المواهب في احتذائه ، ولذلك كانت ظواهر الوحدة في هذا التراث أكثر وأعمق من ظواهر التفرق ، وظواهر الاتصال أجلى من ظواهر الانقطاع ، فاختفت أو كادت الشخصيات المحلية للأقطار العربية المتباعدة ، وبرزت الشخصية العربية العامة .

وليس معنى ذلك اختفاء الشعور الوطني اختفاء تاما لدى الأدباء القدماء . لقد عبر ابن بسام في ذخيرته عن مثل هذا الشعور ، لكنه شعور لم يتطرق اطلاقا الى القطيعة أو إرادة القطيعة بين الثقافتين العربية والمحلية ، وإنما جأر بالشكوى من إهمال الانتاج الوطني ، وتركيز العناية على الانتاج القومي ، فدل على مدى سيطرة الثقافة القومية على الفكر الأندلسي .

أما الآمال والادعاءات التي عبر عنها الدعاة من دراسة الآداب العربية الاقليمية ، فقد ضللت ـ في رأيي ـ بعض الدارسين الأولين ، ثم جمدت ، وشرعت عند الدكتور عبد العزيز الأهواني تتبين حقيقتها ، وأخذت في دراساتي حجمها الحقيقي الذي لا مغالاة فيه ولا تقليل .

وتراثنا الحديث

● إذا صح هذا في التراث القديم فهل يصح في التراث الحديث ؟

ـ في خلدي أن الصورة لم تتغير تغيرا تاما ، فقد بقي التراث القديم مصدر إلهام للفكر الحديث ، غير أنه فقد جزءا كبيرا من سلطته ، بل ربما الجزء الأكبر عند المعاصرين .

وبقيت الحاضرة العربية مصدر إشعاع تغترف منه كل الأقطار العربية ، لكن هذه الحاضره انتقلت من العراق الى مصر في مطلع العصر الحديث ، ثم شاركتها الشام ، وفي منتصف القرن العشرين شاركت كثير من الأقطار الأخرى في الاشعاع ، بل جاء في العصر الحديث إشعاع من قطر بعيد ، لم يعرفه العرب القدماء ، أعني الأمريكتين ، حيث ظهر الأدب المهجري الذي كان له أثره الواضح في آداب كل الأقطار العربية .

الجامعات العربية آمال ومعوقات

● أنتهز فرصة هذا الحوار فاسأل عن تصورك لمستقبل الجامعة في وطننا العربي ؟ وما هي الجوانب التي عاقتها عن أداء دورها ؟!

ـ لا أذهب مع الذاهبين الى أن الجامعات العربية ـ خاصة الجامعات المصرية وهي الأقدم ـ لم تؤد دورها في الحياة الفكرية العربية ، بل أرى أنها أدت دورا كبيرا ، ملموس الأثر في كل المجالات .

لكنها لم تؤد كل الدور الذي نتمناه ، وأسباب ذلك متعددة متغايرة ، ربما كان أهمها الأسباب الاقتصادية ، فالميزانيات المرصودة للجامعات لا تحقق للكليات العملية الأجهزة التي تحتاج إليها والتي تتطور بسرعة هائلة ، تجعلها في حاجة الى التجديد الدائم ، ولا تحقق للكليات الانسانية المكتبات الغنية ، والاتصال الفكري الدائم عن طريق الدوريات العلمية الكثيرة والندوات العالمية التي يجب أن تعقدها الجامعات العربية في مقارّها ، ويجب أن تشترك فيها بإيفاد أفراد من أبنائها الى مواطنها من أنحاء العالم .

واذا ما أردنا لهذه الجامعات أن تؤدي دورها الحق المطلوب وجب علينا أن نوفر لها الاستقلال عن السلطة ، ونضمن لها الحرية في تصريف أمورها الادارية والعلمية والتعليمية والثقافية ، فيكون لها حق السخط والأمل والبحث عن طريق الارتقاء دون ضغوط . ولا يمكن أن يتم هذا إلا في مناخ ديمقراطي : خارج الجامعة ، ليشعر كل واحد من أبناء المجتمع أنه مسئول عن الجامعة ، وعن دفع الأذى عنها ، والدفاع عن حرياتها . وداخل الجامعة ليشعر كل واحد من العاملين فيها بالأمان ، فيتاح له أن يستثمر كل طاقاته فيما يعود عليها وعلى المجتمع بالنفع ، ويسير بها نحو التقدم والازدهار . □



العربي كما تراه هوليود

بقلم : الدكتور جاك شاهين

لم نسمع عن فيلم أمريكي قدمت فيه شخصية « العربي » بموضوعية . فخلال تاريخها الطويل رسمت هوليود صورة وهمية للعربي ، هي مزيج من الشراسة والشبق والجبن والتخلف ، فكان لهوليود عربيها الخاص الذي يقدم لنا الكاتب ملامحه في هذا المقال .

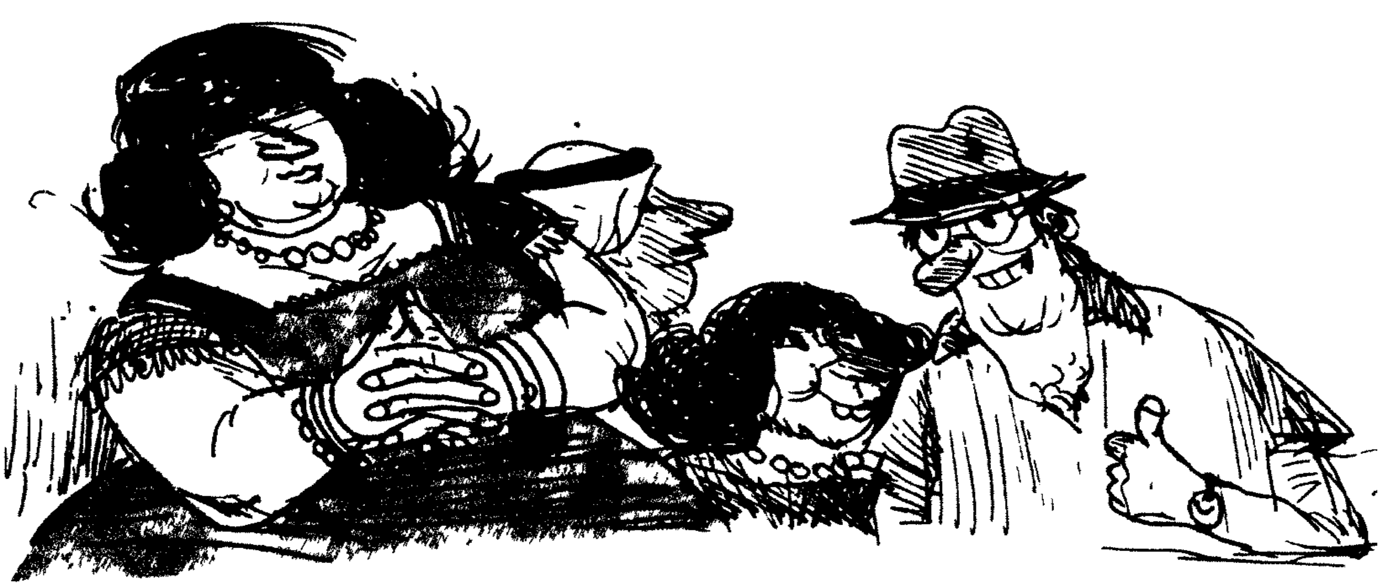
يقطن الوطن العربي اليوم أكثر من (١٨٠) مليونا من البشر ، يشتركون جميعا في تراث واحد ، وديانات سماوية مشتركة ، وتاريخ واحد ، هذا الوطن يتكون من (٢٢) قطراً ، ويتوزع سكانه بين المدن والضواحي والأرياف ، ولا يختلفون إلا في الأزياء التي بلغ تعددها حدا يتعدى الاختلافات البسيطة المعهودة في أزياء الشعب الواحد ، وفي طرق المعيشة التي ارتضاها كل قطر لنفسه .

الأمريكيون والشعوب الغربية الأخرى لا يعرفون عن العرب إلا القليل ، كما لا يعرفون عن عاداتهم وانجازاتهم عبر تاريخهم الطويل إلا النزر اليسير ، فالصورة التي تطبع في ذهن الأمريكي عن الإنسان العربي ، والتي رسختها ثقافته الشعبية في ذهنه منذ الصغر ، صورة مشوهة ، لعب بها الخيال والأهواء ، فعندما يسمع الأمريكي لفظ (عربي) يتبادر إلى ذهنه أنه « عدو لأمريكا » ، أو « عدو للنصرانية » ، أو « إنسان مخادع » ، أو « شخص غير ودود » ، أو ربما « شخص مولع بالحرب والقتال » . هذه الصورة الذهنية المترسخة تساعد على تعميق الشعور بعدم الثقة وسوء الفهم ، فالصورة الذهنية إذا ترسخت انطبعت في أعماق النفس وطال بقاؤها ، والحصيلة النهائية لها تكون أكثر شبها بالصورة « الكاريكاتورية » الساخرة التي تجرد صاحبها من الصفات الإنسانية ، وتجعله مجرد صورة خيالية ، ليس بينها وبين الصورة الحقيقية للإنسان السوي أي صلة .

الصورة والسلوك

يقول أستاذ التاريخ والدراسات الافروأمريكية البروفيسور جوزيف بوسكن من جامعة بوسطن :

« إن الصورة الذهنية المبسطة للإنسان تعلق بالذاكرة ، وتزداد ترسخا كلما تكرر عرضها ، ولا



يؤثر فيها تغيير الزي أو المظهر الخارجي لصاحبها ، وبالإضافة إلى ذلك ، فإن هذه الصورة الذهنية لمجموعة من الأشخاص أو لقضية من القضايا أو لحادثة من الحوادث لا تلبث أن تتغلغل إلى الأعماق ، وتترك أثراً كبيراً في التصرف السلوكي للإنسان الذي انطبعت في ذهنه » .

روس وعرب

ولنضرب على ذلك مثلاً ، فالصورة التي انطبعت عن الشخص الروسي في ذهن المشاهد الأمريكي للعروض التلفازية تتمثل في صورة امرأة روسية بدينة ، ترتدي ملابس روسية مضحكة ، وتتناول ساندويتشات الهمبرجر الأمريكية . هذه الصورة ظلت تعرض جزءاً من دعاية نظمتها شركة ويندي لمنتجاتها من الهمبورجر حتى عام ١٩٨٥ ، حين التقى ريجان بجورباتشوف ، ولم يلغ عرضه إلا بعد أن قدم الموظفون الروس احتجاجات وشكاوي من استمرار عرض صورة الإنسان الروسي على هذا النحو الذي انطبع وترسخ في ذهن المشاهد الأمريكي .

كما أعرب الرسميون الروس عن استهجانهم وعدم رضاهم عن عدة أفلام أمريكية ، منها (الفجر الأحمر) ، و (الليالي البيضاء) ، و (رامبو) ، و (غزو الولايات المتحدة الأمريكية) و(روكي ٤)، تظهر الروس أعداء للولايات المتحدة الأمريكية ، كما وجد بها بعض الأمريكيين إهانة وتحقيرا أيضا . ومن جهة أخرى وافقت شبكة البث التلفازي (أيه . بي . سي A B C) على عدم بث حلقات مسلسل (أمريكا) ، حتى لا تفقد مكتبها في موسكو ومراسلها هناك (ولتر رودجرز) . وإمعانا في التجاوب مع هذا الاتجاه قدمت شبكة (أيه بي . سي A B C) للبث التلفازي برنامجا خاصا ، حرصت فيه على الابتعاد عن تكوين صورة ثابتة عن الإنسان الروسي ، لا تلبث أن تنطبع في الأذهان ، وتصبح هي الصورة المعتمدة عن كل إنسان روسي ، لما في ذلك من عواقب سياسية وخيمة .

إن أثر الصورة الذهنية ليس جديدا على عالم الإعلام الغربي ، فإعطاء صورة تحط من قدر الإنسان الآسيوي سبق أن خلقت مشاعر عداء ضد الآسيويين في الغرب قبل الحرب العالمية الثانية وأثناء احتدامها ، وقد قامت الشركة الدولية للأفلام السينمائية التي تشكل جزءا من امبراطورية وليام راندولف هيرست للأفلام بإنتاج فيلم سينمائي ، أطلقت عليه اسم (باتريا) ، وهو عن حرب وهمية نشبت عام ١٩١٦ ، تصور فيه القوات اليابانية وقد انضمت إلى القوات المكسيكية للقيام بهجوم على



● حولدي هون كما تبدو في فيلم البروتوكول حين قرر الشيخ العربي الفاسد أن يضمها الى مجموعة روحاته

الولايات المتحدة الأمريكية ، وتتقدم قواتها فتغزو كاليفورنيا ، وتجري محاولات يابانية لاغتصاب بطلة الفيلم ، واقتراف عدد من الأعمال الوحشية ، هذا في الوقت الذي كانت فيه اليابان في الواقع تحارب إلى جانب بريطانيا ، وهذا يعني أنها كانت حليفة وليست عدوة

وقد جاء في الكتاب الذي قام بتأليفه البروفيسور دوجلاس كيلز ومايكل رايان ، والذي سينشر قريبا باسم آلة التصوير السياسية : « إن التصوير العنصري للعرب » بأنهم جماعة من الأثرياء الجشعين في « أفلام المؤامرات التي يشركون فيها العرب » يشعر المشاهد كأن العرب هم الملومون عن كل المشاكل الاقتصادية في هذا العصر . وفي العديد من الأفلام السياسية المثيرة يصور العرب على أنهم جماعات من الإرهابيين المتعصبين الذين يقتلون ضحاياهم الأبرياء بدم بارد ، وأنهم يفتقرون إلى المشاعر الإنسانية . وهكذا أصبح العرب يمثلون دور الأوغاد في أفلام هوليود » .

كتبت « ميج جرينفيلد » في العمود المخصص لها في مجلة نيوزويك تقول : « إن ما أراه وشيكا قادما دون ريب هو عودة إلى الماضي ، عودة إلى التعميم دون التخصيص ، عودة إلى الموقف العدائي نحو العرب أو المسلمين (بشكل عام وشامل) ، يشترك فيه الشعب والحكومة جنبا إلى جنب ، ويستمر مدة طويلة ، ثم تضيف قائلة : « هذه المشاعر المشوشة التي لا تميز بين الغث والسمين والجيد والرديء ، والتي تتركز على العرب عموما أصبحت تتردد على كثير من الألسن في الأماكن العامة ، وصرنا نسمع اليوم ونرى اتجاها لوصم العرب جميعا بأنهم ارهابيون وأشرار ، فإذا استسلمنا لهذا النوع من أخذ الكل بجريرة البعض وخلقنا صورة العربي الإرهابي الآثم ، وغرسناها في الأفكار نكون كمن يهاجم الشعب الذي يجب أن نحاول حمايته ، ونقدم لأعدائنا انتصارا علينا ، لأننا نقول شيئا ونفعل عكسه »

في الأفلام السينمائية القديمة كان العربي يُصوَّر وكأنه مخلوق بعيد عن الحضارة ، متشرد لا تحكمه الضوابط الأخلاقية ، وبخاصة في الاتصالات الجنسية . وفي الأفلام الحديثة يُصَوَّر العربي كإنسان همجي ، خاصة في الأفلام التي تم تصويرها في الثمانينيات ، ونادرا ما نسمع عن اعتراض على هذا التصوير من المشاهدين ، أو نقرأ عن ذلك في الصحف ، ولذا نرى أن هذا التصوير قد أصبح مألوفا للقارىء ، وسائدا في الأفلام ، بل ربما أصبح مقبولا ومستمراً.

صانعو الأفلام ينقبون عاده في حقائبهم عن الصور الجاهزة التي تصلح لاظهار شخصية معينة ، فيعثرون على مجموعة الصور التي تمثل العرب .
فإذا كانوا يبحثون عن صور نسائية ، اختاروا صور الراقصات اللاتي يتقن هز البطن ، أو النساء المحجبات اللاتي يرتدين العباءات السوداء والأثواب الفضفاضة ، وإذا كانوا يبحثون عن صور للرجال نراهم يختارون صورة الرجل الذي يعتمر الكوفية ويرتدي الدشداشة الفضفاضة والعباءة ، ويضع

فوق عينيه النظارات الشمسية الملونة إمعانا في الأناقة ،ويتمنطق بالسيف المعقوف ويركب الجمل أو سيارة الليموزين . فإذا فرغ من اختيار صور الشخصيات النسائية وشخصيات الرجال ، راح يبحث عن الخلفية التي تصلح لمثل هذه الشخصيات . فيختار آبار النفط وكثبان الرمال ومناظر الأسواق العربية ، فإذا انتقل بعد ذلك لاختيار الصفات التي تتحلى بها الشخصيات نراه يضفي على الذكور منهم صفات الخسة والتفاهة والجبن والبدائية والجهل ، والنزعة الى الشر ، والميل المفرط الى الفسق والدعارة والثراء الفاحش المغيظ . أما الاناث فهن دائما شهوانيات أو من الراقصات اللاتي لا عمل لهن إلا هز الوسط ، أو ممن يمتهن الدعارة ، أو ارهابيات ، أو محجبات لا يتقن إلا السير خلف أزواجهن كذيول لهم .

ما الذي يراه المشاهد عند النظر إلى فيلم جرى اختيار عناصره الرئيسية بهذه الطريقة العشوائية ؟ لا شيء سوى اعادة وتكرار لشخصيات سلبية في مشاهد متشابهة وغير واقعية ، فالشخصيات التي يفترض بأنها تقيم في الأقطار العربية كما في فيلم « Arabland » يقوم بأدوارها ممثلون اسرائيليون أو أمريكيون لا يعرفون عن هذه البلاد شيئا ، فالنساء دائما محجبات تغطيهن العباءات السوداء ، والرجال دائما يرتدون الملابس الرثة ، وهم إما ارهابيون صراة ، أو من الحرس الصامتين ، أو هم حكام مستبدون . والمشاهد حين تصور فبخلفية صحراوية تمثل الأرض العربية ينتشر فيها الرعاة بأغنامهم وخيولهم وجمالهم ، وفي وسط هذه الصحراء يشاء المخرج أن يقيم قاعدة جوية عسكرية ، أو قصرا زهيد التكاليف بالحجم الطبيعي شبيها بقصور ألف ليلة وليلة . أما إذا كانت المشاهد تصور في المدن فإنهم يظهرون لنا شيوخ العرب ، وقد غطوا عيونهم بالنظارات الشمسية الملونة ، يقترفون الأعمال الخسيسة في سياراتهم الليموزين السوداء الفارهة أو سيارات المرسيدس المتلألئة ، ونادرا ما يظهر المخرجون مدينة عربية حديثة .

بروتوكول وأفلام أخرى

وعلى سبيل المثال هناك ستة أفلام تمثل العربي الفاحش الثراء الذي يتدخل في أمور لا تعنيه ، لأنها تتعلق بالسياسة الأمريكية ووسائل الاعلام الأمريكية ، وترافق هذه المشاهد نصوص تمثيلية تتعرض للخلافات والنزاعات المتفشية بين العرب أنفسهم : هذه الأفلام هي : جوهرة النيل ، بروتوكول،الدفاع الأفضل ، بوليرو ، صحاري والقذيفة (الجزء الثاني) ، . وثلاثة أفلام أخرى تقدم العربي بصورة الارهابي هي : نحو الليل ، النسر الحديدي ، قوة الدلتا .

وقد جرى التأكيد على هذه الصورة وترسيخها في أذهان المشاهدين في فيلمين تلفزيونيين آخرين أخرجا عام ١٩٨٥ هما : تحت الحصار ، طيران الرهائن وكذلك هناك تسعة أفلام أخرى تظهر العربي بشكل يبعث على السخرية مع أن موضوعات قصصها لا علاقة لها بالعرب من قريب أو بعيد ، ولا بالأرض العربية ، وهذه الأفلام هي : أيها الشيطان ، نيران سانت إلمو ، مسألة ليست بسيطة ، عودة إلى المستقبل ، تجوال في بيفرلي هيلز ، الحياة والموت في لوس أنجلوس ، سائقي الخاص وشرلوك هولمز الصغير .

وتدفع دقة البحث العلمي بالكاتب الى الاستشهاد بثلاثة أفلام أخرى لا تخلو من المحافظة على بعض التوازن والتطرق الى الحسنات جنبا الى جنب مع السيئات بدلا من الاصرار على الالتزام بايراد النواحي السلبية عند العرب دون غيرها ، وهذه الأفلام هي : ما وراء الجدران ، قارعة الطبل الصغيرة ، السفير .

المجموعة الاولى من الأفلام والتي تظهر العربي على صورة الانسان الداعر الذي يعمل على إفساد السياسة الأمريكية ، ووسائل الاعلام الأمريكية كما تبرز النزاعات والخلافات العربية الداخلية ، يغلب عليها محاولة الجمع بين هذه الصفات كلها دفعة واحدة وإلصاقها بالانسان العربي في الفيلم نفسه ، ففي فيلم بروتوكول مثلا ، وهو من انتاج عام ١٩٨٤

تتمكن بطلة الفيلم (جولدي هون) من إحباط مؤامرة لاغتيال أحد الحكام العرب ، وكنوع من المكافأة على البطولة التي أبدتها في إحباط تلك المؤامرة أرسل الشيخ حراسه المدججين بالسلاح ، والذين يزينون وجوههم بالنظارات الشمسية الملونة ويتمنطقون بالسيوف الحدباء ، لاحضارها إليه ، فيأخذونها وينطلقون بها بسرعة الى الأرض العربية المزعومة التي يحكمها ذلك الشيخ ، وظنت جولدي أنها ستكون في حضرة الشيخ نعم السفيرة التي تمثل حسن النوايا الأمريكية ولكن أكثر ما أزعجها وضايقها تلك الحشود من النساء المحجبات اللاتي يغطين أجسادهن كلها برداء أسود فضفاض ويثرثرن بجلبة هي أقرب الى نعيق الغربان منها الى الأصوات الآدمية ، وفي طريقها الى مقر الشيخ مرت بالحراس الذين يضعون الكوفيات فوق رؤوسهم ، فلاحظت أنهم كانوا يرمقونها بنظرات شهوانية ، فهي فتاة شقراء ، والفيلم يريد أن يظهر العربي (الفاسد أخلاقيا) بصورة الانسان الذي لا يبالي بعمل أي شيء في سبيل الحصول على فتاة شقراء تثير غرائزه الجنسية ، وبعد ذلك كله تكتشف جولدي أن ما عملته لانقاذ الشيخ ، وما أبدته من حسن نية ستكون مكافأتها عليه أن تصبح إحدى زوجات الشيخ نفسه ، نعم . . (الشيخ الذي لديه من الزوجات ما يفوق عدد كل العرب الذين يظهرون على شاشة الفيلم) ، وعرفت بعد ذلك أنها اذا لم تستسلم لمشيئة الشيخ فانه لن يسمح لأمريكا ببناء قاعدة عسكرية في تلك الرقعة من الصحراء التي يسيطر عليها . وهكذا نرى الحاكم العربي يحاول التلاعب والتدخل في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في سبيل نيل ما يريد ، إنه يريد أن يحول فتاة أمريكية شقراء الى واحدة من الرقيق ، ولا ينقذ جولدي من ورطتها ويحفظ عليها عفتها وفضيلتها إلا ثورة نشبت بين فئتين من العرب فقتل العرب بعضهم البعض ، وخرجت الأمريكية الشقراء سالمة نقية طاهرة .

فموضوع هذا الفيلم إذاً يقوم على الاحتيال والدجل ، والبطلة الشقراء هذه هي كل العناصر التي استخدمها المخرج لايراد قصة بناء قاعدة عسكرية على أرض هذا الشيخ العربي ، والنتيجة التي يخرج بها الفيلم هي وصول البطلة (جولدي) سالمة الى الولايات المتحدة الأمريكية ، ومثولها للتحقيق أمام إحدى لجان الكونجرس الأمريكي حيث يبث هذا المشهد على شاشات التلفزيون ، ويسمعها المشاهدون وهي تنصح وتحذر رجال الكونجرس أن يفكروا مرتين قبل دعوة الشخصيات العربية الكبيرة لزيارة البيت الأبيض حيث تقول : « إن أمن وسلامة بلادنا يتعرضان للخطر على يد هؤلاء العرب ، والتعامل معهم أمر في غاية الخطورة » .

أما فيلم « جوهرة النيل » وهو من انتاج عام ١٩٨٥ ، فيعمد الى ترسيخ فكرة وقوف العرب ضد بعضهم البعض ، والخلافات المستشرية بينهم ، قصة الفيلم تدور حول نشوب عصيان مسلح في « الأرض العربية » ، كما سبق وشاهدنا في فيلم البروتوكول ، والمشاهدون لهذا الفيلم تطالعهم نفس الأماكن تقريبا ، ونفس الخلفية الصحراوية ، والنساء المحجبات ، والحراس المسلحين بالسيوف الحدباء الذين يرمقون كل انثى شقراء بنظرات غرامية وشهوانية ، ثم يشاهدون بطل الفيلم ، الحاكم المستبد واسمه عمر خليفة ، وهو يحاول أن يغوي كاتبة أمريكية جميلة اسمها جوان وايلدر (وتقوم بهذا الدور كاثلين تيرنر) ، إذ يدعوها لزيارة مملكته على النيل لتقوم بتدوين نجاحه في « توحيد القبائل التي تعيش على ضفتي النهر » ، باعتباره إنجازا تاريخيا ، ثم يضيف الى دعوته هذه قائلا : « الصحافة الغربية لا تستطيع أن تتفهم الروح الوطنية التي أتوخاها من عملي هذا » .

ثم نرى قصر الحاكم الذي يشبه إحدى قلاع الجيوش الأجنبية التي نشاهدها في الأفلام الأمريكية ، تحيط به الحواجز والتحصينات من كل الجهات ، وفي داخل هذا القصر تطرق مسامعنا صرخات السجناء الذين يتعرضون للتعذيب ، وعندما تصل كاثلين الى داخل القصر يأتي من يخبرها

بأنها تستطيع أن تتمتع بحريتها تماما في هذا المكان ، ولكننا سرعان ما نكتشف أنها وقعت في نفس الفخ الذي سبق أن وقعت فيه جولدي هاون في فيلم البروتوكول ، وانها أصبحت أسيرة في قبضة الشيخ عمر .

وكان الشيخ عمر هذا قد قام بخطف « جوهر » وهو رجل دين يحبه الناس وينظرون له نظرة احترام وتبجيل ، وهنا نرى العرب وقد انشقوا الى مجموعتين ، مجموعة جوهر ورجاله الطيبين يقفون في مواجهة مجموعة عمر وجنوده الأشرار بألبستهم السوداء . ويلجأ عمر الى حيلة سخيفة فيستخدم موسيقى الروك وما تحدثه من أثر في هز الأجسام لاقناع الناس بالتخلي عن « جوهر » والانضمام اليه ، ثم نرى حشوداً هائلة من العرب وقد تجمعوا ليشاهدوا أثر الموسيقا عليهم ، فالفيلم يريد أن يظهر العرب كشعب بدائي يؤمن بالخرافات ، فهم عندما يشاهدون « جوهر » الرجل المقدس يمشي داخل النار المشتعلة يشهقون مندهشين ، ترى كيف يكون رد فعل المتفرجين لو أن جوهرا هذا كان يمثل دور رجل دين مسيحي أو يهودي يمشي داخل النار وجموع من المسيحيين أو اليهود يقفون شاهقين مندهشين ؟ وهكذا ينتهي فيلم (جوهرة النيل) بعد أن يسمع المشاهدون من يهمس في آذانهم ببعض وصمات العار التي يريد أن يلحقها الفيلم بالعرب، « انظروا الى هؤلاء الفتيان ، انهم لصوص ، ولن تسلم أية نعجة من أيديهم عندما يحل الظلام » . . ثم يعود للكلام . . « اذا أعطيت هؤلاء الفتيان خمسة أو ستة دولارات فسوف يسرقون لك ما تريد من أي بيت ، » ويمضي قائلا . . لماذا تظل هذه المزابل قائمة في العالم الثالث تدب فيها الحياة ؟ . . إن الذي يقف في طريق إزالتها هو ذلك الشيخ العربي (العظيم الشأن) » .

عذراء ولكن

وفي فيلم (بولير) نرى شيئا بغيضا آخر ، فهو يقدم لنا العربي على صورة العاشق الشهواني العاجز جنسيا . فالفيلم الذي ترجع أحداثه الى العشرينيات يقدم لنا امرأة شابة غنية تقوم بدورها الممثلة بوديريك تطمع بأن يقوم انسان مجرب وخبير بالنساء بفض بكارتها ، وبعد أن استعرضت أبطال الأفلام ، قررت أن تغوي أحد الشيوخ الحقيقيين بأن يقوم بهذه المهمة ، على أساس أنه خبير بالنساء . . وتشد (بو) الرحال الى مراكش ، وتذهب الى أحد النوادي الليلية ، حيث يقودها أحد القوادين من يدها مارا فيها عبر مجموعة من راقصات هز البطون ثم مجموعة من الجمال (وليتصور القارىء وجود الجمال في نادي ليلي !!) ثم يلقي بها في أحضان أحد الشيوخ الذي يتقبل عن طيب خاطر القيام بهذه المهمة ، وتقترح ديريك عليه أن يقوما بنزهة على ظهور الخيل في ضوء القمر فوق رمال الصحراء ، ولكن الشيخ كان عاجزا عن تلبية رغبتها فهو لا يستطيع حتى امتطاء صهوة الحصان بسبب تدخينه المستمر للنارجيلة ، وتستسلم ديريك للأمر الواقع وتقوم بخلع ملابسها ، وكان هذا كافيا لاستثارته ، ويقوم الشيخ بدهن جسمها كله بمزيج من الحليب والعسل وتستسلم له مغمضة جفنيها ومتوقعة لمساته الحانية ولكن الشيخ الذي كان قد غلبه النعاس يفقد قوته ، ولا يعود قادرا على القيام بالمهمة الموعودة ، وتنخرط ديريك في البكاء ، فأنين اللذة الذي كانت تتوق الى أن يصدر منها لم يتحقق منه شيء ، ولا تلبث أن تصرخ قائلة : « هؤلاء الشيوخ لماذا يتظاهرون بما ليس فيهم ولماذا يكذبون » ؟

ويمضي الفيلم في سرد الأحداث فيرينا كيف يقوم الشيخ بمرافقة عدد من أتباعه بثيابهم السوداء باختطاف (بو) من بيت عشيقها الأسباني . . وتسألهم بو مستغربة : « لماذا تفعلون ذلك بي » ؟ ويجيبها الشيخ : « إذا كنت مازلت عذراء فسأقوم أنا بفض بكارتك » . .

وتجيبه بو : « ولكنني لم أعد عذراء الآن » .

ويجيبها الشيخ : « هذا يحزنني . . ولكن الأمر سيان » ويمضي في اصراره على طلبه قائلا : « أريدك أن تعيشي معي الى الأبد ، انني أخطفك الآن كما خطف أبي أمي من قبل » .



● جولدي هون ، الفتاة الأميركية تحاول التأقلم مع حياة الصحراء والسيطرة على أحد جمالها في فيلم بروتوكول .

فالعرب على الشاشة الأمريكية يقومون بخطف نسائهم سواء كن راضيات أو كارهات .

وفي فيلم الدفاع الأفضل الذي ظهر عام ١٩٨٤ ، نرى كيف يقوم الجيش العراقي بمهاجمة الكويت ، إن أي شخص يعرف ولو قدرا ضئيلا من المعلومات عن الوطن العربي لا يمكن أن يظهر القوات العراقية وهي تصب حممها على الكويت ، فالكويت والعراق قطران عربيان جاران ، كما أن الكويت لم تطلب أبدا مساعدة القوات الأمريكية لمواجهة قوات عربية حليفة .

وعلى كل حال فالفيلم يرينا « ادي مورفي » الذي يمثل دور ضابط في الجيش الأمريكي المرابط في الكويت ، وهو يقوم بتشكيل وتدريب الجنود الكويتيين (الأغبياء والجبناء) الذين اسندت أدوارهم الى ممثلين اسرائيليين ليجعل منهم رجالا يصلحون للقتال ، ويرينا الفيلم كذلك الضابط الأمريكي وهو يشكو من كثرة روث الجمال ونسمع تبجحا وكبرياء كذلك الذي سمعناه في فيلم (لورنس العرب) .

ويظهر لنا هذا الفيلم النساء الكويتيات والنساء العراقيات على شكل قطعان من الحريم ، أو هن ارهابيات محجبات ، يقمن بمهاجمة الدبابات الأمريكية . . . ويظهر لنا مورفي وهو يمارس الجنس معهن ثم يقول ساخرا : أشكركن على حسن هزكن لبطونكن !!!! هكذا يصور الفيلم النساء العربيات .

أما فيلم (الدفاع الأفضل) الذي جرى تصويره في « اسرائيل » فيمكن تلخيص محتواه في بضع كلمات ، فعندما يقوم أطفال الكويت بالقاء الحجارة على دبابة ميرفي يصرخ بهم قائلا : حسنا أيتها الحيوانات القارضة . . سوف تموتون الآن ، ثم يطلق الرصاص عليهم وتمضي أحداث الفيلم الى أن يرينا ميرفي وهو يقود الكويتيين أثناء المعركة ، ولا يلبث أن يصرخ بهم ، والان اخرجوا سجاداتكم للصلاة ، وعندما تهاجمه امرأة متحجبة فتقذفه بقنبلة مولوتوف يصرخ بها « أيتها الكلبة الصحراوية » .

إن فيلم (الدفاع الأفضل) مبني على معلومات وردت في كتاب ألفه (روبرت جروسباك) عام ١٩٧٥ عن تورط الولايات المتحدة في الحرب الفيتنامية وعنوانه : طرق سهلة وصعبة للخروج

فلماذا يعمد المخرج الى تغيير صلب الموضوع ويحول الأحداث من فيتنام الى الكويت ؟

والعربي ، في السينما الأمريكية عندما لا يكون عاملا على تشويه وتخريب السياسة الأمريكية ووسائل الاعلام الأمريكية نراه يصور على أنه انسان منحرف جنسياً ، ويقوم بقتل زملائه العرب ، ففي فيلم الصحراء (صحارى) الذي أنتج عام ١٩٨٤ وصور في « اسرائيل » نرى العرب على صورة قبائل همجية من البدو الرحل ، يلاحقون احدى (آلهات الجمال) الممثلة بروك شيلدز وبما أنها كانت احدى المشاركات في سباق السيارات الكبير الذي يجري في مراكش فنحن نراها دوما وكأنها تهرب من مطاردة العرب ، عديمي الأخلاق الذين يقتلون بعضهم البعض ، وكما سبق وشاهدنا العرب في فيلمي : (جوهرة النيل) و (بروتوكول) نراهم في هذا الفيلم أيضا جماعة من الشهوانيين الداعرين الذين يعتدون على النساء الغربيات ، ويسمع المشاهد من يصف العرب قائلا : « هؤلاء الأشرار جاءوا من الصحراء ليشتروا النساء بأموالهم » ، وتقوم جماعة منهم أخيراً باختطاف بروك شيلدز ، ويتقدم أحد الشيوخ الشباب مطالبا بها ، كما يقوم عم هذا الشاب بمحاولات عدة لاغتصابها ، وعندما تستعصي عليه يشتمها قائلا : « ياكافرة إنك شيطانة ذات عيون زرقاء » .

الملك فلافل !

وفي فيلم (سباق القذيفة الثاني) (من انتاج عام ١٩٨٤) نرى صورة العربي السخيف الذي يتصرف تصرفات منافية للعقل تتكرر لكي تثبت في أذهان جمهور المشاهدين ، نفس صورته في فيلم (سباق القذيفة الأول) الذي أنتج عام ١٩٨١ ، ففي الفيلم نرى في البداية الملك (فلافل) الذي يقوم بدوره الممثل ريكاردو مونتالبان وهو يقوم بتوبيخ ابنه (العبد بن فلافل ـ ويقوم بتمثيل دوره جيمي فار) ونفهم من سياق الكلام أن الابن قد خسر سباق (القذيفة الأول) ونسمع الأب يصرخ في وجه ابنه قائلا « ياابن أبشع زوجاتي . . إليك الملايين فاذهب



● « الشيخ » العربي كما يبدو في فيلم البروتوكول ـ شخص شهواني ، غارق في الملذات

الى أمريكا ولتفز في سباق (القذيفة الثاني) .

ونفهم من سياق الفيلم أن العرب لا يملكون أية مهارة في ميكانيكا السيارات بحيث يستطيعون الفوز في سباقات السيارات ، ولذا فهم يحاولون الحصول على كل شيء بنقودهم ، فهي الشيء الوحيد الذي يمتلكونه بوفرة ، وبها يحاولون شراء الفوز في مسابقات السيارات ، وشراء النساء الغربيات أيضا . ولكنهم نادراً ما يستطيعون الحصول على مبتغاهم ، الصورة التي يحاول جيمي فار تثبيتها في الأذهان عن العربي ، هي الصورة الاسطورية عن « الشيخ الغبي » فنحن نسمع الشيخ يقول « لقد جاء الله إليّ في احدى الليالي وأمرني بتوزيع الثروة بين الناس فخذ هذه النقود واشتر لنفسك أحد مخازن الملابس » ويأخذ ابنه النقود ويبدأ ببعثرتها في أرجاء الحجرة ، وكأنها من الأوراق النقدية المزيفة التي تستعمل في الألعاب ، وهو يغني احدى الأغاني الغربية ، ثم يقول لأبيه « لقد أحببت هذه الأغنية فاشتريت الشركة التي سجلتها . . كل ما دفعته هو (٤٨) مليون دولار . . إنها نقطة من بشر مليء بالمياه » .

ومع أن فيلم (سباق كانون بول الثاني) يخلو من

النساء العربيات إلا أن الفيلم يشوه سمعتهن ، فنحن نسمع ابن الشيخ يقول : « انني أفضل النساء الشقراوات على النساء ذوات الشوارب » . أما ذوق والده فهو أشد انحطاطا وأكثر حقارة ، فعندما يقوم سائق ابنه بتقبيل الملك من شفتيه يضحك الملك مسرورا منتشيا وهو يقول . . « ليت أمك تستطيع أن تقبلني بهذه الحرارة » .

النسر الحديدي

أما فيلم (النسر الحديدي) الذي أنتج عام ١٩٨٦ فقد جرى تصويره في«اسرائيل»أيضا، وبلغ دخل شباك التذاكر (١٢) مليون دولار في خلال الاسبوعين الأولين من بدء عرضه ، فكان من الأفلام العشرة الاولى التي عرضت في ذلك العام ، منذ أن بدأ عرضه لأول مرة في السابع عشر من يناير عام ١٩٨٦ ، فقد كان عملا ناجحا على المستوى الشعبي ، وان لم يكن الأمر كذلك بالنسبة للنقاد وفي هذا الصدد يقول مخرج الفيلم (سيدني ج فيوري) حالما تظهر الطائرات الأميركية في الجو ، يبدأ الجمهور بالهتاف ويتكهرب الجو

ولكن الأمر الذي لم يذكره فيوري هو أن فيلم (النسر الحديدي) يعمل على زيادة مشاعر الخوف والكراهية للعرب .

في هذا الفيلم يرى المشاهدون طائرتين مقاتلتين أمريكيتين تسقطان فوق أرض متنازع عليها على حدود احدى الدول العربية الوهمية (الكرم) ويستغل الديكتاتور العربي هذا الحادث ليحاول ارغام الولايات المتحدة الأميركية على رفع الحظر التجاري المفروض على بلاده .

وتجري محاكمة الطيار الأميركي ويحكم عليه بالاعدام شنقا .

ثم نسمع من يقول لابن الطيار الأسير هامسا . إن بعض البلاد تلعب الكرة بطريقة تختلف عن طريقتنا ، ثم نسمع عسكريا أميركيا متقاعدا (الكولونيل) لويز جوسيت وهو يقول هامسا : « في هذه اللحظة مازالت الكرة في أيديهم ، وفوزنا أي الأميركيين ليس مضمونا على أولاد الزنا هؤلاء . فهم يقطنون في بلاد صغيرة كريهة على نفوسنا ، ويمضي الفيلم على هذا النسق من الحديث ، وفي كل مرة يرد فيها ذكر العرب . . يوصفون بأبناء الزنا ويمضي جوسيت في حديثه قائلا · إن ما يشعرني بالتقزز والقرف هو تصوري لهؤلاء المهووسين (يعني العرب) وهم يتناولون طعامهم مع الرجال الطيبين (يعني الأسرى الأميركيين) .

ويرينا الفيلم كيف كان دوج يرافق الكولونيل في جولة باحدى الطائرات فوق تلك البلاد الغريبة . وعندما رأوا الأغنام والرعاة . . يصرح الكولونيل . . ها هو شاطىء بلاد الأعداء .

ثم يضيف : « زالان دعنا نرى كيف يكون شعورهم عندما يجدون أنفسهم وقد فقدوا ما قيمته (١٠٠) بليون دولار من النفط ، أظنهم سوف يضطرون الى استيراد النفط في هذا العام » .

والذي يقوم بدور الوغد في فيلم (النسر الحديدي) هو القائد العسكري العربي الذي يقع الكولونيل أسيرا في قبضته . . فنراه يخاطبه قائلا : « إنني معجب بقدرتك على تحمل الألم ، وأنا أتطلع لاكتشاف قدرتك على مواجهة الموت » . وترى عملية تعذيب الكولونيل على أنغام أغنية تقول كلماتها . . الـ . . لن تقع في الأسر بعد الآن .

إن فيلم (النسر الحديدي) يدعم الصورة الذهنية للعربي المتوحش كما تظهرها الأفلام الأميركية . . العربي الذي يكره الأميركيين ، ويعمل على تعميق وترسيخ جذور الكراهية للعرب التي كانت مقصورة على البعض ، فيعمل على نشرها بين أفراد الشعب الأميركي كله ، والى تعميم هذه الكراهية على كل العرب .

الرسالة التي يريد فيلم (النسر الحديدي) إبلاغها للأميركيين هي : الأميركيون قادرون على مهاجمة البلاد العربية ويجب عليهم القيام بهذه المهمة لأن العرب يقتلون الأميركيين ويرفسونهم بأرجلهم حيثما يجدونهم ، هذا النوع من الأفلام يعمل على التمهيد لتقبل الشعب الأميركي للاستعدادات العسكرية لمحاربة هؤلاء العرب . □

أكن أرغب في العمل في بيع العقارات ، وإنما كان تفكيري منصبا على دراسة الهندسة المعمارية . وكان أصدقائي يتهمونني بأنني رجل خيالي في هذا الأمر ، ولكن لابأس ، فالخيال شيء مثير ويدل على التفكير الراقي الرفيع .

في ذلك اليوم ، أو بتعبير أدق ، في تلك الليلة كنا في حانة بلازوك ، ستة رجال يشربون وينشدون ما يحفظون من أغنيات ، لاشك أنكم تعرفون تلك الحانة الواقعة في شارع أرتس ، الحانة التي ينساب

هذا الوضع ، جعل الملل يتسرب إلى نفوسنا ، ولم ندر ماذا نفعل . لكن الشيء الوحيد الذي لم نفكر فيه ، هو إعادة الجواد إلى مكانه .

فجأة طرأت ببالي فكرة . هل تعرفون شارع هيوسمانس ، أكثر شوارع باريس قذارة ، الشارع الذي بنيت منازله على طراز بيوت البرجوازيين ؟

حسنا ، إنه مكان موحش ، يشعر الإنسان بالضيق والملل والاكتئاب ، لا أكن لذلك الشارع الرصاصي ، سوى الكره الشديد ، لأنه شارع

---

* صاحب هذه القصة ، هو صاحب أشهر رواية عن المقاومة الفرنسية للاحتلال النازي ، إذ تعد رواية « صمت البحر » التي وزعت كمنشور سري أثناء المقاومة من كلاسيكيات الرواية الفرنسية الحديثة .

ومع أن الاسم الحقيقي مازال مجهولا ، ويتعامل الناس مع ابداعه من خلال الاسم الحركي الذي أطلقه على نفسه ، إلا أن الدراسات التي أجريت حول هذا الكتاب تشير إلى أنه كان فنانا تشكيليا وأنه لم يمارس العمل الكتابي إلا أثناء المقاومة . لكن أعماله الابداعية في ميدان الكتابة ، تعتبر من أرقى الابداعات العالمية في مجال أدب الحرب والمقاومة .

البوابين اللذين لايراهم أحد .

لذلك طرأت فكرة الانتقام فجأة ، لابد من

الانتقام من الشارع ، أو الأقل من أحد البوابين

الذين يقطنون فيه . ... الجواد إلى ذلك الشارع

اللعين ودخلنا الباب ... لأحد البيوت ، ...

أمام باب حديدي ... ذي نوافذ

سميكة ، وحين أ... بالة الباب

طرقنا الباب ، وأ... وتا يشـ...

كأنه رجل تأخر ...



ـ جواد

ـ جواد

هربنا وتركنا الجواد بالباب ، دون أن ندري ماذا حدث بعد ذلك .

وأضاف :

ليس في الحكاية ما يثير ، لكن لابد للتخيل أن يأخذ مداه ، تصوروا : جواد يقف وحده عند مدخل العمارة ، البواب غير موجود في العمارة وساكن العمارة جواد ! وتخيلوا معي عندما ينظر البواب من ثقب الباب فيرى أمامه جوادا .

كلما تذكرت تلك الواقعة التي وقعت منذ مايزيد على عشرين عاما ، شعرت برغبة جامحة في الضحك .

عندئذ ، وضع رب البيت الكأس على المائدة وقال : أما أنا فسأحكي حكاية في غاية الجمال عن هتلر . وقد برقت تلك الحكاية في ذاكرتي كما يلمع البرق ، ونزلت نزول الصاعقة ، لأنها شبيهة بتلك الحكاية التي سمعناها قبل قليل ، إنها قصة واقعية أيضا ، وإذا لم تكن كذلك ، فأنا أؤمن بواقعيتها وصحتها ، لأنها تختلف عن كل القصص . فهي بلا نهاية .

بالطبع أنتم لا تعلمون ، أن هتلر حين وصل إلى باريس عام ١٩٤١ ، كانت الساعة تدق معلنة الخامسة صباحا ، وأنتم لا تعلمون أيضا ، ولا حتى باريس التي كانت نائمة في ذلك الوقت ، أن هتلر قد طلب التجول في شوارعها ، وأنه أطل عليها بهيئته المخيفة من شرفة شيلوت بالاس ، التي تشرف على العاصمة . لقد طلب هتلر في تلك الساعة زيارة دار الأوبرا ، وكانت الساعة السادسة صباحا عندما وصل إلى هناك ، وقد جلس وحيدا في المقصورة الخاصة برئيس الجمهورية . هل يعني لكم هذا شيئا ؟ هل يمكنكم تصور هذا المخلوق يجلس وحيدا في قاعة دار الأوبرا وفي ذلك الوقت ؟

كم أشعر بالغضب الجارف ، حين أتذكر ذلك ، حين أرى محتل باريس يجلس في تلك الصالة ، تحت ضوء الفجر المغبر .

لكن لا داعي لإكمال الحكاية ، لننتقل إلى حكاية أخرى ، فما أريد الحديث عنه شيء آخر ، فقد أراد الديكتاتور أن يزور ذلك المكان الذي كان يعيش فيه في باريس منذ عشرين عاما .

وحين يفشل مرافقوه في العثور على ذلك المكان نتيجة للتغيرات التالية التي حدثت خلال تلك السنوات،يحاول أن يهتدي إليه بنفسه حيث ينزل من سيارته محاطا بمساعديه ويقف أمام باب حديدي ضخم ، هتلر قبالة الباب والمساعدان يطرقان الباب بقوة .

أعتقد أن المرء لا يحتاج لخيال كبير ليتصور ما يجري ، تماما كما يمكن أن يحدث في قصة الجواد والباب . الفرق هو أن الشخص الذي سيفتح الباب هذه المرة ليس البواب بل امراة مسنة ، ومع توالي الطرقات على الباب ستلف المرأة عنقها بشالها اتقاء للبرد وتهرع إلى الباب ، وما أن تفتح المزلاق الضخم حتى ترى أمامها هتلر !!

هذه هي الحكاية باختصار ، حكاية مليئة بالدهشة والرعب ، هل يمكنكم تصور مدى الصرخة التي ستطلقها تلك المرأة حين تفاجأ بمن يطرق بابها ؟ وهل يمكنكم تصور وقع هذه المفاجأة عليها ؟

إن أي تعبير سوف يعجز عن الكشف عن كوامن نفس هذه المرأة التي ستسارع إلى إخفاء وجهها بيديها ، لأنها لا تستطيع أن ترى الشيطان بلحمه ودمه يقف قبالتها

لو كان الطارق ألمانيا ، أي ألماني آخر ، فإن المرأة ستشعر بالخوف والرعب ، وربما تساءلت : ترى عمّ يبحثون ؟

ولو كان الطارق موسليني أو فرانكو ، فربما تعرفت عليهما منذ الوهلة الأولى ، ولما أطلقت مثل هذه الصرخة الدامية المدوية .

أما حين ترى هتلر أمامها ، فإنها لن ترى سوى كائن الموت ، ذلك الكائن الذي يحمل آلة القتل في يد ، والكفن باليد الأخرى ، يبتسم بلا شفاه ، ابتسامة بلهاء مشؤومة .

أجل ، لن ترى سوى الموت مجسدا أمامها . □



منتدى العربي

قضية

قراءة في فكر مالك بن نبي :

الأفكار الميتة والأفكار القاتلة !

بقلم : الدكتور علي القريشي*

ليس كل ما في التراث العربي الاسلامي صالحا لزماننا ، وليس كل ما جاءت به الحضارة الغربية صالحا لبيئتنا ، ما الذي يصلح منهما اذن ؟ وما المعيار في الاختيار ؟

في سياق التفكير بإحداث التغيير الاجتماعي ، هناك استقطاب متنافر إزاء مسألة الموروث والمستحدث ، أدى الى حالات من الاضطراب والخلل في عالم الأفكار ، انعكس بدوره اضطرابا في عالم السلوك . فبدلا من تكامل الاصالة بالاقتباس في شكل ايجابي وصحي خلاق ، وفي اطار يخدم حركة التغيير الاجتماعي في حياة الانسان العربي والمسلم ، فقد حدث انشطار يمثله اتجاهان : الاول يهدف الى الحفاظ على الافكار القديمة حتى وان كانت « ميتة » والثاني يسعى الى استنبات الأفكار المستجلبة ، حتى وان كانت « قاتلة » .

تلك هي ظاهرة « الافكار الميتة والافكار القاتلة » التي نبه اليها وعالجها المفكر الجزائري الكبير « مالك بن نبي » (١٩٠٥ - ١٩٧٣ م) منذ وقت مبكر .

فالفكرة الميتة - كما يتصورها - : هي فكرة خذلت أصولها وانحرفت عن أنموذجها المثالي ، ولم تعد لها جذور في محيط ثقافتها الأصلي فالفكرة التي عرفتها الحضارة الاسلامية وهي ذاتيا صحيحة وفي اطارها

* كاتب من القطر العربي المصري .

التاريخي صالحة تغدو في اطار مجتمع لا يستوعبها فكرة فاقدة للتوازن ، وبالتالي فإن ممارستها في غير مناخها المناسب ستحولها الى فكرة ميتة .

تباين الأفكار

ان الفكرة الواحدة قد تتباين فعاليتها الاجتماعية في المجتمع الواحد ، عبر ظرفين مختلفين . ففكرة التقدم « مثلا كما يشير ابن نبي كان لها دور مؤثر في ثقافة المجتمع الاوروبي لكونها مؤيدة بالنظرية الوضعية « لأوجست كونت » وبنظرية التطور « لدارون » ، لكنها أصيبت بصدمة في القرن العشرين ، لأن إشعاعها فقد فاعليته الاجتماعية ، ولم يعد له بالتالي أثر فعال » .

اذن فالافكار كما تقاس ذاتيا ، تقاس موضوعيا . والبرجماتيون حين يرون أن الفكرة ليست صادقة إلا عند اختبارها والوقوف على نتائجها التي تُلاحظ موضوعيا ، فإن « ابن نبي » يلتقي معهم في القيمة الموضوعية للفكرة ، ويقرر بأن الفكرة الفعالة ليست بالضرورة صادقة ذاتيا ، لأن « صدق الفكرة أو بطلانها يتجلى في مجال العقيدة والمنطق والعلم والاجتماع ، ولكن تاريخها ، لا يتوقف على خصائصها الذاتية ، وانما يتوقف على التحريك وعلى سلطانها في قلب العالم الثقافي » .

إن ظاهرة الافكار الميتة وما تلعبه من دور سلبي يتطلب - كما يقول « ابن نبي » - (أن تُواجه بنقل فكر باستير وأساليبه العلمية الى المجال التربوي لاكتشاف موطن الظاهرة المرضية في الثقافة الحديثة للعالم الاسلامي . وإلا فإن الافكار الميتة ستواصل عملها في المجال الاجتماعي والسياسي) . وهذه هي المشكلة البارزة التي تعاني منها حركات التغيير السلفية التي يحاول بعضها تجزئة الامور (رؤية الجزء خارج إطاره البنيوي) والنظر للقضايا بشكل ذري دون نظرة موضوعية شاملة .

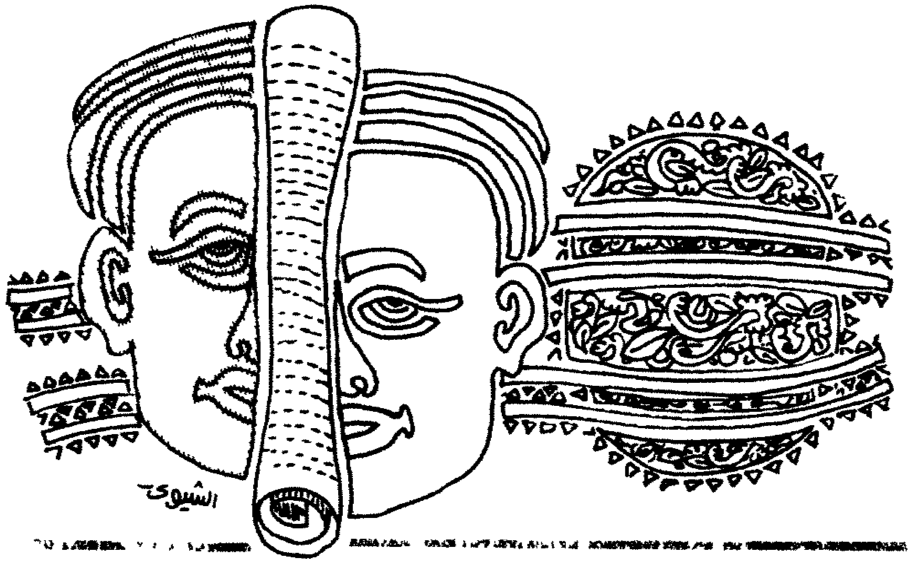
وبالمقابل تطرح قضية الاقتباس عن الغرب كرد فعل ، أو كمحاولة لـ (إحياء العالم الثقافي المشحون بالافكار الميتة بالاستعانة بأفكار قاتلة مقتبسة من حضارة اخرى . فهذه الأفكار حين تكون قاتلة وهي في موطنها الأصلي ، تصبح أشد قدرة على القتل عندما تنسلخ عن هذا المحيط . فهي تترك مع الجذور التي لا تستطيع حملها ونقلها مضادات السميات التي كانت تخفف من شدة ضررها في موطنها الاصلي . وعلى هذا النحو يقتبس المجتمع الاسلامي المعاصر الافكار الحديثة من الحضارة الغربية) . فمثلا الفكرة الغربية القائلة ان « كل انسان لنفسه والله للجميع » إذا ما استعارها المجتمع الاسلامي - كما يقول ابن نبي - فستكون غير صالحة ، فاذا كان المجتمع الغربي قد درأ خطرها بقيم أُخرى فإن نقلها العقلي والسلوكي للمجتمع المسلم ، يصبح مضرا للتربية الاجتماعية لأن نقل هذة الفكرة معناه أن تحل محل فكرة التكافل : « الفرد للمجتمع والمجموع للفرد » .

فمشكلة النقل القاتل إذن ، وهي المشكلة البارزة التي تعاني منها حركات التغيير التغريبية ، ليست راجعة للثقافة المقتَبس عنها إذ (ليس مضمون الثقافة الغربية هو الذي يحدد طريقة الاختيار ، وإنما ضمير « عصر ما بعد التحضر » هو الذي يحدد طريقة الصفوة في الاختيار الارادي أو اللا إرادي)

درس من الفارابي

إن الفارابي وهو ينقل فلسفة « ارسطو » المادية عمل في الوقت نفسه على تكييفها إسلاميا و « توماس الاكويني » كان ينزع المضمون الاسلامي لفلسفة ارسطو ويطوعها لمجتمعه المسيحي . فكلا العالِمين كان عندهما وضوح في الرؤيا ، وهو ما يفقده المثقف العربي المتغرّب . واشكالية ذلك ترجع برأي « ابن نبي » الى سببين :

الاول : منطقي يتصل بالحضارة المُقتَبس عنها ، فالعناصر التي تَسِم الثقافات المختلفة ليست كلها



قابلة للتداول ، فالحياة الاجتماعية بطبيعتها محكومة بقوانين خاصة بها ، شأنها في ذلك شأن الحياة العضوية .

الثاني نفسي تربوي يتصل بالمقتبس نفسه اي استعداداته وتكوينه فالمجتمع الناشىء لا يمكنه تمثل العناصر الثقافية الجديدة التي يقتبسها بصورة صحيحة الا بتوافر شرط الحاجة الملحة أو الامر العلوي والمجتمع العربي لم يقدر في اقتباساته هذين الشرطين ، حيث اقتبس من الغرب دون أدنى مقياس او نقد . من جهة اخرى هناك عملية الخلط بين صدق الافكار وفاعليتها « لقد رجحت أوروبا قيمة الفعالية على قيمة الصدق والاصالة في نظامها الاستعماري ، وأصبح عالمها الثقافي ذا وجهين .

وجه يتجه اليها مع اخلاقياتها الخاصة ، ووجه ينظر الى الدنيا ولا يعنى بشيء آخر سوى الفعالية ، واما الصفوة المسلمة التي تربت في الجامعات الاوروبية فلم تكن ترى الا وجها واحداً ، اذ ووري عنها الوجه الآخر . فأصبح في تكوينها التربوي خلط بين مظهرين متمايزين للفكرة الواحدة : صدقها وفعاليتها ، اذ يعتبر هذا اللبس المفروش في اعماق نفسية هذه الصفوة هو النواة التي تدور حولها جميع دسائس الصراع الفكري ومناوراته » أي إن التكوين النفسي والتربوي الذي لم يميز بين فعالية بلا اخلاق وبين فعالية محصنة بأخلاق هو الذي يؤدي الى حالات التهيؤ للانحراف بما يساعد المستعمر ودوائره إبان مراحل الصراع على إحداث التغيرات التي يبتغيها .

صور ناقصة

إن الافكار القاتلة في الثقافة الغربية ، هي الافرازات التي تمثل في هذه الثقافة « جانبها الميت » الجانب الذي يمتصه فكر « ما بعد الموحدين »* « في جامعات العواصم الغربية » وهذه الافكار وهي

* « عصر ما بعد الموحدين » مصطلح نحته اس سي للتعبير عن مرحلتنا الحضارية التي اعتبرها المرحلة الثالثة (الانحطاط) في دورة الحضارة الاسلامية ، كما يتصورها هو

تلعب دورها المعيق في عملية النهضة والتغيير ، تعبر عن مشكلة تربوية مردها أن « موقفنا من مشكلة الثقافة ليس صحيحا لا من الناحية الفكرية ولا من الناحية الاجتماعية » ، وهو موقف تعكسه - كما يذكر ابن نبي - صورتان :

الاولى : صورة السائح المهتم بالجانب التافه من الحياة الغربية . والذي يتلمسه في مقهى أو مرقص أو نحو ذلك من الأمكنة التي تتحلل فيها الحضارة وتنتهي فيها الى مخلفاتها القاتلة .

الثانية : صورة الطالب المبعوث الذي ينغمس في الجانب النظري والتجريدي من هذه الحضارة ، منكبا على كتاب هنا أو عاكفا في مكتبة ، أو مرابطا في كلية هناك ، أي في الامكنة التي تتقطر فيها الحياة الغربية الى خلاصتها العلمية ، ومع عناصرها القاتلة والمقتولة أحيانا اخرى .

لقد كان لظاهرتي الأفكار الميتة والأفكار القاتلة في حياة المجتمعات العربية والاسلامية أدوارها المعطلة وآثارهما السلبية الخطيرة على النمو المعنوي والمادي ، وهو ما نلمسه - كما يدلل ابن نبي - « بمقارنتنا لتجربتي المجتمعين الياباني والاسلامي اللذين دخلا المدرسة الغربية في نفس الوقت تقريبا - حوالي سنة (١٨٦٠ م) - » ولكن الحقيقة التاريخية التي لا جدال فيها هي أن النتيجة اختلفت تماما ، فإننا نجد بعد قرن ، معجزة اليابان في ميدان الفن والصناعة والاقتصاد ، في حين نجد في المجتمع الاسلامي دون ريب مجهوداً لا ينكر فيما نسميه « النهضة » ولكنه مجهود تشله « الافكار الميتة » الموروثة من « عهد ما بعد الموحدين » . . فمعجزة اليابان لا تفسر قطعاً إلا بموقف فيه « فعالية » اكثر اتخذته اليابان من الثقافة الغربية ، لانه تخلص من الافكار الميتة الموروثة من عهد « الشوفون » ولا يمكننا على أي حال أن نقول بأن الاستعمار أعطى للنخبة اليابانية أفكارا مثمرة خلاقة ، وأنه على العكس يعطي الـ ٩٠ ٪ من النخبة المسلمة « الافكار القاتلة » والعقيمة . وعليه فالواضح ان القضية لا تعود الى طبيعة الثقافة الغربية بقدر ما تعود الى طبيعة صلتنا بها . وهذه الصلة يحددها تراثنا الاجتماعي الذي لم نتخلص بعد من تأثيره .

أساس النهضة

وبناء عليه - يضيف « ابن نبي » - « فإن تصفية الأفكار الميتة وتنقية الأفكار المميتة يعتبران الأساس لأي نهضة حقة » . وهذا يقتضي التمييز بين « صحة » الفكرة و « صلاحيتها » أي أن « كل ما يناط بمفهوم التغيير ، يجب أن نتوخى فيه أمراً ، ألا وهو أن كل فكرة لها جانبان : جانب الصحة وجانب الصلاحية » . فقد تكون فكرة ما صالحة ولكنها في الوقت نفسه غير صحيحة ، وقد تكون فكرة ما صحيحة ولكنها في الوقت نفسه غير صالحة .

مما تقدم يخرج « ابن نبي » باقتضاء التمييز بين الأفكار وتفحصها حين تثار قضية التراث والاقتباس . ففكرة في التراث قد تكون صالحة في حينها ، لكن نقلها في وسط غير مؤهل لاستيعابها قد يكون له مردود سلبي ، أي ان الفكرة التي كانت لها قيمتها الايجابية في السلوك في الماضي ، قد تصبح عديمة الجدوى (ميتة) في الحاضر . كما أن الفكرة التي قد تناسب احد المجتمعات قد تصبح مضرة (قاتلة) في غير مجتمعها . بل ان الفكرة في المجتمع الواحد قد تفقد مدعماتها الظرفية ، وبالتالي تفقد فاعليتها الاجتماعية .

من هنا لا بد للعالم الاسلامي ، وهو يعالج مسألة العودة إلى التراث ، ومسألة الاقتباس عن الآخرين أن يتنبه الى ظاهرتي : الافكار الميتة ، والافكار القاتلة . فيتعامل مع التراث الحي دون الميت ، ومع المقتبس المثرى دون القاتل ، واعيا التفرقة بين صحة الفكرة وصلاحيتها ، وهو يخوض عملية التغيير الاجتماعية . □

منتدى العربي

تعقيب

على مقال :

أرقام الحساب .. عربية أم هندية ؟

لدى اطلاعي على مقال « أرقام الحساب عربية أم هنديه » للدكتور ـ سعيد النجار والذي نشرته العربي في العدد ٣٤٥ ، وجدت انه يحتوي على بعض التناقضات والاخطاء .

وارجو ان تتسع صدورتم وصدر الدكتور بالتعليق السريع على ماجاء في المقال .

نظام العد الحالي الذى يستخدم في معظم انحاء العالم يسمى بالنظام العربي الهندى ، ورموزه العشرة تأخذ الصورتين المعروفتين .

(أ) الصورة الاولى ٥٤٣٢١ . . وهى تستخدم في الشرق العربي ، ويعتقد انها من اصل هندى . وقد نقلها العرب من خلال ترجمتهم بناء على امر الخليفه المنصور لكتاب (الشدهانت) ، وكان اكبر موسوعة هندية في الفلك والرياضيات (وكان العرب يسمونها السند هند للتسهل) وقد حملها الى بغداد عالم هندى يدعى (كانكاه) ، وقام بترجمتها الى العربية يعقوب ابن طارق المتوفي سنة ٧٩٦م ، وابراهيم الفزاوى المتوفى في عام ٧٧٧ م .

ب ـ الصورة الاخرى . وهى الصورة المعدلة ٥٤٣٢١ . . . . .

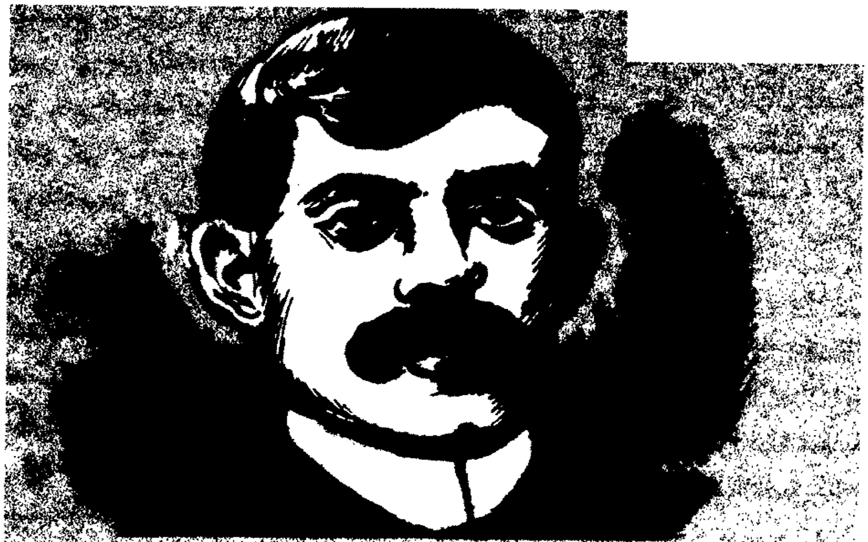
وهذه الرموز التى تستخدم حاليا في المغرب العربي .

وقد نقلت هذه الرموز الى اوروبا عن طريقة كتاب للخوارزمى ، وقد ترجم كتاب الخوارزمى الى اللاتينية بواسطة اديلارد عام ١١٢٠ م ، ولكن هذه الرموز كانت قد وصلت قبل ذلك بواسطة المسافرين والتجار العرب الى الاندلس .

وأعتقد انا شخصيا ان حسم هذه المسألة في الاختلاف بقول ابو الريحان البيرونى وهو من مشاهير الرياضيين العرب في القرن الحادى عشر الميلادى ، وذلك في الكتاب السابق ذكره ، ص٤٣ فقد ذكر ابو الريحان البيرونى ان صور الحروف وارقام الحساب تختلف في ـ الهند ـ باختلاف المحلات ، وان العرب اخذوا احسن ما عندهم فهذبوا بعضها وكونوا من ذلك سلسلتين عرفت احداها بالارقام الهندية ، وهى التي تستعملها بلادنا واكثر الاقطار الاسلامية والعربية ، وعرفت الثانية بالارقام الغبارية ، وقد انتشر استعمالها في بلاد المغرب والاندلس ، وعن طريقها دخلت الى اوروبا باسم الارقام العربية .

وعلى هذا ، فكلا الصورتين الهندية وهى المشرقية ، والغبارية وهى المغربية ، ما هى الا ابتكارات عربية كما استنتج الدكتور سعيد في المقال ص ١١٨ حيث يقول (والنتيجة التى تخرج بها من دراسة هذه الحقائق تظهر لنا ان هذه الاشكال التى اوجدها العرب في السلسلتين المستعملتين في الوقت الحاضر ما هى الا ابتكارات عربية) . □

السيد يوسف عبدالحميد



قاسم أمين

أديبـــا

بقلم : الدكتور عزت قرني *

لم يسمع القاريء بأن للمفكر المصري المشهور قاسم أمين صاحب « تحرير المرأة » ، و « المرأة الجديدة » قصصا أو شعرا أو مسرحيات ، ففيم نسبة الأدب له ؟

الحق أننا لانقصد من وراء هذا العنوان أن قاسم أمين كان أديبا ، بل نقصد أن ننظر إلى إنتاجه لنستجلي معالم وإشارات لعلها تقربه قليلا أو كثيرا إلى باب الأدب ، وتظهر عنده شيئا أو أشياء تدخل في صنعة الأديب . إن القصد من هذا العنوان ليس تقريريا ، بل استفهاميا ، أو قل هو تخيلي ، فماذا لو قرأنا لقاسم أمين وكأنه أديب ؟ألا نقرأ للجاحظ وكأنه لغوي أو مؤرخ ؟ بل قد نرتفع درجة أخرى لنبحث عن كتابات لقاسم أمين تدخل صراحة وقصدا في دنيا الأدب ، وليس بحثا عن معالم أو إشارات تقربه منها .

فما تبرير هذا كله ؟ إنه ليس مجرد طرافة هذا الضرب من البحث الذى يمكن أن نطبقه على من كانت حرفته السياسة أو الطب أو الفلسفة أو غيرها مما لايدخل في نطاق الادب، بل هو أن قاسم أمين وأمثاله من مؤسسى ثقافتنا الحديثة وضعوا البذور

* رئيس قسم الفلسفة ـ كلية الآداب بجامعة عين شمس ـ معار حالياً لجامعة الكويت .

وأقاموا بعض الدعائم ، ليس في الميدان الذي خصصوا له انتباههم ، أو على الأدق جل انتباههم ، بل وفي سائر الميادين بدرجات متفاوتة ، لأن الثقافة كلٌ واحد يتأثر فيه كل جانب بشتى الجوانب ، وبخاصة في مراحل التكوين الأولى ، وعلى الأخص إذا كان قصد مفكر مثل قاسم أمين ليس أن يقترح تغييراً في ميدان محدود هو ميدان الأسرة ، بل أن يتقدم بمشروع شامل « لمدنية » أو « لتمدن » جديدين ، إذا استعرنا لفظين مما كان يستعمل . وهكذا فإن قاسم أمين مؤسس بالأصالة في ميدان الفكر الاجتماعي ، لكنه مؤسس بالاضافة في ميادين أخرى من التجديد الثقافي . وحديثنا هنا يختص بتوجهات جديدة ، بل بحساسية جديدة ، نستطيع أن نستشفها عنده وتتصل بدنيا الأدب ، وببعض من إنتاجه قد يدخل مباشرة في هذه الدنيا الجميلة .

الأدب وفن الكتابة

فما الأدب ؟ ومن الأديب ؟ ليس هذا مكان بحث نظري ، لا مطول ، ولا مختصر ، لننتهي إلى تعريف ، وإنما نقدم ونقول إن الأدب هو فن الكتابة على نحو خاص ، بغرض الإمتاع ، أما الأديب هو الذي يقوم على هذا الفن على نحو متصل ، يمتد طول حياته أو فترة طويلة منها ، ويظهر خلالها إنتاج له ذو امتداد .

فليس من أطلق مثلا حكيما بليغا واحدا بأديب ، ولامن قال بيتا من الشعر هو كبيضة الديك بأديب ولامن كتب يوما قصة في ثلاث صفحات . ومن هذه الزاوية فليس قاسم أمين بأديب ، على الرغم من وجود صفحات طوال تدخل صراحة - كما سنرى - في معنى الأدب ، ومع ذلك ومن حيث تعريفنا للأدب ، فإن هناك عناصر أدبية في إنتاج قاسم أمين ، أقلها كمّا هو ذلك الذي يدخل صراحة في قصد « الإمتاع » ، وأكثرها الذي يدخل بوضوح في باب « الكتابة على نحو خاص » ، نقصد الأسلوب الأدبي ، بل ربما كان قاسم أمين يتوخى أحيانا كثيرة - وهو بسبيل الإخبار والتبليغ - أن يضع مايقول في قالب يتوخى منه الامتاع .

الثقافة نبت ، وقد تكون إعادة للإنبات في شجرة ذبلت ، أوزرعٌ جديدٌ في أرض مجربة ، لم يظهر قاسم أمين وكتاب جيله من أمثال مصطفى كامل وأحمد لطفي السيد وشوقي وحافظ من فراغ ، بل كانت أمامهم نماذج للكتابة الجديدة التي استحدثها محمد عبده وعبدالله النديم وأديب اسحق والشدياق وغيرهم من مصريين وشاميين ، وهذا جيل ، ومن قبلهم كان جيل رفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي وبطرس وسليم البستاني الذين بدءوا خط التجديد اللغوي والأدبي من أوله مع بعض غيرهم ممن هم أقل شهرة مع عظيم الفضل للجميع .

وربما استطعنا أن نقول عن نموذج أسلوب قاسم أمين أنه كان في نموذجين ، طريقة الشيخ محمد عبده الذي عرفه قاسم أمين أخص معرفة ، واستند إلى سلطته في تجديداته الفكرية ، وذلك من حيث الاهتمام بالمعنى في المحل الاول ، واختيار اللفظ المناسب له من غير الغريب ، والحرص على تسلسل الأفكار ، والعناية بالوضوح والقصد في الكلام ما أمكن ، وعدم اصطناع البحث عن المحسنات البلاغية بأنواعها ، مع الترحيب بها إن أتت بتلقائية دون تعمد أو عدوان على المعنى ، والتسلسل والوضوح والاقتصاد في القول . ولاشك أن اتصال قاسم أمين بالشيخ العظيم قد حدث بعد عودة محمد عبده من منفاه عام ١٨٨٨م ، وأن معرفته بكتاباته قد توثقت بعد ذلك التاريخ ، لكن لاريب أن تلك المعرفة قد بدأت قبل ذلك بكثير ، حيث انتشرت كتابات محمد عبده منذ ١٨٨٠ م على الأخص ، وكان قد بدأ في النشر منذ ١٨٧٥م ، ونعرف أن قاسم أمين الذي ولد عام ١٨٦٣م كان في سن القراءة في ذلك الوقت ، بل إنه أنهى دراسة الحقوق في القاهرة عام ١٨٨١م ، وأرسل للدراسة العالية في فرنسا في نفس العام ، فلا بد أن يكون قد قرأ لمحمد عبده وأقرانه قبل سفره ، كان الشيخ فضلا عن ذلك أحد المقدمين في ميدان الكتابة أثناء حركة النهضة المصرية العظيمة في ذلك الوقت (١٨٧٨ - ١٨٨٢م .) .

الاسلوب والصياغة القانونية

أما النموذج الثاني لكتابة قاسم أمين فنظن أنه نموذج المختار من الكتابة الفرنسية الرفيعة في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، وذلك من حيث تفضيل العبارة القصيرة والبحث عن الرشاقة ، والحرص على التوازن بين الجمل ، وتقديس الوضوح الفرنسي الشهير الذي ورثه الفرنسيون عن إمامهم « ديكارت » ، وهو إمام في الفلسفة ، وإمام في أسلوب الكتابة وعرض الأفكار . وقد عرف قاسم أمين الأسلوب الفرنسى في القاهرة أولا ، أثناء دراسته بمدرسة الحقوق بها ، ثم عرفه قراءة وكتابة وحديثاً على السواء أثناء إقامته بفرنسا حيث درس في كلية الحقوق في جامعة « جرينوبل » في الجنوب الفرنسي ، مابين عامي ١٨٨١ م ، و ١٨٨٥م . ثم لم ينقطع عن الاتصال به بعد عودته ، حيث عين بالنيابة والقضاء ، وكانت لغة القانون هي الفرنسية بالأساس وبالمرجع ، حيث كتب قاسم أمين كتابا كاملا بالفرنسية ردا على افتراءات أحد الكتاب الفرنسيين على الاسلام والمصريين ، عنوانه « المصريون » (ويستحق أن يسمى « دفاعا عن الاسلام والمصريين ») . ولايفوتنا أن نشير إلى التاثير المؤكد للغة الصياغة القانونية على أسلوب قاسم أمين ، من حيث الدقة والترتيب على الأخص .

هذه الخصائص الأسلوبية لنموذج الشيخ محمد عبده ونموذج البلاغة الفرنسية ، هى نفسها الخصائص التى اجتهد قاسم أمين على أن تكون طابع كتابته لمجابهة من ؟ هنا نصل إلى إدراك أمر ذي أهمية طريف ، وذلك أن نفس الخصم الذي سيعارضه « فكر » قاسم أمين هو الذي سيعارضه « أسلوبه » ، ألا وهو النموذج المتجمد الذي نام عليه التمدن الاسلامي خلال المئات الست السابقة ، سواء كان في نظم السياسة والاجتماع أو في أساليب التعبير والقيم الجمالية على السواء . وهكذا فإذا كان فكر قاسم أمين ثورة على ماض ، رأى أنه لاحياة للأمة إلا بنقضه ، فإن أسلوبه أيضا رفض للأسلوب الذي استقر عليه تراث هذا الماضي الذي تجمد مثل تجمده . إن أسلوب قاسم أمين يماشي فكر قاسم أمين. و فيم سيكون الفرق إذن بين طريقته في الكتابة وطريقة محمد عبده ؟ ربما جمعنا القول عن هذا الموضوع ، الجدير بالتفصيل ، في عبارة واحدة هي أن محمد عبده درس على الطريقة البلاغية القديمة ، وثار عليها ، ودرس المصطلح القديم ، وانتقى منه ، وقدم الجديد ، فكان عنده الجديد أسلوبا ومضمونا واصطلاحا ، مع بقاء شيء بالضرورة من القديم. وهل ينسلخ المرء عن جلده انسلاخا تاما حتى إن أراد ؟ أما قاسم أمين فإنه لم يعان شيئا من معاناة الدراسة على القديم ، بل درس في المدارس « الأميرية » ، أي مدارس « الأمير » الجديدة التي أنشأها محمد على في مواجهة الكتاتيب وطريقة التعليم الأزهرية ، ثم درس العربية فالفرنسية ، ثم وجد الطريق معبدا من خلال تجارب الجيلين السابقين عليه ، فكان التجديد الحق صفة أليق به وبجيله منها بجيل محمد عبده وأقرانه . ونستطيع أن نقول مطمئنين إن الاسلوب السائد اليوم في الكتابة العربية إنما هو الابن المباشر لما نشره أحمد لطفى السيد ، وما أسلوب أحمد لطفي السيد بل وما فكره ، إلا محتوى بجوهره وكثير من تفاصيله في أسلوب قاسم أمين وفكره ، مع ميل إلى استطالة الجملة عند الأول ، وقليل من التأثر المباشر بالنموذج الفرنسي ، وبخاصة من حيث الرشاقة والحرص على التوازن .

أسلوب علمى

إن السمة الكبرى لأسلوب قاسم أمين حين يكون بسبيل عرض أفكاره الاجتماعية هي أنه « أسلوب علمي » يسلك فيه سبيل الدقة والاقتصاد في التعبير ووضوحه . انظر إلى أول سطور كتابه الأول بالعربية « تحرير المرأة » : « كل مسألة من المسائل التي أجملتها في هذه الأسطر القليلة يصح أن تكون موضوعا لكتاب على حدة ، وقد تعمدت الاختصار فيها ، حتى ترتبط تلك المسائل ببعضها ، كأنها حلقات سلسلة واحدة . وغاية ما أريد هو أن أستلفت الذهن إلى موضوع قل عدد المفكرين فيه . . ويرى المطلع على ما أكتبه أني لست ممن يطمع في تحقيق آماله في

وقت قريب ، لأن تحويل النفوس الى وجهة الكمال في شؤونها مما لايسهل تحقيقه ، وإنما يظهر أثر العاملين فيه ببطء شديد في أثناء حركته الخفية ، وكل تغيير يحدث في أمة من الأمم ، وتبدو ثمرته في أحوالها ، فهو ليس بالأمر البسيط ، وإنما هو مركب من ضروب من التغيير كثيرة ، تحصل بالتدريج في نفس كل واحد شيئا فشيئا ، ثم تسري من الأفراد إلى مجموع الأمة ، فيظهر التغيير في حال ذلك المجموع نشأة أخرى للأمة » (ص٢ - ٣ من طبعة ١٨٩٩م) .

وانظر إليه يلخص موقفه من الحجاب ويبرره : « إننا نطلب تخفيف الحجاب ورده إلى أحكام الشريعة الإسلامية ، لا لأننا نميل إلى تقليد الأمم الغربية في جميع أطوارها وعوائدها لمجرد التقليد ، أو التعلق بالجديد لأنه جديد ، فإننا نتمسك بعوائدنا الإسلامية ، ونحترمها ، ونرى أنها مزاج الأمة ، تتماسك به أعضاؤها ، ولسنا ممن ينظر إليها نظره إلى الملابس ، يخلع ثوبا كل يوم ليلبس غيره ، وإنما نطلب ذلك لأننا نعتقد أن لرد الحجاب إلى أصله الشرعي مدخلا عظيما في حياتنا المعيشية .لسنا في مقام استحسان أمر واستقباح آخر لما فيه من موافقة الذوق أو منافرته ، وإنما نحن بصدد مابه قوام حياة المرأة ، أو مابه قوام حياتنا » (ص ٦٨) .

وانظر إليه على الأخص حين يريد أن يلخص كلامه عن الاستبداد ومضاره على الحضارة الإسلامية ، وذلك في كتابه الثاني « المرأة الجديدة » : « ليس هنا محل البحث عن الأسباب التي وقفت بهذه الجمعيات الشرقية عند حد العجز عن التخلص من الاستبداد المزمن الذي حرمها الترقي في المدينة ، وحصر حركاتها في مدار واحد بدون أن تنتقل من مكانها ، وإنما يهمنا هنا أن نثبت أمرا يتعلق بموضوعنا ، وهو وجود التلازم بين الحالة السياسية والحالة العائلية في كل بلد ، ففي كل مكان حط الرجل من منزلة المرأة وعاملها معاملة الرقيق ، حط بنفسه وأفقدها وجدان الحرية ، وبالعكس في البلاد التي تتمتع فيها النساء بحريتهن الشخصية يتمتع الرجال بحريتهم السياسية ، فالحالتان مرتبطتان ارتباطا كليا » (ص ١٦ من طبعة سنة ١٩٢٨م) .

في كل هذه الأمثلة تجد مصداقا لما سميناه بالأسلوب العلمي

الإمتاع والإقناع

على أن قاسم أمين قادر على الإمتاع ، حتى وهو بسبيل التوجيه العقلي وعرض الحقائق ، فانظر إليه كيف يستخدم الألفاظ الموحية ، ويأتي بالصور والتشبيهات مما يساعده على إقناع قارئه ، ولكم صدم كثير من قراء كتابه الأول الذي خرج إلى الناس في عام ١٨٩٩م « هاهي مسألة الحجاب مسألة من أهم المسائل ، ولها مكان عظيم في شؤون الأمة ، إذا ترك القارىء نفسه لعواطفه ، واستسلم إلى عوائده ظهر له الحجاب في مظهر حسن ، لأنه ألفه في صغره ، ونشأ بين المحجبات ، وعاش معهن ، حتى صار ذلك عادة مألوفة له ، ثم إنه ورثه عن آبائه وأجداده ، فلا يستغربه ، بل يميل إليه ميلا غريزيا ليس للعقل فيه مدخل ، وإنما هو حركة ميكانيكية ليس الا ، أما إذا نزع من نفسه العوامل التي أحدثت تلك العواطف ، وخلع ما ألبسه إياه أسلافه من أردية الوراثة ، وبحث في المسألة من جميع جهاتها بحث من لم يتأثر إلا بالتجربة التي تجرى في الوقائع الصحيحة ، وحصل لنفسه رأيا من ملاحظاته الشخصية ، وكان ممن تنجذب نفسه للحق ، وتبعث إلى السعي للوقوف عليه وتأييده لما له عندها من المنزلة العلية والمكان الرفيع ، وكان لايغش نفسه بالتزويق والتزيين الوهميين ، وإنما يسمع صوت وجدانه السليم ، ويرجحه على كل هوى سواه . . فعند ذلك يرى أن المرأة لاتكون ولايمكن أن تكون وجودا تاما إلا إذا ملكت نفسها (ص ٦٩ - ٧٠)

وما أشد تأثير إيجاز قاسم أمين وعباراته القصيرة المتتالية المتقابلة : « انظر إلى البلاد الشرقية ، تجد أن المرأة في رق الرجل ، والرجل في رق الحاكم ، فهو ظالم في بيته ، مظلوم إذا خرج منه » (المرأة الجديدة ص ١٦) وانظر إليه كيف يزاوج بين الحكم العام

والحالات الجزئية : « كان من أثر هذه الحكومات الاستبدادية أن الرجل في قوته أخذ يحتقر المرأة في ضعفها ، وقد يكون من أسباب ذلك أن أول أثر يظهر في الأمة المحكومة بالاستبداد هو فساد الأخلاق . قد يمكن أن يتوهم من أول وهلة أن الشخص الواقع عليه الظلم يحب العدل ، ويميل إلى الشفقة ، لما يقاسيه من المصائب التي تتوالى عليه ، لكن المشاهد يدل على أن الأمة المظلومة لايصلح جوها ولاتنفع أرضها لنمو الفضيلة ، ولايربو فيها إلا نبات الرذيلة . وكل المصريين الذين عاشوا تحت حكم المستبدين السابقين ، ـ وما العهد منهم ببعيد ـ يعلمون أن شيخ البلد الذي كان يسلب منه عشرة جنيهات كان يستردها مائة من الأهالي ، والعمدة الذي كان يضرب مائة « كرباج » عند عودته إلى بلدته ينتقم من مائة فلاح » (ص ١٣ ـ ١٤) .

قاسم والتجريد

إن قاسم أمين قادر على التجريد الشديد ، والمحاجاة العقلية ، وقادر على أن يكون رقيقا ، وأن يكون ساخرا سخرية شديدة . فأما الرقة فتلمسها في حديثه عن الحقيقة وعن السرور وعن صعوبة التطابق بين الاحساس والتعبير ، فيقول عن هذا الأمر الأخير : « كلما أراد الإنسان أن يعبر عن إحساس حقيقي رأى بعد طول الجهد وكثرة الكلام أنه قال شيئا عاديا أقل مما كان ينتظر ، ووجد أن أحسن مافي نفسه بقي فيها مختفيا » .

ويقول عن الحقيقة قول العاشق : « الحقيقة هي ضالة الانسان في العالم ، ويجب عليه أن يسعى وراءها بلا قصور ولا تعب ، الحقيقة هي الكنز الذي أودع الله فيه كل آمال الانسان ، لايجدها إلا من رغب فيها ، ومال عن سواها ، الحقيقة هي مشرق السعادة ، لأنها الوسيلة وحدها لوصول الانسان إلى كمال العقل والنفس » (ص ٤٥) .

ولربما بلغت رقة تعبير قاسم أمين أقصاها في إهدائه كتابه الثاني « المرأة الجديدة » إلى سعد زغلول : « إلى صديقي سعد زغلول . فيك وجدت قلبا يحب ، وعقلا يفتكر ، وإرادة تعمل،أنت مثلت إلي المودة في أكمل أشكالها ، فادركت أن الحياة ليست كلها شقاء ، وأن فيها ساعات حلوة لمن يعرف قيمتها ، من هذا أمكنني أن أحكم أن هذه المودة تمنح ساعات أحلى إذا كانت بين رجل وزوجته ، ذلك هو سر السعادة الذي رفعت صوتي لأعلنه لأبناء وطني رجالا ونساء » .

أما السخرية فإنها ليست لذات السخرية عند قاسم أمين ، بل هي موظفة دائما لغاية عقلية أو خلقية ، قد تكون للاقناع أو الحث ، وقد تكون للتفنيد والافحام ، أو قد تكون صراحة للترقيع ،

فأما مثال استخدامه للسخرية من أجل الاقناع فقوله : « علينا أن نأخذ من العوائد ، وأن نكسب من الأخلاق مايلتئم مَع مصالحنا ، فنكون مالكين لمصادر أعمالنا كما يطلب منا العقل والشرع ، لا أن نكون عبيدا لعاداتنا التي وجدنا عليها آباءنا ، فيكون مثلنا مثل الرجل وجد لباسه ضيقا ، فرأى أن يجوع ليهزل ويضعف وينحل ، حتى يصغر جسمه فيسعه لباسه ، لا أن يصلح لباسه بتوسيعه حتى يتفق مع جسمه » .

وأما مثال استخدامها للتفنيد فقوله ردا على من زعم من نقاد كتابه الأول ، أن حرية النساء تعرضهن للخروج عن حدود العفة : « التجارب المؤسسة على المشاهدات الصحيحة تدل على أن حرية النساء تزيد في ملكاتهن الأدبية ، وتبعث فيهن إحساس الاحترام لأنفسهن ، وتحمل الرجال على احترامهن .

ولانذهب في تأييد هذا الرأي مذهب غيرنا بالاتيان باحصاء مخترع لا حقيقة له ، نشره بعضهم في الجرائد الهزلية تفكهة للقراء ، ونسب فيه إلى أحد العلماء أنه شاهد أن المرأة الألمانية تخون زوجها سبع مرات ، والبلجيكية ست مرات وأربعة أخماس المرة ، والهولندية أربع مرات ، والطليانية مرة وخمسة أسداس ، والفرنساوية مرة واحدة ، وهكذا حتى وصل إلى التركية ، والمراد بها الشرقية : فقال : إنها لاتخون زوجها إلا عشر المرة الواحدة » .

الكتابات الأدبية

ونأتي الآن إلى ماقد يدخل صراحة ومباشرة في باب الأدب من كتابات قاسم امين ، أي ماكتب ليس بقصد التقرير والاخبار النفعي ، بل بقصد الإمتاع الجمالي ، وكل مايدخل في هذا الاطار نجده فيما نشره لقاسم أمين بعض أصدقائه بعد وفاته ، مما كان ينشر في الصحف بعنوان « كلمات » و « أخلاق ومواعظ » ونظن أن البحث الدقيق في صحافة العصر جدير بأن يخرج إلى النور كتابات أخرى لايحتويها هذان السفران . وهذه الكتابات هي بأسرها من نوع « الصور السريعة » أو « اللقطات » أو مايسمى باللغات الأوروبية « اسكتش » ، فهي أقل كثيرا من القصة القصيرة ، وكثيرا ما تكون بهدف أخلاقي لأجل الموعظة ، كما يدل عنوان الكتاب الثاني ، وهي دائما لقطات حادة . ويكون قاسم أمين في أعلى حالاته حين يكون الموضوع نفسيا كله أو في جانب رئيسي منه ، لكن بعض هذه الكتابات ذات موضوع اجتماعي ، ومما يؤسف له أن بعض « المحققين » المزعومين أدخلوا على هذين الكتابين في الفترة الأخيرة عناوين وتقسيمات لا هي من يد قاسم أمين ولا من يد أصدقائه ناشري الكتابين . ومما يحتويه الكتاب الأول كلمة عن تفسير عبارة فرنسية تقول : (إني أخشى ما أتمنى) ، وأخرى عن ادعاء الشجاعة ، وثالثة عن مواقف مختلفة بإزاء متحف « اللوفر » ، ورابعة عن منظر الجنازة ، وإن كان الجانب الاقتصادي فيها بارزا ، وخامسة عن تجربة عرس عاشها قاسم أمين وهو لم يزل طفلا ، وسادسة عن الشراهة ، وسابعة عن أخلاق طالبي الوظائف ، على أننا نعتقد أن أجل مافي هذا الكتاب « كلمات » مقطوعة ، تصف منظر امرأة « محجبة » ظاهرا ، لكنها سافرة الجسم واقعا .

وسيرى القاريء مدى القدرات الأدبية الكامنة في قلم قاسم أمين حين يقرأ هذا النص الرائع على قصره : « رأيت يوما في شارع الدواوين امرأة تمشي وأمامها خادم ، يظهر من هيئتها أنها من عائلة كبيرة ، طويلة القامة ، ممتلئة الجسم ، عمرها بين العشرين والثلاثين ، في وسطها حزام من الجلد ، مشدود على خصر رفيع ، وملاءة منطبقة على جسمها انطباقا تاما ، الجزء الأسفل بارز عند الأرداف ، ومرسوم تحت شعار الملاءة باعتدال جميل ، القسم الأعلى غير مستور ، وإنما الملاءة مشبوكة على رأسها ، مسدولة على كتفيها وذراعيها إلى المرفقين ، على وجهها قطعة من « الموسلين » الرقيق أقل عرضا من الوجه ، تحجب فاهها وذقنها حجابا لطيفا شفافا ، كما تحجب قطع السحب الرفيع شكل القمر ، وتترك العيون والحواجب والجبهة والشعر إلى منتصف الرأس مكشوفة ، كانت تمشي خطوات مرتبة ، يهتز معها جسمها ، مائجا كما تفعل الراقصة على « المرسح » (المسرح) ، وكانت تخفض جفونها بحركة بطيئة وترفعها كذلك وترسل إلى المارة نظرات دعابة ورخاوة وحنان واستسلام ، وبالاجمال كان مجموعها تحريضا مهيجا لحواسهم »

أما الكتاب الثاني « أخلاق ومواعظ » فإنه يحتوي على مقطوعات ذات غرض أخلاقي واجتماعي ، وتختص بانتقاء أحوال الموظفين في الحكومة ، لكن معظمها يدخل في باب الوصف الأدبي من بابه الواسع . فكم يجيد قاسم أمين في التمثيل على نفاق هذا الموظف بين سائر الفئات في ذلك العصر ، من فرنسيين إلى إنجليز إلى سوريين إلى أقباط إلى مسلمين وكم يحسن وصف « نشاط » الموظف الحكومي ، حتى لتحسبه يصف منظرا وقع بالأمس ، وكم يتقن وصف وزير يداهن كل الجهات ، أو صاحب المعاش الذي فارق وظيفته متألما لفراقها .

هذا إذن قاسم أمين كما رأيناه أديبا ، ولعل عرضنا هذا يكون مثيراً لانتباه دارسي تاريخ الفكر ، ودارسي الأدب والمثقفين عامة ، ولعله يزرع نبت فكرة نرجو أن يتأصل الاعتقاد فيها ، ألا وهي أن ميادين الثقافة متداخلة فيما بينها ، والفهم الجيد للجزء لايكون الا بإدراك للكل □

الجديد في
و

إعداد : يوسف زعبلاوي

السيارات الشمسية باتت وشيكة

لعل استغلال الطاقة الشمسية للأغراض المنزلية مازال بعيد المنال ، وذلك بالنظر للتكاليف الكبيرة نسبيا التي تتطلبها منشآت توليد الطاقة من الشمس لم يغفل العلماء عن رخص التكاليف الهالكة التي يستوجبها استعمال هذه الطاقة ، ولا رخص نفقات الصيانة ، لكنهم يسعون على ما يبدو إلى العثور على وسائط لتوليد الطاقة الشمسية ، ووسائط أخرى لتخزينها ، تكون تكاليفها معقولة مقبولة

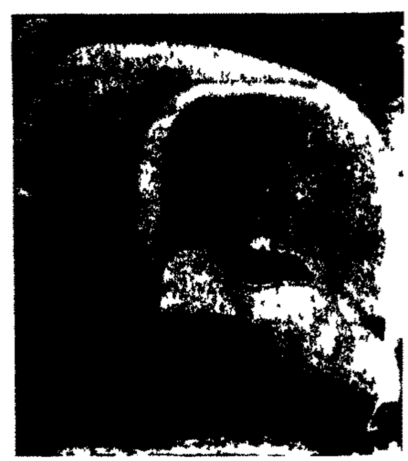
لكن ما ينطبق على استغلال طاقة الشمس للأغراض المنزلية قد لا ينطبق على استغلالها وقودا للسيارات ، وقد لا تمضي سنوات قليلة حتى تعم السيارات الشمسية وتنتشر للاستعمال داخل المدن وفي المناطق الحارة الجافة على أقل تقدير

وليس أدل على ذلك من سباق السيارات الشمسية الذي أقيم في استراليا في شهر نوفمبر الماضي ، فقد كان على السيارات المشتركة في هذا السباق ـ وعددها ٢٣ سيارة ـ قطع مسافة ١٩٨٠ ميلا من مدينة دارون إلى مدينة ادلايد ، ولعلهم قصدوا من ذلك امتحان قدرة تلك السيارات على قطع تلك المسافة الطويلة دون توقف ، وامتحان مدى تحملها للظروف المناخية القاسية التي تعرضت لها أثناء الرحلة ، بالإضافة إلى امتحان سرعتها .

ولعل السيارات المشتركة في السباق قد حققت من النجاح في امتحان السرعة ما فاق نجاحها في امتحان القدرة على التحمل ، فقد بلغت سرعة السيارة التي فازت بالجائزة الأولى ٧٥كم في الساعة بالمتوسط ، فوصلت الهدف في غضون ثلاثة أيام ، متقدمة على سيارة الجائزة الثانية بحوالي ٢٥٠ ميلا ، ووصلت السيارتان وبعض السيارات الأخرى دون تلف يذكر ، بخلاف سائر السيارات التي لم تستطع الصمود أمام درجة الحرارة المرتفعة جدا ، التي أتلفت البطاريات ، وأعطبت الخلايا الشمسية ، وأجهزة الضبط الكهربائي ، ناهيك عن الإطارات الخفيفة التي اعتمدتها أكثر السيارات .

ترى ما معنى ذلك ؟؟ معناه نجاح في تقنية استغلال الطاقة الشمسية وقودا للسيارات مقترنا بقصور في صنع هياكل تلك السيارات ، لكنه قصور يسهل على الشركات المعنية تداركه والتغلب عليه .

استخدام الطاقة الشمسية في تسيير السيارة دون وقود ، اعتمادا على بطاريات تشحنها خلايا شمسية بالطاقة ،



جهاز جديد للقضاء على سرطان المخ دون جراحة

● يسمون هذا الجهاز سكين جاما ، وما هو بسكين ، وان كان يقطع بدقة واحكام كسكاكين الجراحة الحادة ، بل قد يكون أدق منها ، ولو نظرت اليه لبدا لك كأنه قبعة معدنية كالتي يرتديهارجال الفضاء الذين يزورون الأرض بين حين وآخر على متن الأطباق الطائرة ، وماهو إلا جهاز يستعمل أشعة جاما القوية للقضاء على أورام المخ السرطانية ، وعلى التشوهات الشريانية الوريدية ، الا أنه جهاز حديث جدا ، متطور جدا ، لايوجد الا في مستشفى واحد في الولايات المتحدة كلها ، وهو مستشفى جامعة البرسبتيريان في بتسبورغ .

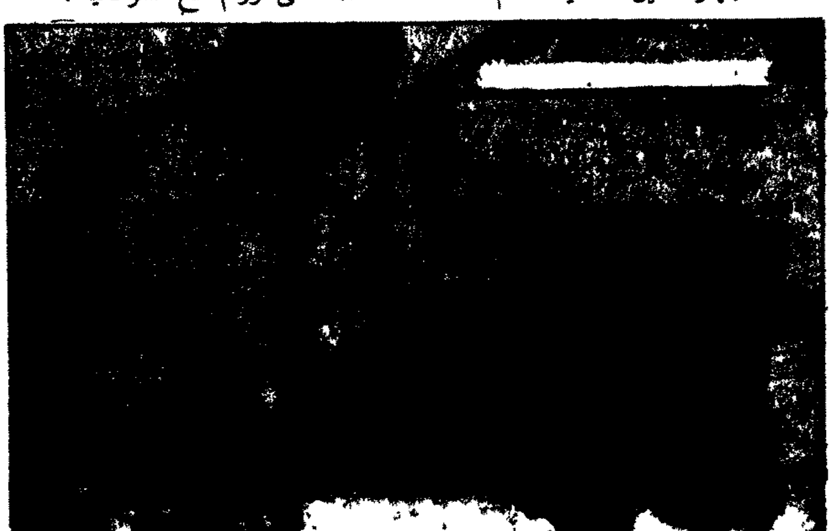
فالجهاز اذن يطلق آشعة جاما ولايقوم بأي جراحة ، ويعود الفضل في ابتكاره الى طبيبين سويديين ، هما (لارس لكسل) و (بورج لارسون) ، وقد أنشآ نموذج الجهاز الأول قبل نحو عشرين سنة (عام ١٩٦٨) ، ومضيا في استعماله في معالجة آفات سلوكية عصبية . وقد طور الجهاز في أمريكا واستعمل من أجل معالجة سرطان المخ والتشوهات الشريانية الوريدية . ومما يذكر أن ٥٠٠ مريض من المصابين بهذه التشوهات قد عولجوا في امريكا في المدة الأخيرة ، وان ٨٧٪ من هذه التشوهات قد تم القضاء عليها في غضون سنتين .

ويتكون الجهاز من ثلاثة أجزاء : قبة الاشعاع التي تدخل رأس المريض في تجويفها ليتلقى رزمة من أشعة (كوبالت ٦٠) قوامها ٢٠١ شعاع ، والخوذة المعدنية ، والاطار المجسم (Stereotactic) . ويبقى رأس المريض داخل الجهاز٢٠ دقيقة ، ليتسنى لأشعة جاما البدء في تحطيم الورم الخبيث ، وتتكرر الجلسات حتى يتم التحطيم نهائيا ، وذلك في غضون مالايزيد عن سنتين .

ومما يذكر أن أشعة (كوبالت ٦٠) تبلغ من الدقة مايسمح بتسليطها على بقعة قد لايزيد حجمها على جزء من مائة من المليمتر ، فهي قادرة على معالجة أورام يتراوح حجمها بين بضعة مليمترات وبضعة سنتيمترات ، دون المساس بأنسجة المخ الأخرى السوية .

على أن الشركة التي تصنع هذا الجهاز سويدية لا أمريكية ، وهي تبيعه بحوالي ٣ ـ ٤ ملايين دولار . وقد بلغ مجموع مابيع منه ٤ أجهزة ، أما تكاليف المعالجة بسكين جاما فلاتزيد على ١٦٠٠٠ دولار ، أي أقل من نصف تكاليف العملية الجراحية التي تجرى لاستئصال أورام المخ الخبيثة .

جهاز سكين جاما يستخدم أشعة جاما للقضاء على أورام المخ السرطانية .



بالونات فولاذية للشـــرايين

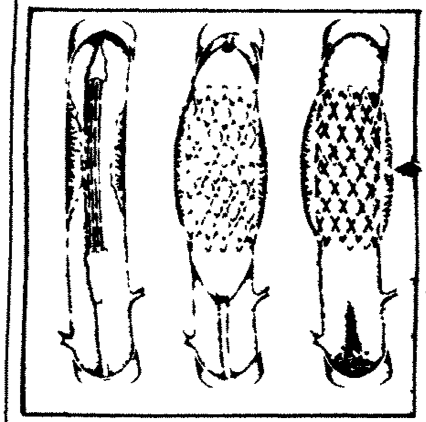
● تصلب الشرايين آفة تصيب الملايين ، وتودي بحياة الكثيرين ، وقد درج الأطباء على معالجتها بعملية جراحية تعرف باسم التجاوز الاكليليCoronary byrass ، أو بعملية أخرى وعائية تعرف باسم بالون القسطرة. وقوام هذه الجراحة الوعائية البالون الصغير الذي يدخلونه في الشريان بواسطة القسطرة ، أو الانبوب الأجوف ، حتى يصلوا به الى رواسب الكولسترول التي تسبب الانسداد ، وتعطل مجرى الدم في ذلك الشريان ، وعند ذلك ينفخ الجراح الهواء عبر الانبوب الأجوف الى البالون ، فينتفخ ، ويوسع الشريان ، وينطلق الدم في مجراه ، ويعمد الجراح بعدذلك الى تنفيس البالون واخراجه من جسم المريض .

وقد ثبتت فاعلية هذه العملية ، لكن ليس في كل الحالات ، ففي بعض الأحيان يتلف الشريان عقب اخراج البالون مباشرة ، وعندئذ تتعرض حياة المريض للخطر . وفي حالات أخرى ـ نحو ٣٠٪ يضطر المريض لتكرار عملية القسطرة في غضون سنة ، وذلك لأن الشريان يعود الى الضيق والتصلب مرة ثانية . من هنا جاءت الرقائق الفولاذية التي نجح في تطويرها باحثون أوروبيون وأمريكيون في المدة الأخيرة ، فهذه الرقائق المجوفة القابلة للنفخ يدخلها الجراح مع البالون في الشريان ، لكنه لايخرجها منه ، كما يخرج البالون ، بل يتركها فيه لتزرع في جداره وهي منفوخة . وهكذا تحول هذه الرقائق الفولاذية ـ ويسمونها بالانكليزية Stents ـ دون عودة الشريان الى الضيق والتصلب ثانية ، وتغني عن تكرار القسطرة مرة ثانية .

وتختلف هذه الرقائق الفولاذية حجما ، لكن أكثرها لايكاد يبلغ نصف بوصة طولا . وهي مصنوعة كالشبك ، وقد راعوا في صنعها ضرورة الابقاء عليها في الشريان مدى الحياة .

والجدير بالذكر أن وكالة الغذاء والدواء قد أقرت استعمال هذه الرقائق ، لكن في الشرايين الجانبية لا التاجية .

شرايين فولاذة مصنوعة كالشبك لعلاج الضيق والتصلب في الشرايين الجانبية .

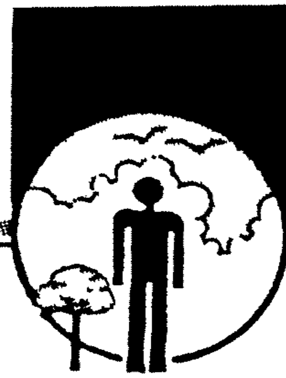


■ ■ ■

علم جديد يتجاوز علم الالكترونيات

● يسميه العلماء الفوتونيات Photonicsوقد خطوا به خطوة كبيرة الى الأمام في مطلع هذه السنة ،حين عرض المهندسون المتخصصون في مختبرات بل في بركلي بكاليفورنيا مضخمهم البصري الجديد .

فقد بلغ هذا المكبر من الفاعلية مايمكنه من توسيع المسافة بين المتكررات وبالتالي تقوية الاشارات التي تحملها كابلات الألياف البصرية بمقدار ٣٧٠ كيلومترا . . أضف الى ذلك أن هذه المضخمات هي الأولى من نوعها التي تعمل دون الاضطرار لتحويل الاشارات من بصرية الى الكترونية ثم الى بصرية مرة ثانية . وقد أكد بعض المهندسين أن في امكان هذا المضخم الجديد حينما يستثار باشارات الضوء التي تدخله ، إطلاق ضوئه الخاص الذي يبلغ بريقه (١٠٠٠) ضعف بريق تلك الاشارات . □



الإدمان على الكحول في الولايات المتحدة

● من المعروف أن الغرب ككل يقوم بحملات واسعة لمكافحة التدخين ، وان هذه الحملات التى بدأت قبل نحو ٢٠ سنة قد أعطت ثمارها ، فقل بذلك عدد المدخنين في أوروبا وأمريكا بنسبة ملحوظة .

والغريب أن حملات مكافحة الادمان على الكحول أيضا ـ وهي الحملات التى لم تبدأ في بلاد الغرب إلا قبل بضع سنوات ـ قد أعطت ثمارها كذلك ، إذْ دلت الاحصاءات التى يقبل على اجرائها الأمريكيون بشغف ، والتى تكاد تشمل مجالات الحياة كلها ، دلت على أن حوادث الطرق المترتبة على سكر السائقين قد تناقص عددها في الثمانينيات ، وكان المنتظر أن تتزايد تبعا للزيادة السكانية من جهة ، ولتكاثر السيارات من جهة اخرى ودلت الاحصاءات كذلك على أن الأمريكيات أصبحن أكثر وعيا للمخاطر المضاعفة التى تتعرض لها الحوامل منهن .

■■■

الجراد وشبكة الانذار المبكر

● كان الجراد مصدر تهديد كبير للبشرية ولأمنها الغذائي ، ومايزال كذلك ، فالدمار الذي أحدثه في محاصيل بلدان الساحل الافريقي قبل نحو عشرة أعوام قد شمل ثلث تلك المحاصيل كلها ، وقدروه آنذاك بعدة ملايين من الأطنان . وقد ظهرت أسراب الجراد الصحراوي مؤخرا في بلدان شمال غرب القارة الافريقية ، وفي الحبشة والسودان ، وستصل عما قريب الى كينيا وتشاد والصومال ، وربما تصل الى أقطار الجزيرة العربية أيضا . وقد قطعت بعض تلك الأسراب البحر الأحمر في المدة الأخيرة .

والجدير بالذكر أن المعلومات المسبقة التي حصلت عليها وكالة الأغذية والزراعة عن هذا الغزو الجديد انما حصلت عليها من شبكة الانذار المبكر التي مضت في انشائها بالتعاون مع الولايات المتحدة والسوق المشتركة ، وقد اكتمل انشاء وحدات مختلفة من هذه الشبكة ، وسيكتمل انشاء بقية الوحدات في مستقبل قريب جدا .

ومما يذكر أن قوام هذه الشبكة قمر صناعي ، جهزوه بالمعدات والأجهزة الكفيلة بتسجيل المعلومات المسبقة التي تلتقطها المحطات الأرضية في الوقت المناسب ، فتساعد على مكافحة الجراد ، دون تأخير ، ولو ذكرنا أن قيمة المحاصيل التي تتعرض لخطر الجراد حاليا في نحو ٥٥ بلدا تبلغ بمجموعها ١٥٠٠٠ مليون دولار لتضاءلت في نظرنا تكاليف الشبكة التي تقدر تكاليفها ببضعة ملايين من الدولارات .



كيف يحمون البيئة في الاتحاد السوفيتي ؟

نجح العلماء السوفيات في اعادة توطين فصيلة من الخيول في الصحراء التي سبق أن عاشت فيها قبل نحو (٤٠) عاما ، فقد انقرضت فصيلة حصان برزفالسكي ، أو كادت ، ولم يبق منها الا حوالي ٣٠٠ رأس ، تعيش في الأسر في شتى حدائق الحيوان . ولايخفى أن جهود اعادة هذه الفصيلة من الخيول الى موطنها في أواسط آسيا جهود مضنية ، تتطلب كثيرا من الخبرة العلمية والعملية ، وقد بذلت الجهود في مركز حضانة الحيوانات وتهجينها في طشقند عاصمة اوزبكستان ، وتركزت على حصان واحد من خيول برزفالسكي ، أحضروه الى المركز من احدى حدائق الحيوان .

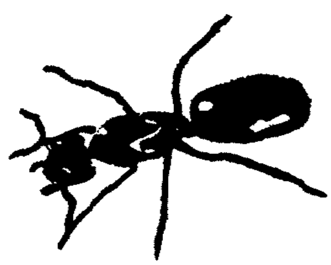
والجدير بالذكر أن الخيول المذكورة قصيرة ، لايزيد طولها على (١,٥) متر ونصف متر ، ولها رأس كبير ، وعيون صغيرة ، وقد سميت باسمها هذا نسبة الى الرحالة السوفياتي الذي اكتشفها في القرن التاسع عشر ، واسمه نيكولاي برزفالسكي .

أما القصد من اعادة توطين هذه الخيول في مواطنها فقصد بيئي فقط ، أي أن الهدف هو ملء الفراغ البيئي الذي خلفه اختفاء تلك الخيول ، بما يكفل استرداد صحاري أواسط آسيا لتوازنها البيئي .

■■■

التعاون من أجل حماية البيئة





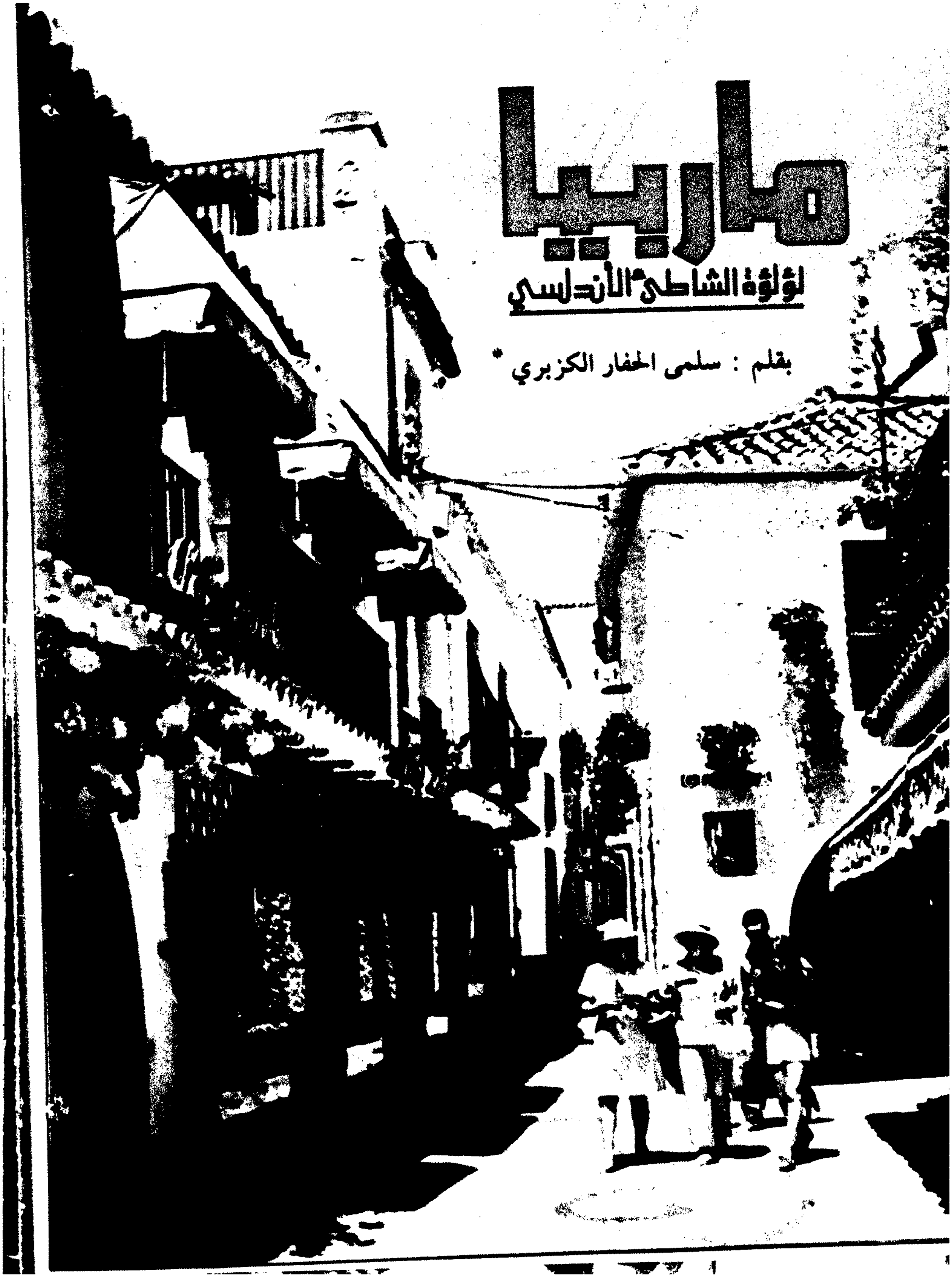
من المبيدات الواسعة الانتشار في أمريكا الترمايد (Termide) وهو مركب يحتوى على الكلوردين والهبتاكلور ، ويفتك بالنمل الأبيض (Termite) الذي يشكل تهديدا خطيرا للمزارع والمنازل الأمريكية .

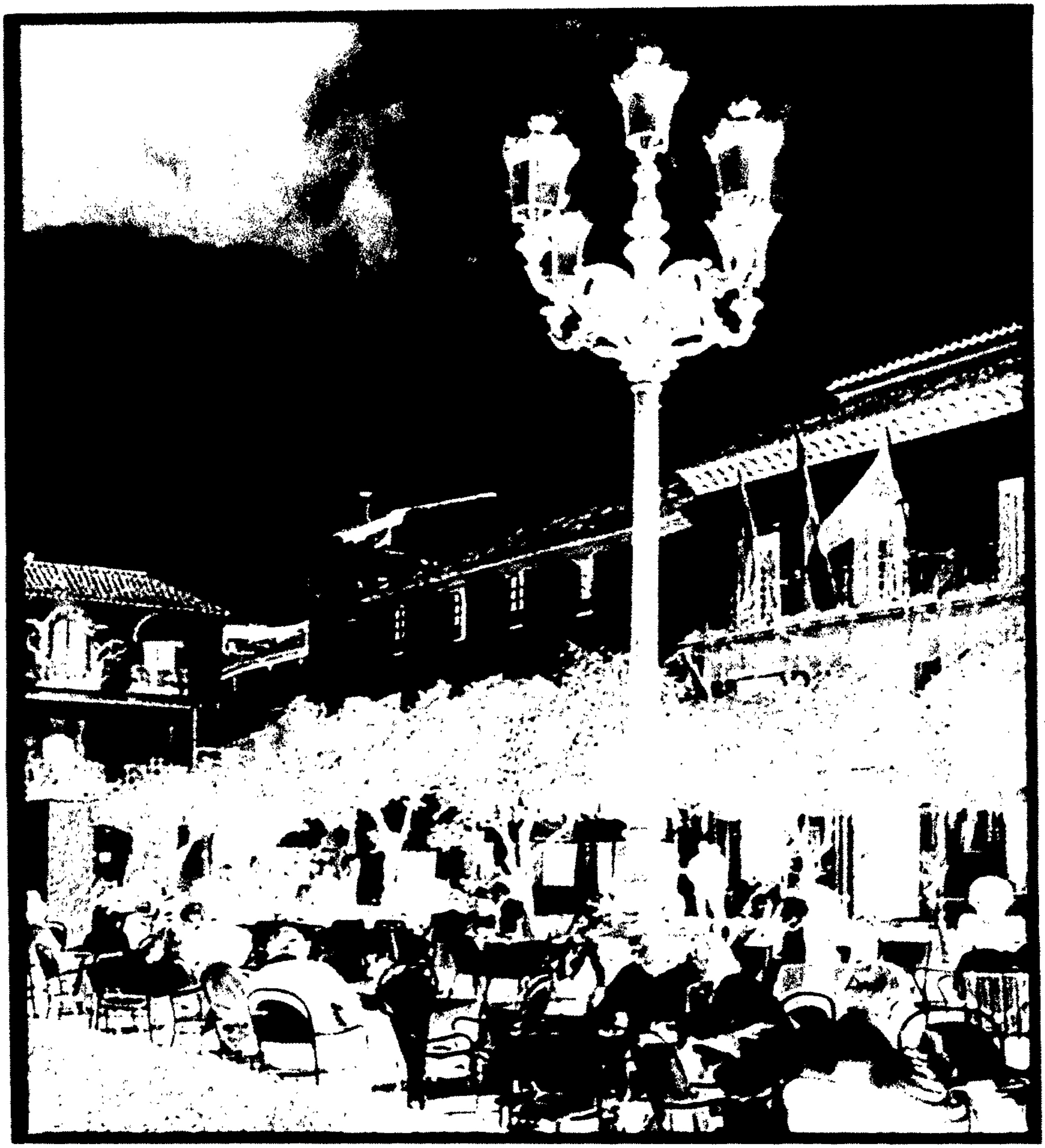
لكن وكالة حماية البيئة في الولايات المتحدة اكتشفت في الصيف الماضي أن الترمايد المذكور يسبب الاصابة بالسرطان ، فسارعت الى الاتصال بالشركة التي تصنع المبيد ، بل قد تحتكر صناعته وهي شركة (Valsicol) ووافقت الشركة على وقف انتاج المبيد دون نقاش ، علما بأنها لم تقتنع بعد بأن الترمايد يسبب السرطان □

ماربيا

لؤلؤة الشاطئ الأندلسي

بقلم : سلمى الحفار الكزبري *





غالبا ما نقيم فترة من الزمن في أماكن لها من عطر التاريخ ما يحسبها قيمة خاصة ، لكننا بانشغالنا بمتع اللحظة قد لا نلتفت لهذه القيمة . من هذه الأماكن ، « ماربيا » المصيف الجميل في جنوب أسبانيا الذي يقصده عدد كبير من العرب كل صيف .

[illegible]

إن لماربيا ـ هذا المتجمع الجميل على شاطىء البحر الأبيض المتوسط في الجنوب الأسباني ـ تاريخاً إسلامياً ، وآثاراً شاهدة ، قل من يعرفها جيداً من ألوف السياح الذين أخذوا يتوافدون عليها منذ أكثر من عشرين سنة . ورد اسمها في سجلات القرون الوسطى باللغتين العربية واللاتينية : ماربيا أي : البحر الجميل ، ومارفيليا (الشريف الأدريسي) ، وماربُله (القلقشندي) ، ومَـرْبَلَه (الروض المختار) ، ومَـرْبِلَه (ابن بطوطة) .

مناخ ماربيا (كما نسميها اليوم) معتدل في فصول السنة الأربعة ، لا سيما في الصيف ، لخلوه من الرطوبة ، وتميزه بنسائم منعشة ، تهب عليها من البحر الأبيض المتوسط الذي يتصل بالمحيط الأطلسي في مضيق جبل طارق القريب منها ، خيراتها كثيرة ، وعدد سكانها في يومنا هذا مائة وعشرون ألف نسمة . أما الذين يؤمونها للاصطياف والسياحة في الصيف فإن عددهم يبلغ نصف مليون زائر ، أكثرهم من الانجليز والألمان والهولنديين والسويديين . يأتي هؤلاء السياح إلى ماربيا ، وسائر حواضر الشاطىء الجنوبي في الأندلس الذي يسمونه « شاطىء الشمس » ، والذي يمتد من مدينة « ملقة » حتى مدينة الجزيرة الخضراء ، بحثاً عن الشمس والراحة . أما إخواننا العرب الذين يؤمونها إما للإقامة في دور ابتاعوها ، وإما في شقق يستأجرونها ، أو في فنادق يقيمون فيها ، وعددهم لا يشكل أكثر من ٥٪ من زوارها أو من عشاقها الأجانب الذين استوطنوها . ولعل من أكثر المرغبات في ارتياد (شاطىء الشمس) وماربيا لؤلؤته هو أن الأجنبي ـ أياً كانت جنسيته أو عرقه ـ لا يشعر بالغربة مطلقاً .

إذ قلما يسأله سكان المنطقة الأندلسيون عن هويته ، بل يرحبون به ، ويبتهجون بقدومه ، ويعاملونه ألطف معاملة ، ويحيطونه بكل رعاية وكرم ، وهذا ما جعل العديد من الأجانب يسهمون في ازدهار « شاطىء الشمس » عمرانياً واقتصادياً في السنوات الأخيرة ، حيث امتد البناء على الشاطىء وعلى التلال المحيطة ، وشيدت مجموعات سكنية على الطراز الأندلسي العربي ، تتوافر فيها الحدائق الجميلة ، لتوفر المياه الجوفية في كل مكان بالاضافة الى الملاعب الرياضية المتنوعة ، ناهيك عن انتشار الفنادق الفخمة التي تستقبل السياح صيفاً وشتاءً وخريفاً وربيعاً . إن هذا الاقبال العظيم لا تفسير له سوى جودة المناخ ، وجودة المياه ، ووفرة الأسماك والفواكه والخضراوات ، والسحر الأثيري الذي يدفع عدداً كبيراً من السياح الى ابتياع شقة ، أو بناء دارة يلجأون اليها للاستجمام . وكثيرون قد اختاروها لقضاء ما تبقى من حياتهم بعد بلوغهم سن التقاعد .

وإذا قمنا بجولة استطلاعية في تاريخ ماربيا تستوقفنا أحداث جرت فيها من صلب تاريخنا القديم في الأندلس الذي انصهر فيه العرق العربي والمغربي مع العرق الاسباني ، خلال ثمانية قرون ، كانت فيها الأندلس بلداً إسلامياً ، انبعثت منه حضارة عظيمة ، وشعت أنوارها على أوروبا ، وقدمت للانسانية خدمات جليلة عن طريق العلوم والفنون .

ماربيا في التاريخ

كانت ماربيا بلدة صغيرة ، ذات أهمية كبيرة في تاريخ الأندلس إبان الوجود الإسلامي بسبب موقعها الجغرافي بالقرب من مضيق جبل طارق ، وبعدها عن الحدود الصاخبة التي كانت تفصل بين أسبانيا المسلمة وأسبانيا المسيحية ، لاسيما في القرن الثاني عشر الميلادي . لقد ذكرها العالم الجغرافي أبو عبد الله محمد الإدريسي في (كتاب روجر) الذي وضعه آنذاك في بلاط الملك « روجر الثاني » في جزيرة صقلية ، فقال : « مارفيليا مدينة صغيرة آهلة بالسكان ، ذات تربة خصبة ، ومزروعات متنوعة ، من أكثرها جودة التين » ، كما وصف الرحالة الشهير ابن بطوطة رحلته إلى الأندلس سنة ١٣٤٩م التي زار فيها جبل طارق ، ورندة ، وماربيا ، وقلعة سهيل في « فونجيرولا » ، وملقة ، وغرناطة في كتابه (تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ،

يقول : « إن ماربله مدينة تفيض بالأغذية المتنوعة لكثرة مزارعها ومواشيها . لقد استفاد المسلمون من تربتها الخصبة وأنهارها وسواقيها وجودة مناخها ، فأنشأوا فيها وفي أرباضها مزارع ، ونقلوا إليها اشجارا مثمرة كالتين والرمان والزيتون ، والليمون ، والبرتقال ، والنخيل ، والتوت لتربية دود القز واستخراج الحرير منه » .

صدر قبل أربع سنوات كتاب في ماربيا بعنوان (ماربيا المسلمة) بقلم أحد أبنائها البررة المؤرخ الأستاذ « فرنندو الكلامارين » ، نشرته محافظة المدينة ، ونال عليه مؤلفه جائزة تقديرية ، وقد كتب في مقدمته :

« تاريخ ماربيا في الحقبة الإسلامية التي دامت زهاء ثمانية قرون ، منذ سنة ٧١١م حتى سنة ١٤٨٥م ، حافل بالآثار العمرانية التي زال أكثرها عبر القرون ، لكن ما هو موجود منها حالياً جدير بالدراسة والترميم والصيانة ، وإن من أقدس واجباتنا اليوم ، وقد أضحت ماربيا منطقة ذات أهمية سياحية ، وتاريخية ، وثقافية كبيرة ، إلقاء الأضواء على هذه الآثار الحربية والمدنية ، وحث المسؤولين على الاهتمام بتراثٍ نفيس ، ينبغي أن تعرفه الأجيال الصاعدة ، لأنه من صلب تاريخ بلدهم وفنونه وثقافته » .

لهذا المؤرخ كنية ذات أصل عربي « الكَلاّ » أي القلعة ، ويعتز بأنه سليل أسرة عربية ، يعود تاريخها إلى القرن الرابع عشر ، وقد استقينا من فصول كتابه ، ومن المراجع التي اعتمدها المعلومات التالية :

قلعة ماربيا وأسوارها

كانت ماربيا محصنة بقلعة كبيرة ، تقع على هضبة مشرفة على البحر ، ترتفع عنه حوالي مائتي متر ذات قسمين ، أحدهما مخصص للسلاح شمالا ، والآخر للقصبة جنوباً . شيدت هذه القلعة في عهد الخلافة الأموية في قرطبة . ويقول مؤلف الكتاب : « إن بلدية ماربيا تنوي ترميم جزء القلعة الداخلي ، وأنها منعت دخول الزائرين إليه حالياً . أما أسوار المدينة الضخمة فقد كان يبلغ ارتفاعها ثمانية أمتار وعرضها مترين ، ولم يبق منها سوى جزء يسير في ناحيتها الشرقية الجنوبية بالقرب من « دائرة البوليس » حالياً . ومما يؤسف له أن بيوتاً شعبية شيدت فوق ما تبقى من القلعة وبين أسوار المدينة القديمة ذات الطابع العربي في بناء دورها المطلية بالأبيض الناصع وأزقتها الضيقة . وتبقى ماربيا الأندلسية العربية ملاذ السائح ، يتجول في حاراتها الطويلة ، ويشاهد بيوتها ذات الجدران والشرف المزينة بالأزهار ، التي يضوع منها ومن ساحة النارنج أريج البرتقال ، والياسمين ، والريحان . كانت أسماء الأزقة عربية فيما مضى لكنها اتخذت أسماء اسبانية بعد سقوط المدينة في ٨ - ٦ - ١٤٨٥ بأيدي ملك الأسبان « فردناند الخامس » . فزقاق « الحور » أضحى اسمه زقاق (Calle del Alamo) وزقاق الممر صار اسمه (Calle del Pasaje) .

أبوابها وأبراجها

أما أبواب المدينة فكانت ثلاثة كما هو ظاهر في الخريطة المرفقة ، فباب ملقة شرقاً ، وباب البحر جنوباً ، وباب رندة غرباً ، وقد سمي أيضاً « حصن رندة » . تبين من الوثائق الموجودة في مديرية الآثار الأسبانية أن باب رندة كان مصنوعاً من المعدن والخشب ، يحصنه برجان ، وأن باب القلعة التي بنيت ضمن الأسوار ظل قائماً حتى سنة ١٨٤٦ ، حيث انهدم قوسه ، وزالت اثاره ، كما أن المنارة التي كانت متاخمة له قد انهارت . ويؤكد علماء الآثار أن مسجد ماربيا كان يقع في مكان كنيستها الكبيرة « Glesia Major » ، وأنه بني على أنقاض معبد روماني ، ثم هدم ، وبنيت هذه الكنيسة في مكانه .

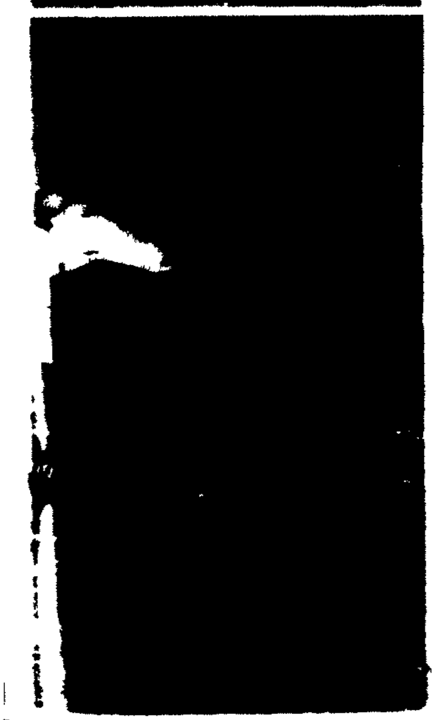
وقد قامت مديرية الآثار بحفريات داخل هذه الكنيسة سنة ١٩٨١ لإعادة تبليط جزئها المتوسط ، فظهرت تحته الآثار الرومانية والإسلامية .

وإذا عدنا إلى الأبراج التي بناها المسلمون في ماربيا وفي ضواحيها لتحصينها والدفاع عنها ، نرى أنهم بنوا أبراجاً متعددة بعضها مستدير الشكل ، وبعضها

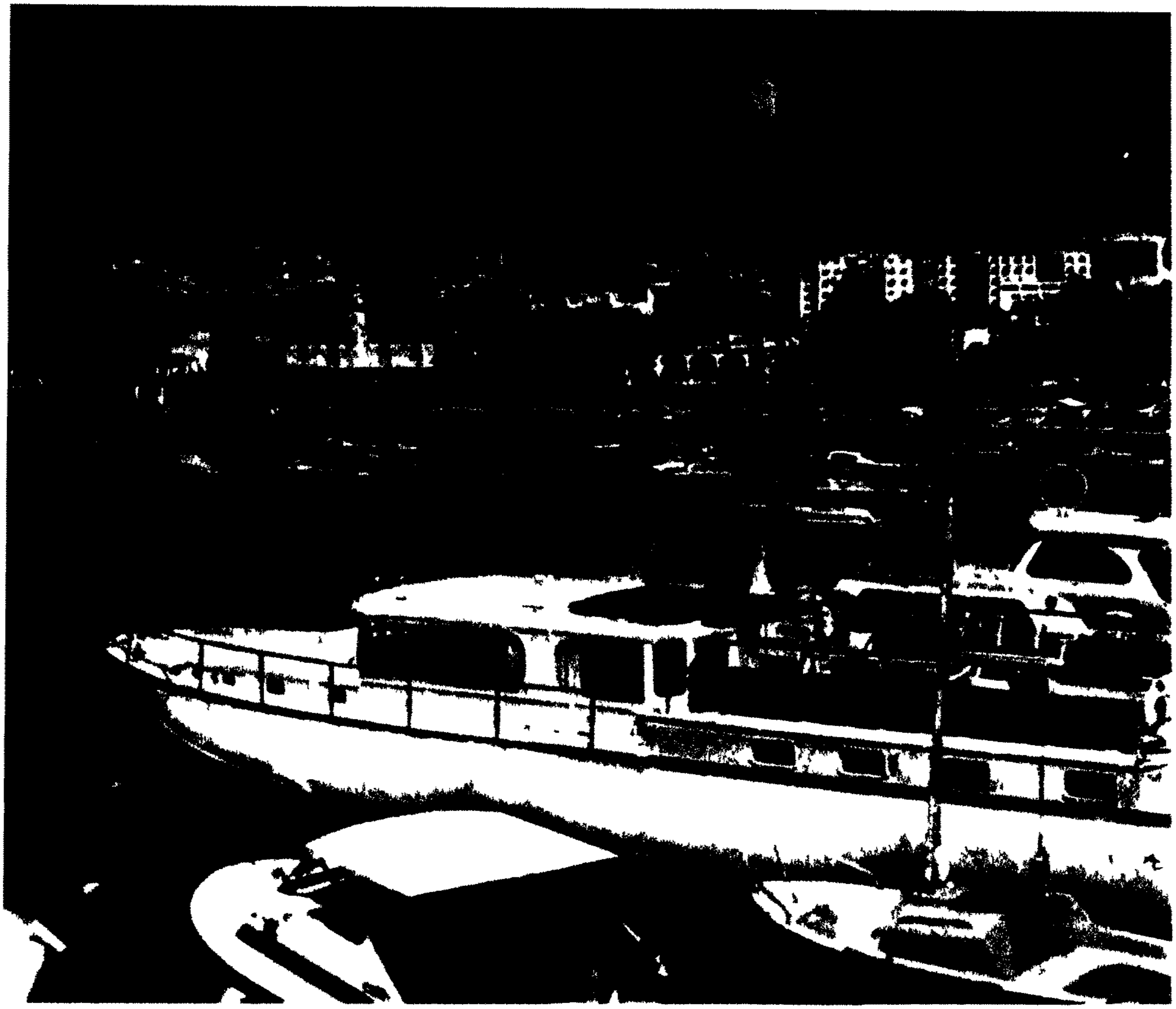








الى اليمين (في الأعلى)
برج أحد الكنائس
والزقاق عربي الطراز وإلى
الأسفل (يمين) شارع
صغير في ماربيا تتدلى
الورود على جدران
بيوته .





(الى الأعلى)
مرفأ القوارب في ساحل الشمس . (أسفل) أحد الأماكن السياحية التي تنتشر بكثرة في ماربيا .

مربع ، وما زال بعضها قائماً ، لكن أكثرها قد زال أثره . وقد بلغ عدد هذه الأبراج في المدينة وحولها اثنين وعشرين برجاً ، ستة منها في الجهة الشمالية الغربية ، وستة أخرى في الجهة الشرقية باتجاه نهر قديم غاضت مياهه في القرن الماضي ، وعشرة أبراج في الناحيتين الشرقية والغربية ، أهمها : (برج الحمامات) غرباً بالقرب من مصب نهر (المينا) ، وقد بني على شكل حدوة حصان ، و « برج البحر » جنوباً . كان برج الحمامات مستدير الشكل ، وارتفاعه اثني عشر متراً ، وقطره خمسة أمتار . أما برج البحر فكان مربعاً كما يبدو في الصورة المرفقة ، وارتفاعه خمسة عشر متراً وعرضه سبعة أمتار . المؤرخ المعاصر (خوان تامبوري الفاريس) وهو من مواليد ملقة ، ومن سلالة عربية قديمة ، تنبيء عنها كنيته : « الفاريسي » ، أي الفارس في كتابه (الأبراج والمنارات الأندلسية) الذي صدر سنة ١٩٧٥ يدعو إلى إنقاذ ما يمكن إنقاذه من هذه الآثار المهمة ، وإلى إجراء دراسات وأعمال تنقيب في المنطقة كلها ، خدمة للتاريخ والفن والتراث ، كما يؤكد بأن البرج الذي أقامه المسلمون على شاطيء البحر جنوب ماربيا ، وسمي « برج البحر » قد كان بمثابة منارة ضخمة ، يسترشد بها البحارة وصيادو الأسماك . وكان هذا البرج على بعد مائة وخمسين متراً من أسوار المدينة ، لكنه هدم في القرن الثامن عشر ، وشيدت في مكانه عمارة كبيرة في العصر الحاضر ، معروفة باسم عمارة « البحر الأبيض المتوسط » .

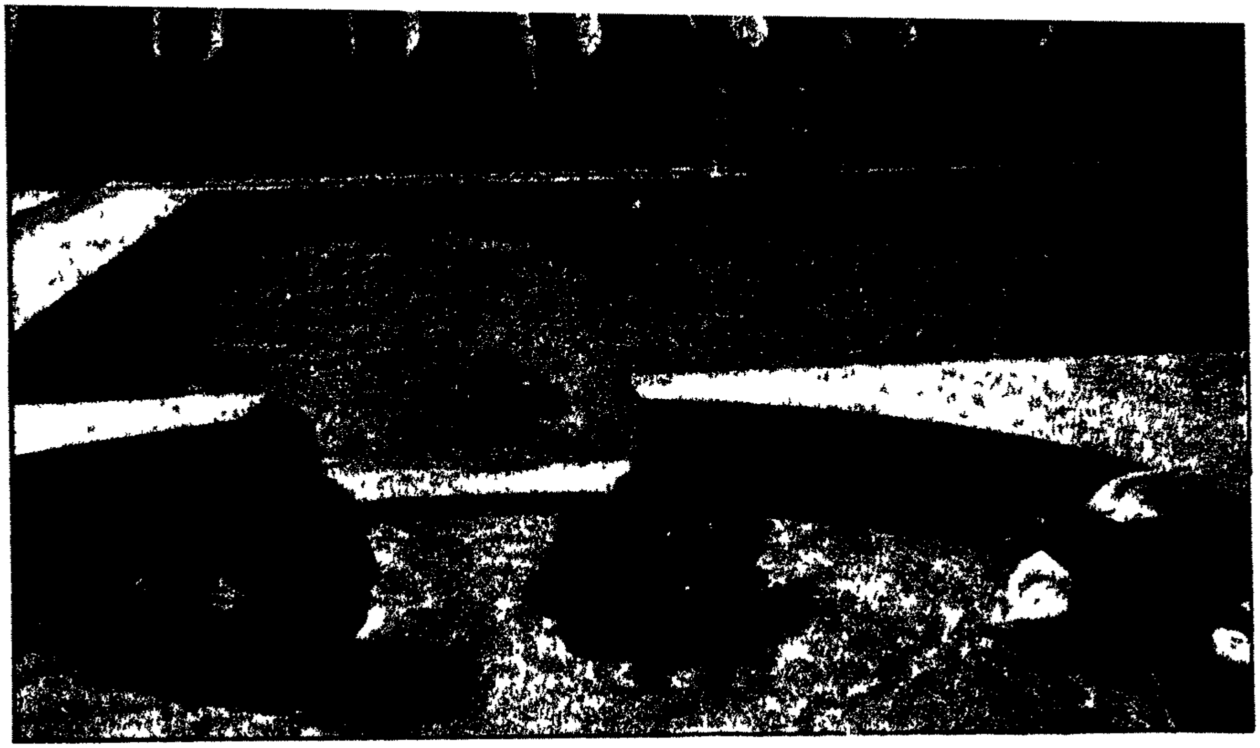
الأسواق في ماربيــا

يؤكد المؤرخون أن سوق ماربيا الكبير كان يقع خارج أسوارها ، بالقرب من باب البحر ، وأن سكانها كانوا يتنزهون في حديقة عامة مغروسة بأشجار الحور ، تقع على بعد خمسين متراً من شاطيء البحر جنوباً ، وهو الآن موقع حديقة البلدية التي تعرف باسم : (Ale medre) أي رواق الحور .

كانت حدود ماربيا ممتدة على رقعة تبلغ مساحتها ثلاثين كيلومتراً شرقاً وغرباً ، بساحلها وهضابها ، وأنشئت فيها القرى والمزارع التي ما زال بعضها يحمل أسماء ذات أصل عربي ، نذكر منها : نواله (Neigueles) ، وهي قرية على بعد ثلاثة كيلومترات غرباً ، كان يسكنها فقراء المنطقة ، اسمها مشتق من كلمة نواله باللهجة المغربية الدارجة ومعناها (كوخ) ، وعلى هذا الأساس يكون جمعها أكواخ . ونذكر كذلك قرية إسلامية قديمة ، قامت في غرب المدينة ، تدعى « بنو حبش Benohamis» ، لأن سكانها كانوا من المسلمين النازحين من الحبشة الذين استوطنوا الأندلس آنذاك . كما أن هنالك قرية « خُشَيْن » . (OJEN) الواقعة على هضبة شمال شرق ماربيا وما زالت موجودة . لقد قال عنها البحاثة الأسباني (ميجل آسين بالاسيوس) في معجمه العربي الأسباني للمواقع الجغرافية ، والأسماء العربية : (لقد سميت هذه القرية « خُشَيْن » لخشونة تربتها وجفافها) . وبعد سقوط ماربيا بيد الأسبان حرف اسمها . فأضحى : « أوخين » كما حرفت أسماء عربية كثيرة وبعد هذه القرية بنحو عشرة كيلومترات يصل السائح في يومنا الحاضر إلى قرية أخرى ، اشتهرت بمزارع اللوز والزيتون والمعاصر ، اسمها : قرية ذكوان ـ « COIN» ، والاسم مشتق من اسم رجل عربي يدعى : « ذكوان » كان أول من بنى فيها بيتاً في القرون الماضية ، كما أن في منطقة ماربيا الخصبة أنهاراً عديدة ما زال بعضها يحمل أسماء عربية ، نذكر منها : « وادي عيسى » ، « ووادي المنيا » .

سقوط ماربيــا

كان المسلمون يعيشون في بحبوحة وأمان ، في ماربيا التي تأخر سقوطها بيد الأسبان عن سواها من مدن الأندلس ، بسبب قوة تحصينها من جهة ، وقربها من الشواطيء المغربية التي كان سكانها يهبون للنجدة من جهة أخرى . فقد استرجع الأسبان بلدة « طريف » سنة ١٢٩٢ ، ثم جبل طارق سنة ١٣٠٩ ، ثم استعاده « بنومرين » بقيادة عبد الله المغربي سنة ١٣٣٣ ، وصمدت ماربيا حتى بعد سقوط ملقة سنة ١٤١٠ ، في عهد بني الأحمر



مسبح يمارس فيه الأطفال هوايتهم

الناصريين بغرناطة . وعندما حاصر الملك فرديناند الخامس مدينة « رندة » ، ذات الحصون المنيعة سنة ١٤٨٥ شعر سكان ماربيا بالخطر المحدق بهم ، فقد

بعث إليهم الملك رسالة يدعوهم فيها إلى تسليم المدينة ، وبعد التشاور فيما بينهم أرسلوا إليه رسولاً ، يطلبون منه ضمانات على أرواحهم وأملاكهم وشعائرهم الدينية ، لكن قائد القلعة

وشيوخ ماربيا ، وعدداً كبير من سكانها رفضوا التفاوض معه ، خشية أن يرغموا على التنصر ، وأن يصبحوا عبيداً بعد أن كانوا سادة ، وآثروا النزوح إلى المغرب والمنفى ، وطلبوا من الأسبان أن يأذنوا لهم ببيع ممتلكاتهم ، وأن يؤمنوا رحيلهم إلى الشاطيء الأفريقي . وقبل أن يستولي الأسبان على المدينة في

١١ - ٦ - ١٤٨٥ ، كان قد نزح منها عدد كبير إلى ملقة وغرناطة وضواحيها خشية الذل ، فدخل الملك فرديناند الخامس ماربيا مع قواته ، واجتازوا حاراتها الضيقة ، واقاموا في القلعة ، ورفعوا أعلام النصر .

كما ذكر فرناندو الكلا مارين مؤلف كتاب « ماربيا المسلمة » ، أن الملك فرديناند قد أقام معسكراً لقواته على بعد أربعة كيلومترات من وسط ماربيا شرقاً ، بالقرب من نهر سمي في ذلك الوقت « النهر الملكي » ، حيث توجد اليوم منطقة سكنية جديدة تدعى « البرج الملكي » ويقوم في أولها برج إسلامي قديم . ويذكر المؤلف في كتابه أن المسلمين الذين بقوا في ماربيا قد منعوا من الإقامة فيها ، ومن الاحتفاظ بأسمائهم العربية وتقاليدهم وشعائرهم ، فنزحوا إلى القرى المجاورة ، حيث عملوا بالزراعة وتربية المواشي وبعد سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢ تجمع الأندلسيون المسلمون ، وقاموا بثورة مسلحة ضد الحكم الأسباني الجائر ، شملت منطقة ماربيا كلها ، وملقة ، وانتهت بهزيمتهم سنة ١٥٦٩ بعد أن كبدت الأسبان خسائر جسيمة بالمعدات والأرواح ، وقد دفع المسلمون ثمن تمردهم غالياً ، فجردوا من أملاكهم ، وصدر أمر ملكي بتشريدهم في القرى والجبال سنة ١٥٧٠ بغية صهرهم في الشعب الأسباني ، غير أنه يبدو ثابتاً مما كتبه الأستاذ « فرناندو الكَلا مارين » أنهم حافظوا على عقائدهم وتقاليدهم في الخفاء . ويؤكد ذلك رحالة الماني يدعى : « خير ونمو منذر » في كتاب نشره عن رحلته إلى الأندلس التي دامت ستة أشهر عام ١٤٩٤ ، حيث وصف حياتهم وزهدهم بمباهج الحياة الدنيا . ولعل أهم ما ورد في كتاب : « ماربيا المسلمة » فصل أخير عنوانه

جمعية الجنوب والخليج العربي

شمعة وضاءة في طريق الخير

استطلاع : ريم الكيلاني

في مطلع عام ١٩٦٣ وصَل الى الكويت ثمانية وعشرون طالبا من أبناء اليمن وسلطنة عمان وبعض أقطار منطقة الخليج العربي ، جاءوا سعيا للتحصيل العلمي ، في وقت كانت تعيش فيه المنطقة تحت وطأة ظروف قاسية ، حرمت أبناءها من أبسط مقومات الحياة العصرية . وقد وجد هؤلاء الطلاب مكانا لهم في بيت افتتح في منطقة الفروانية بالكويت ، حمل اسم « أحمد يحيى الثلايا » ، وكان الدافع انسانيا خالصا ، أكد على الحس الحضاري والانساني والقومي الناضج لدى مؤسسي الجمعية التي تحتفل هذه الأيام بمرور ربع قرن على انشائها . فكيف تواصلت . . مسيرة عطاء هذه الجمعية التي عرفت باسم جمعية الجنوب والخليج العربي ؟

بعد نجاح أول بيوت الجمعية « بيت الثلايا » وازدياد عدد الطلاب الوافدين من منطقة الجنوب والخليج العربي إلى الكويت ، وحاجتهم الماسة الى الرعاية والمساعدة لمواصلة التعليم ، تم فتح بيت آخر للجمعية عام ١٩٦٤ في دبي ، كانت الغاية منه رعاية الطلاب المحتاجين من منطقة ساحل عمان ومساعدتهم ، وقد أطلق عليه اسم (بيت المهلب بن أبي صفرة) ، وضم ثمانية عشر طالبا ، يتلقون تعليمهم في مدارس دولة الكويت بدبي في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة .

كان النجاح حليف هذه التجربة الرائدة ، وكان لابد من ايجاد مبنى يضم هؤلاء الطلاب ، ليكون المقر الدائم لهم في الكويت ، فانشىء لهم مبنى جديد عام ١٩٧٠ ، ضم ثمانين طالبا ، يدرسون في المرحلة

الثانوية .

وهكـذا تحققت الخطوة الأولى في مسيـرة الألف ميـل ، وها هم الـطلبة الـذين أتوا صغـارا يانعين يعودون أجيالا متتابعة الى ارض الوطن ، بعدما نهلوا علما ومعـرفـة ، لينيـروا بعلمهم وعملهم طـريق المستقبل ، وليوصلوا الرسالة الى الآخرين ممن لم تتح لهم فرص مماثلة .

الأب الروحي

بعد افتتاح المبنى الجديد عام ١٩٧٠ كان التعليم يقتصر على المرحلة الثانوية في مـدارس الكويت ، وكان الطلبة الناجحون ينتقلون تلقائيا للتعليم العالي في جامعة الكويت . وفي عام ١٩٧٣ بادرت الشركة الكويتية للاستثمار بارسال مجموعة من شباب الجمعية للدراسـة في الجـامعـات العـربيـة والاوروبيـة والأمريكية ، مقدمة لهم المنح والمخصصات المالية التي يحتاجها كـل طالب علم في تلك البـلاد ، وقد كانت هذه الخطوة حلما طالما راود أبناء الجمعيـة ، بتحقيقه سيفتح لهم الباب على مصراعيه ، ليبـرزوا كفاءاتهم العلمية .

لكن هـذا العمل الانسـاني الكبير مـاكان لـه أن يتحقق لو لم يكن خلفه شخص يبذل من نفسه وماله الكثير من أجل هؤلاء الشبـاب ، وهو السيـد عبد الباقي النوري .

تـرى ماذا يقـول الاب الـروحي اليـوم وابنـاؤه يكرمونـه في حفل الجمعيـة الذي أقيم احتفـاء به ، واحتفالا بمرور ربع قرن من العطاء ؟

تـوجهنا الى السيـد عبد البـاقي النوري في المبنى الذي يحتضن ٩٦ طالبا ، وقبل أن نبدأ الحوار معـه قمنا بجولة في أرجاء مبنى الجمعية الذي يتكون من ثلاثة طوابق ، وستة أجنحة ، ومكتبة ضخمة ، تضم مجموعة كبيرة من الكتب والمراجع العربية والأجنبية .
في المكتبة مجموعة من الشباب يعدون بحثا ، ومجموعة أخرى تبحث عن معلومة ، وبعض الشباب يطالـع الصحف اليومية ، ويتابع أخبار العالم ، وفي الغرفة المعدة للمذاكـرة جلس عدد من الـطلاب في هدوء تام ، لمتابعة دروسهم بجد وانتباه .

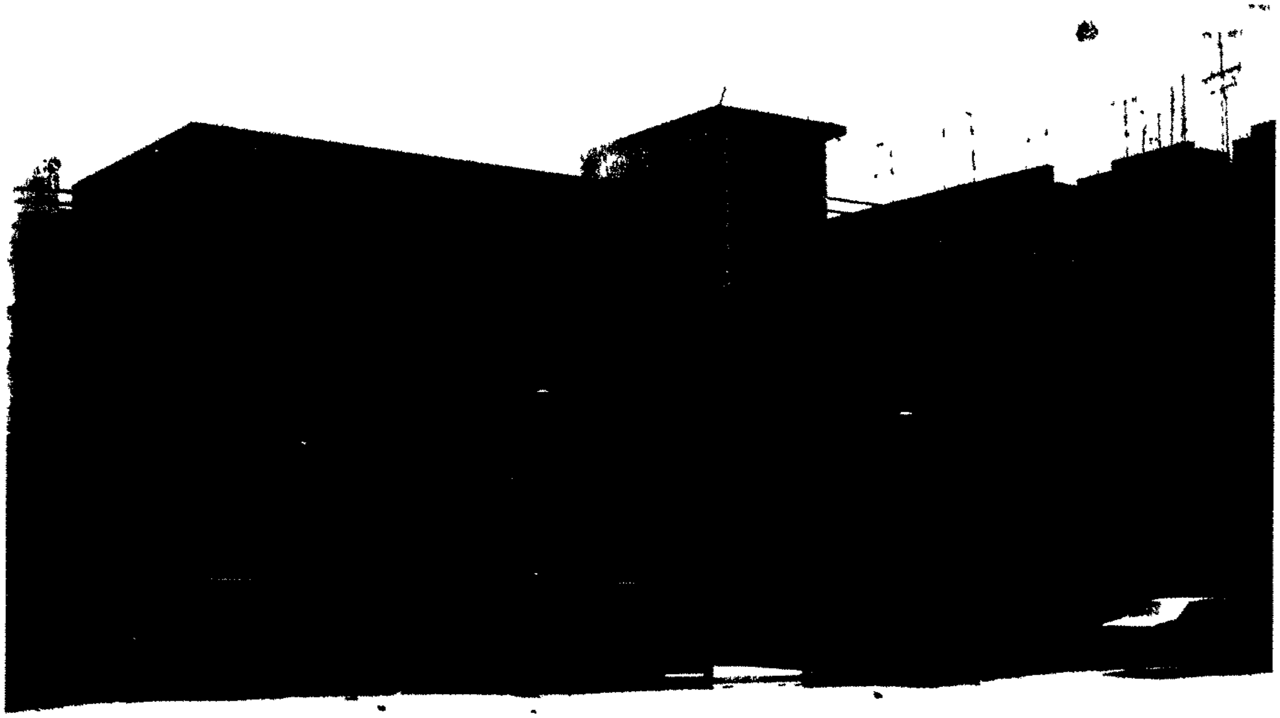
طالت جولتنا في أرجاء الجمعية ونحن نتعرف على النشـاطات الاجتمـاعية والثقـافية والـرياضيـة التي يمارسها الطلبة ترويحا عن أنفسهم ، وكسرا للرتابـة والملل ، ولكي يستعيـدوا نشـاطهم ، ويـواصلوا الـدرس والتحصيل ، فـالجمعيـة وفـرت للدراسـة أدواتها ، وللترويح أدواته ، حتى يتمكن الشباب من ممارسة هواياتهم في النشاطات الرياضيـة ، كألعـاب الـطائرة والسلة وتنس الـطاولـة ، وكثيـرا مـاتعقـد مباريات ودية في هذه الألعاب بين الطلبة .

وهنـاك أنشطة ثقـافيـة تتمثـل في تنـظيم مكتبـة الجمعيـة ، واصدار المجلة الحـائطيـة ، والنشـرات الداخلية التي تفيد الطالب في الاطلاع بصورة عامة .
وبينما كنا ننظر في احدى تلك المجلات ، ونقرأ مـا كتب فيها ، كانت هناك مجموعات تقف عند كل مجلة تتابع وتـطلع وتسجل ، وحـين خرجنـا الى حديقـة الجمعية التي ساهمت وزارة الأشغال في تنسيقها بشكل جميـل جذاب وجـدنا مجمـوعة من الشبـاب تفترش العشب ، وتخطط لرحلة جماعية سيقومون بها في نهاية الأسبوع ، وتناقش خطة الحفل الترفيهي الذي سيقام ليلة الرحلة .

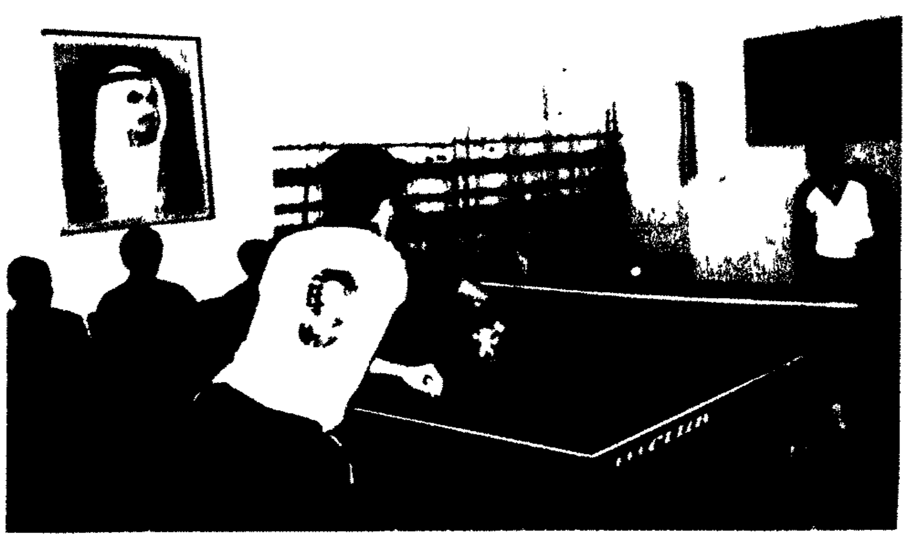
بادرني السيد النوري قائلا : « تغمرني السعـادة وأنا أرى أبنائي اليوم رجالا أشـداء بعلمهم ، وهم مازالوا يذكرون الجمعية ، ويشدهم الحنين اليها ، كما يشدهم الحنين لأرضهم وأهلهم » .

أعوام من الحنين .

بعـد الانتهاء من الـزيـارة دخلت مجمـوعـة من الشبـاب الـذين حيـوا السيـد النـوري بحـرارة ، فاستقبلهم بحفاوة واهتمام ، وأشار اليهم وقال لي : « هؤلاء هم أبنائي شباب الجمعية الذين مازال حبهم للجمعية وحنينهم اليها يشدهم لزيـارتها بـين الحين والحين » .
تعرفنا اليهم ، وكان بينهم مهندس كمبيوتر ، وآخر متخصص في العلوم وأبحاث التلوث البيئي ، وثالث فنان ورسام حاصل على الدرجة العليا في التصميم المسـرحي من المعهـد العـالي للفنـون المسـرحيـة في

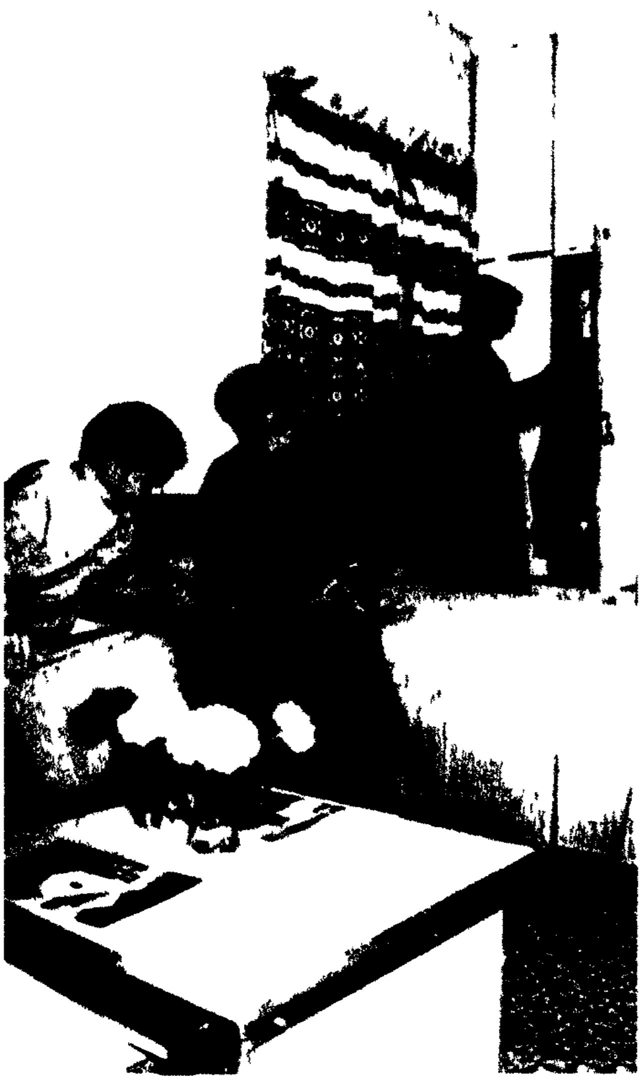


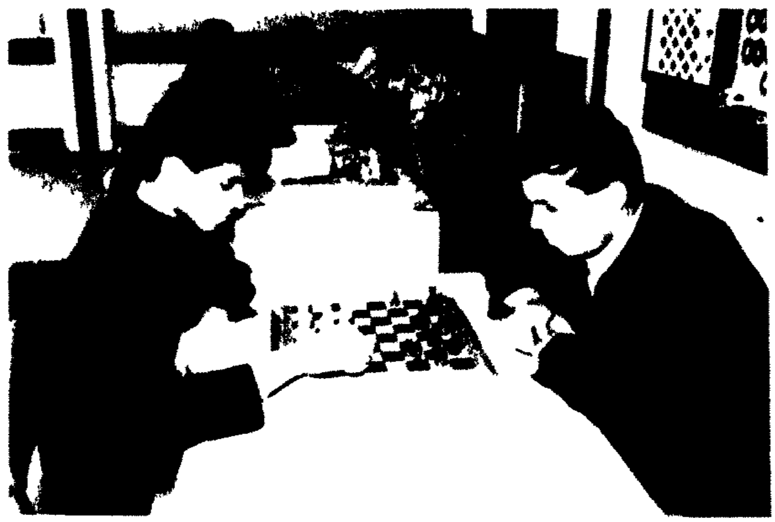




الصورة العليا لمبنى جمعية الجنوب والخليج العربي و (الى اليمين) صورتان إحداهما لشباب الجمعية في مباراة ودية في كرة الطائرة والأخرى لتنس الطاولة وذلك لتنمية المهارات واشباع الهوايات مما يتمثل في اتاحة الفرص أمام الشباب لممارسة الرياضة التي تستهويهم - وللجانب الثقافي حيز كبير من اهتمام الشباب خاصة من محبي القراءة والمطالعة . (أسفل الى اليسار) - وفي أوقات الفراغ لا بد من ايجاد وسيلة تسلية لتجديد النشاط والتشاور في المقررات الدراسية ويبدو ذلك في الصور الثلاث (الى اليسار) .









الكويت . آثرنا الجلوس معهم على الخروج لنقف على تفاصيل الطريق التي شقوها بسواعدهم وبمعاونة الجمعية .

المهندس قاسم أحمد ناصر مهندس كمبيوتر ، متخرج في احدى جامعات أمريكا ، متخصص في وضع البرامج قال : حضرت الى الكويت وعمري سبع سنوات ، وتكفل بي أحد أقربائي ، حيث كنت أقيم في بيته ، فدرست الابتدائية والمتوسطة ، وكان لابد من البحث عن مكان آخر ، فالبيت ضيق ، وعاداتنا لاتسمح بوجود شاب غريب وسط الأسرة ، فالتحقت بالجمعية التي احتضنتني ، وعشت في كنفها كأنني أعيش مع أسرتي ، وقد وفرت لي ولجميع زملائي من أبناء الجمعية المسكن والمأكل والمخصصات المالية الرمزية التي تعطى لنا شهريا ، بالاضافة الى الرعاية الأدبية ، حيث تأخذ الجمعية دور ولي أمر الطالب في المتابعة والاهتمام ، وتعليمنا كيفية تحمل المسئولية والمشاركة والتعاون ، وتتيح لنا كذلك فرصا جيدة للتعرف على طلاب من أقاليم وقرى لم نسمع عنها من قبل ، مما يزيد معرفتنا بعادات وتقاليد كثيرة كانت خافية علينا . لقد قدمت لنا الجمعية الكثير مما لم نكن نحلم به ، وفتحت لنا أبواب المستقبل دون مقابل .

عبدّ القادر السعدي فنان مبدع ، وزميل عمل ، وقد التقيت به مع من التقيت بهم لنقل تجربتهم مع الجمعية فقال الفنان السعدي :

التحقت بجمعية الجنوب والخليج والعربي في عام ١٩٧٦ ، أي في السنة الدراسية الأولى من المرحلة الثانوية ، حيث أنهيت دراستي لهذه المرحلة تحت رعاية الجمعية ، والتحقت بعدها بالمعهد العالي للفنون المسرحية ، قسم التصميم المسرحي ، ولا أنكر دور الجمعية في تفوقي وصقل موهبتي وتشجيعي ، فمنذ اليوم الأول لوجودي فيها وهي تغدق علينا جميعا الكثير من الاهتمام والرعاية ، فبالاضافة الى تمتعنا بخدماتها في السكن والغذاء ومصاريف الكتب والملابس اهتمت الجمعية بتشجيعنا على الاستمرار ، وتطوير هواياتنا في مجال الفن ، حيث وفرت لنا الكثير من الألوان وخامات الرسم ، وأمكنة خاصة لكل طالب لكي يمارس هوايته ، وكان للرعاية الأبوية التي أولانا اياها السيد النوري رئيس مجلس الادارة وبقية أعضاء مجلس الادارة أكبر الأثر في تفوقنا في المجالين العلمي والعملي وبالنسبة لي فقد توج ذلك بمعرض أقمته في عام ١٩٨٢ في مقر الجمعية ، حيث قام الأستاذ النوري بافتتاح المعرض الذي دعا اليه الكثير من الشخصيات الكويتية الذين أبدوا اعجابهم بلوحات المعرض .

انني مدين لهذه الجمعية التي أخذت على عاتقها رسالة انسانية نبيلة ، ولولاها لما توفر لي ولكثير من زملائي فرصة مواصلة الدراسة .

سباق مع الزمن

خمس وعشرون سنة مضت والجمعية لم تزل تدفع بأبنائها الى الأمام ، من أجل مستقبل أفضل ، حتى بات خريجو الجمعية هم الاستثمار الوحيد والعائد الجيد لمنطقة جنوب الجزيرة العربية ، فدون هذا العنصر ماكانت تستطيع هذه المنطقة أن تواكب مسيرة التقدم .

وبدأ السيد النوري بسرد قصته مع الجمعية قائلا : « لاتغيب عن ذهني خطوات الرحلة التي بدأت عام ١٩٦٣ ، حين كنت ناظر مدرسة ثانوية ، حيث دفعني احساسي القومي العربي تجاه أمتي الى مساعدة أبناء الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية ، ممن كانت تضن عليهم ظروف الحياة بسبل العيش العصرية ، حتى لايضطروا في وسط هذه الأحوال الى ترك تعليمهم من أجل العمل.لقد آثرت ومجموعة من الشباب المتحمسين من أهل الخير أن نقوم بتقديم المعونة لهم ، ونأخذ بأيديهم لتخطي العوائق التي قد تقف حائلا دون أخذهم حقهم ونصيبهم من التعليم ، خاصة أنهم يتمتعون بقدر كبير من الذكاء والطموح . فقد كانت هناك مجموعة من هؤلاء الشباب الذين أتى بهم أقرباؤهم الى الكويت للتعلم ، لكن الظروف المحيطة بهم كانت تحول دون نجاحهم ، فالأماكن التي يعيشون فيها ضيقة ، وظروفهم المادية سيئة جدا . حاولت أن أجمع

وزملائي بعض المال ، بحيث نوفر لهم المأكل والمشرب والملبس والمسكن والاستقرار . وظل الحال كذلك الى أن صدر قانون جمعيات النفع العام الذي تبنته وزارة الشئون الاجتماعية والعمل ، والذي يشمل كذلك الجمعيات الخيرية ، وينص هذا القانون على اعطاء مساعدات مالية لهذه الجمعيات لمواصلة رسالتها ، وقد خصصت الوزارة للجمعية مبلغ ٦٠٠٠ دينار كويتي ، وارتفع هذا المبلغ اليوم الى ٣٠٠٠٠ ، وهي توازي ٣٠٪ من ميزانية الجمعية التي تصل الى ١٠٠,٠٠٠ ، كما تقدم بعض المؤسسات وأهل الخير من الأفراد للجمعية ٧٠٪ من ميزانيتها » .

ويؤكد السيد النوري على استمرار الرسالة التي قامت من أجلها الجمعية ، على الرغم من النهضة الواسعة التي تحظى بها اليمن اليوم ، بعد انتشار المدارس والجامعات في شطري اليمن ، وهذه المؤسسات التعليمية تقدم خدمات جليلة لأبنائها ، ولن يضيرها أن تسير معها الجمعية على نفس الدرب، لتحققا أهدافا مشتركة . ويستطرد السيد النوري : « كان لابد للجمعية أن تدعم خطوات مسيرتها التعليمية بخطة عمل شاملة على المدى البعيد ، لضمان تقدمها ، ولضمان الرعاية الكاملة المطلوبة للسنوات الدراسية المتبقية لأبنائها الطلبة ، وعلى ضوء خطتها تلك كان يتم قبول الطلاب المستجدين ممن تنطبق عليهم شروط القبول وان يكون المتقدم من أبناء الخليج العربي أو من جنوب الجزيرة العربية ، وأن يكون وضع أسرته المادي لايسمح له بمواصلة تعليمه الجامعي ، بالاضافة الى شروط لائحة الجمعية الداخلية . سعادتي اليوم غامرة وأنا أرى أمامي ٢٠٠ خريج من أبنائي الذين رعتهم الجمعية ، وقد تقلدوا جميعا مناصب مرموقة في أقطارهم ، واحتلوا وظائف قيادية حساسة ، مساهمة منهم في بناء وطنهم ومجتمعهم » .

الاستثمار الانساني

بقيت جمعية الجنوب والخليج العربي ركنا يجتمع فيه شباب المنطقة طلباً للعلم والمعرفة ، وكانت المسيرة شاقة طويلة ، ولابد من استراحة يقفون فيها ، ليستعيدوا أنفاسهم قبل يعودوا لمواصلة الطريق .

يقول السيد سليمان المطوع نائب رئيس الجمعية رئيس لجنة شئون الطلبة :

« اننا نسعى دائما الى مزيد من الاستثمار للطاقة البشرية المتوافرة في المنطقة ، لننهض بها ، ونساعدها على التعايش مع المجتمع والعالم الحديث ، ومن هذا المنطلق تجدنا نشجع على الدراسات الجامعية التي تساهم في التنمية المطلوبة في المنطقة ، وبخاصة الدراسات التي ترتكز على مجال العلوم والادارة بفروعهما . ونحن بدورنا كجمعية خيرية تنتهي رسالتنا مع بدء حياة الطالب العملية ، لتشجيعه على العودة الى مسقط رأسه على الرغم من المغريات الكثيرة الموجودة في الأقطار النفطية في منطقة الخليج العربي . من هذا المنطلق تجدنا في الجمعية نتولى الاشراف والمتابعة التامة على الطلبة ، كما نركز على اعطاء الفرص دون عوائق ، لضمان عودة الفرد الى قطره بعد دراسته للتخصصات اللازمة » .

وأنهى السيد المطوع حديثه قائلا : « لاشك ان أعدادا هائلة تحتاج الى مساعدة الجمعية ، لكن الامكانيات المتاحة محدودة بقانون جمعيات النفع العام ، لهذا آثرنا قصر العون على الطلاب المتفوقين علميا ، المحتاجين اجتماعيا وماديا ، فالطالب يلقى من الجمعية رعاية أدبية ومادية طوال فترة دراسته ، كما أننا نتابعه في دراسته ، لنبعث في نفسه حافزا قويا للتحصيل العلمي ، وننمي ذلك بمواصلة النصح والمتابعة » .

انه لجميل حقا هذا الاحساس الذي يمنحه لنا وجود جمعيات من هذا النوع ، ويقف وراءها ويدعمها أشخاص لايترددون في البذل والعطاء ، وجميل أن تظل هذه النزعة موجودة حتى اليوم ، ونتمنى أن توجد مستقبلا في أقطار عربية أخرى جمعيات مماثلة ، تؤدي رسالة فيها من المشاعر الانسانية بقدر مافيها من المشاعر القومية الفياضة .□



بطاقات الألوان في اختبار « لوستشير » لقياس الشخصية

صحتك النفسية والألوان

بقلم : الدكتور دري حسن عزت*

تعد الألوان أحد العناصر الرئيسية التي تمكن الانسان من التعامل مع عناصر الكون ، وبها يميز بين المساحات والكتل ، ويفرق بين المتشابهات من الموجودات الطبيعية ، وبها يعبر عن عواطفه ومشاعره في لوحات مبدعة . والطب الحديث يحاول الاستدلال على أمراض الانسان وتكويناته النفسية من خلال استجاباته لدرجات الألوان المختلفة .

* استشاري الطب النفسي في الكويت .





المريض بالاكتئاب يعبر عما يشعر به من معاناة ، مستخدما اللون الأسود ، وينحسر هذا اللون تدريجياً باطراد التحسن حتى بلوغ الشفاء فتظهر الألوان الزاهية كاملة .

للألوان دور حيوي في حياة الانسان ، وقد عرف الانسان الأول منذ القدم تأثير الألوان على حياته خلال دورة الليل والنهار ، وتتابع الظلام والضياء .

بحلول الليل تظل عليه السماء بلون أزرق قاتم ، فيتراجع عنده النشاط البيولوجي ويهمد ، فيلجأ للهدوء والكمون حتى ينام ويستريح ، كي تتجدد قواه ، ويستعد لنشاط اليوم التالي .

وبطلوع النهار يغمر الكون الضوء الأصفر الوهاج ، فيزداد عنده النشاط البيولوجي ، فيندفع الى الحركة والعمل ـ سبحان القائل « وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشا » ـ وهكذا نظم الانسان حياته خلال تتابع لونين من ألوان الطبيعة .

الطبيعة تحيط الانسان بألوان أساسية ، تطل عليه من بيئته ، فاللون الأزرق يطل عليه من السماء الصافية ، ويظهر له في مياه البحار والمحيطات ، واللون الأخضر يصبغ الحقول والغابات بما فيها من أشجار ونباتات ، واللون الأصفر يغمر الصحارى والحقول والغابات في فصل الخريف ، أما اللون الأبيض فيتمثل في الثلوج التي تغمر البلاد ذات الشتاء المشتد أو الأماكن التي تحيط بها الجبال الكلسية ، واللون الأحمر لا يظهر جهارا في مسطحات أو تكوينات بأحجام كبيرة تحيط بالانسان ، إلا أن كل إنسان منا يعلم بأن في شرايينه دماء حمراء .

تأثير الألوان على الإنسان وصحته :

من الذين درسوا الألوان ومدى تأثيرها على الإنسان دراسات مستفيضة ، عالمان شهيران من

علماء النفس هما العالم الألماني (جولد شتين) ، والعالم السويسري (ماكس لوشير) ، من نتائج دراساتهما على الألوان وتأثيرها على الأشخاص الذين يتعرضون لمحيط يغمره اللون الأحمر القاني فترات طويلة،ويركزون تفكيرهم شعوريا على وجودهم وسط هذا اللون ، وجدا أن ضغط الدم يرتفع عندهم وأن نبضهم وتنفسهم يزدادان سرعة ويحفزان لديهم النشاط الغددي ، فيميلون للانفعال والاستثارة بدنياً ونفسيا ، إذ أن اللون الأحمر ينبه الجزء « السيمبثاوي » للجهاز العصبي اللاإرادي المسئول عن التنشيط والتنبه والتحفز .

أما الأشخاص الذين يتعرضون لتأثير اللون الأزرق الخالص فإن ضغط الدم ينخفض عندهم ، وتقل سرعتا النبض والتنفس ، ويتراجع لديهم النشاط الغددي ، فيميلون للهدوء والاسترخاء ، إذ أن اللون الأزرق ينبه الجزء « الباراسيمبثاوي » من الجهاز العصبي اللاإرادي المسئول عن التهدئة ، ويوازن تأثير الجزء « السيمبثاوي » .

أجريت تجارب على أطفال في سن الرابعة ، قصت عليهم حكاية ذات أحداث محزنة ، وطلب منهم بعد ذلك أن يرسموا مشاهد الحكاية ، فغلب على رسومهم اللون البني القاتم ، وعندما قصت عليهم حكاية أخرى ذات أحداث مفرحة غلب على رسومهم اللونان الأخضر والأصفر .

وقد وجد أن الصناديق الثقيلة إذا طليت باللون الأسود شعر من يحملها بثقل وزنها ، أما إذا طليت باللون الأخضر فيشعر بخفة وزنها . والسكر إذا عرض للبيع في أكياس ذات لون أخضر انصرف الناس عن شرائه ، إذ يذكرهم هذا اللون بالفاكهة غير الناضجة قليلة الحلاوة ، إما إذا صبغت الأكياس بخطوط من اللون البرتقالي والأحمر أو الأصفر ازداد إقبال الناس على شرائها .

وينطبق هذا على المريض النفسي المصاب بمرض الاكتئاب أيضا ، فإذا طلب منه أن يعبر عما يعانيه بالرسم غلب على رسمه اللون البني الغامق ، ويدل على بداية تحسنه بالعلاج ظهور اللون الأحمر الفاتح على رسومه ، وباطراد التحسن تظهر باقي الألوان الزاهية كالأخضر والأصفر وينسى اللون البني الغامق .

الألوان والحالة النفسية للإنسان

اللون الأزرق : يهديء الأعصاب ويزيل التوتر ، ولا شك أن الاستغراق في تأمل زرقة السماء الصافية بعض الوقت يحدث هذا الأثر ، ولذا يحب الناس تمضية إجازاتهم على شواطيء البحار بالقرب من زرقة مياهها .

اللون الأحمر : يسبب الاثارة والانفعال العاطفي ، لذا يستخدم هذا اللون في ممرات الاستقبال للدلالة على حرارتها ، وعلى الود والترحيب بالزائرين ، وفي النوادي الليلية والديكورات الداخلية ، وفي إشارات السير للتيقظ والتنبه الى الخطر .

اللون الأخضر : يوحي بالرخاء والخير والنعيم . فالمحبة يرمز لها باللون الأخضر ، ويحب الناس أن يمضوا أوقاتهم في الغابات الخضراء والحدائق والبساتين ، كما توجد في بعض البلاد عيادات خاصة للعلاج بالألوان ، يتعرض المريض فيها عدة ساعات لهذا اللون متمشيا أو جالسا في حدائق اللون الأخضر الذي يمتد على مدى البصر . وقد وجد أن هذا الأسلوب العلاجي يساعد على الشفاء من الحالات النفسية الحسية السيكوسوماتية التي تنتج عن التوترات النفسية والاضطرابات العاطفية .

اللون الأصفر : يوحي بالاستبشار ، وتوقع مايسر ، ويساعد على التركيز وصفاء الذهن ، كما أنه يخفف من الشعور بالألم ، ويشيع الاطمئنان في النفس ، فاللون الأصفر هو لون الذهب بكل ما يرمز إليه الذهب ويوحي به .

اللون الأبيض : يوحي بالنظافة والطهارة والطيبة ، ويقال في الأمثال الشعبية في وصف طيبة الرجل بأن قلبه أبيض .

اللون الأسود : رمز الحزن ، ويعبر به عن الحداد



نموذج للألوان الغامقة والموضوعات المحزنة التي كانت نتاج المرحلة الانقباضية في شخصية الرسام جويا .

والعزلة ، في ثقافات بعض الشعوب ، ولدى شعوب أخرى كالصين مثلا يرمز الى الحزن باللون الأبيض .

وبشكل عام لا يحب الإنسان رتابة ونمطية اللون الواحد ، فهو يميل بطبعه ـ وكما في الطبيعة ـ الى الألوان المختلفة المنسجمة التي تشيع في نفسه الاحساس بالجمال ، وتزيل عنه التوتر ، وتؤدي به الى الاسترخاء .

هل تعكس الألوان شخصية الإنسان وتعبر عن صفاتها ؟

لا شك أن الرسامين هم أساتذة التعبير بالضوء ، كما أن الموسيقيين هم أساتذة التعبير بالصوت ، والألوان هي المادة التي يستخدمها الرسامون للإفصاح عن انطباعاتهم وعن بيئتهم .

فالرسام الهولندي رامبراندت . كانت تتسم شخصيته بالجد والصرامة والميل للعزلة ، والتفرد والانطلاق الى حد كبير داخل النفس . ولذلك تسود لوحاته الألوان الداكنة ، وإذا ظهرت بقع من اللون الأصفر أو الأحمر فنجد أنه يحيطها بمساحات كبيرة من اللون الأسود أو البني الغامق .

أما الرسام الفرنسي رينوار فقد كانت شخصيته تتسم بالمرح والكرم وحب الاختلاط بالمجتمع والانفتاح على البيئة الخارجية ، ومعاشرة الناس والاقبال على الحياة وطيباتها . ولذلك تغلب على رسومه الألوان الزاهية كالأصفر والأحمر والأزرق والأبيض ، كما أن موضوعاته تجسد المجموعات





صوره دانه لرامبرانت وصوره لوالدنه ، ويلاحظ أنه
غالبا ما يستعمل الألوان الداكنه مما يلائم شخصيه
المتعلمه

البشرية في مرحها وصخبها .

لكن شخصية الرسام الاسباني فرانسيسكو جويا ، تتأرجح بين فترات من الانقباض والاكتئاب ، وفترات من الانبساط والمرح ، ففي فترة الانقباض كانت تغلب على رسومه الألوان القاتمة . وهذه الفترة يسميها النقاد بالفترة السوداء ، وفي فترات الانبساط كان يعتمد على تراكيب لونية زاهية كالأحمر والأصفر والأخضر والأزرق .

الألوان وسيلة لقياس الشخصية

بعد دراسات وتجارب عديدة استطاع عالم النفس السويسرى « ماكس لوستشير » أن يصمم اختبارا لقياس شخصية الإنسان مبنيا على أساس ما يختاره من ألوان ، وما يفضله وما يرفضه منها .

يطلب من الشخص أن يختار أربعة ألوان من ثمانية يعرضها عليه على ثماني أوراق على هيئة بطاقات والألوان هي ، الأخضر والأزرق والأسود والبنفسجي والبرتقالي والرمادي والأصفر والبني ، ويطلب منه أن يختار الألوان الأربعة التي يفضلها ، ويرتبها حسب تفضيله لها . لوحظ أن الشخصيات التي تتسم بالسلبية وتتهرب من المسئولية وتفضل السهل المريح وتحب الأخذ والاستحواذ وتضن بالتضحية والعطاء تختار أربعة ألوان بعينها ، وترفض أربعة أخرى .

أما الشخصيات الايجابية التي تقبل التحدى وترحب بالتنافس وتسعى اليه وتحب المساعدة والانجاز ، ولديها القدرة على العطاء ، وتقبل التضحية ، فإنها تختار أربعة ألوان معينة ، وترفض الأربعة الأخرى .

ولن نشير هنا بالطبع الى الألوان التي تفضل بواسطة الشخصيات المختلفة ، وتلك التي ترفض ، لكي لا تفقد المعرفة المسبقة عن دلالتها القيمة الاكلينيكية للاختبار .

ونستنتج أن للألوان ارتباطا كبيرا بحياة الانسان ، وأنها تعبر عن مشاعره ، وتفصح عن صفات شخصيته ، كما أنه يمكن استخدامها بذكاء وفاعلية كبيرة للإيماء إليه وتحفيزه لنشاط معين أو منعه من نشاط معين ، كما يمكن استخدامها في علاج بعض الحالات المرضية ، نفسية كانت أو جسمية .

لكن ما ذكرناه لا يؤخذ على أنه دلالات مطلقة ، وحتميات مقررة ترقى لمستوى القوانين النظرية ، فقصدنا الإشارة الى ما يمكن أن يكون للألوان من أثر في حياة الإنسان ونشاطاته وحالاته النفسية المختلفة □

اعتذار . . ودعاء

ورد في حديث الشهر المنشور في العدد ٣٥١ لشهر فبراير ١٩٨٨ من مجلة العربي حول كتاب « الذخائر والتحف للقاضي الرشيد بن الزبير » اشارة الى أن مراجعه متخصص كبير هو الدكتور صلاح الدين المنجد » .

وقد حدث خطأ غير مقصود في اقتران اسم الدكتور صلاح الدين بكلمة المرحوم .

واذ نبادر بالاعتذار للقراء وللدكتور صلاح الدين المنجد عن هذا الخطأ نتمنى للدكتور الصحة وطول العمر ليواصل عطاءه المتميز ونتاجه الوفير للثقافة العربية وللقراء .

صدر العدد السّابع والعشرون من

العربي الصغير

أبريل ١٩٨٨

مجلة الفتيان والفتيات في الوطن العربي

رئيس التحرير: د. محمّد الرميحي

يشترك في تحريره مع الفتيان والفتيات العرب نخبة من كبار الفنانين والكتاب المتخصصين

اقرأ في هذا العدد:

- همام و "زغلول في مأزق" ... مسلسل بالرسوم
- المهلب سفينة شراعيّة على أرض الكويت
- الحبل .. قصة عربية حديثة
- رمضان .. والمسلمون في الهند .. استطلاع
- الرجل والأسد .. قصة عالمية
- الإوز الأغبر يعبر البحر .. قصة عالمية
- رسالة ما وراء البحار

بالإضافة إلى الأبواب الثابتة:

صفحات لأخيك وأختك الصغيرة - كمبيوتر العربي الصغير

اصنع بنفسك - تونة وكيكو وزيكو - جحا - همام .....



الطلاء الأيوني قفـزة واسعـة في تقنيــة الطــلاء

بقلم : الدكتور نادر عبد الغفور أحمد *

اذا كان مشاهدو بعض الآثار الفرعونية في مصر ينبهرون بثبات ألوانها ونضارتها في مقابر الفراعنة ، على الرغم من آلاف السنين التي مرت عليها ، فإن التطور التقني المعاصر في ميدان طلاء الأدوات والمعادن قد تطور عبر مراحل من التجارب ، والاستخدامات ، حتى وصل مرحلة الطلاء الأيوني ، ليؤكد على قدرة الانسان في ابتكار مايشبع حاجاته .

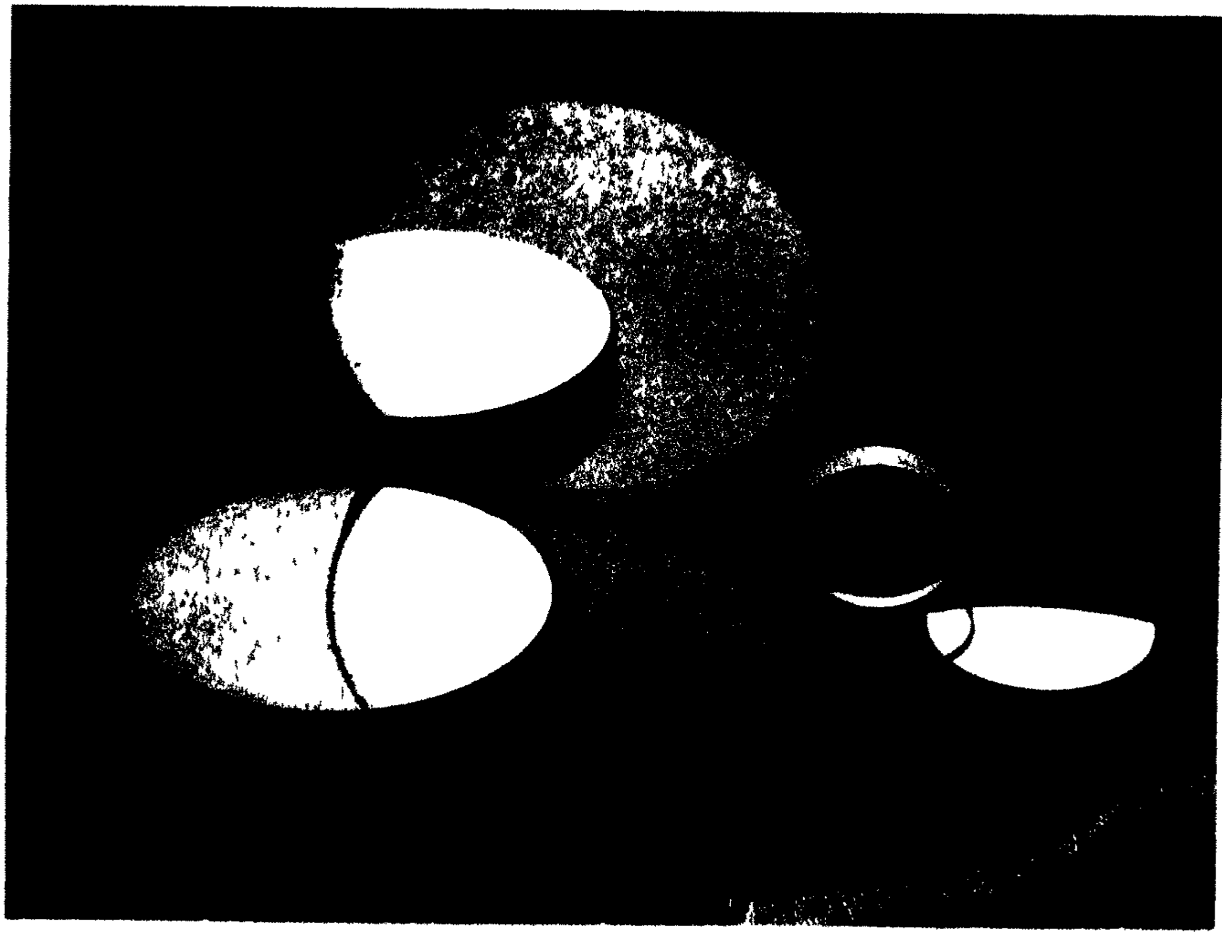
الطلاء علم أتقنه الانسان القديم ، وتفنن فيه ، واستعمله في أغراض شتى ، فمن طلاء جدران البيوت بالألوان والرسوم المختلفة لأغراض كالزينة أو الصيانة ، الى طلاء أواني الطبخ ، والسفن بالقير لحمايتها من الصدأ والتآكل وقد أدرك الانسان القديم أهمية طلاء محاور العجلات بالزيت أو الشحم ، لتقليل الاحتكاك الناتج عن دوران العجلة ، لحمايتها من التآكل والتشقق أما قدماء المسلمين فقد زاد إتقانهم لفن الطلاء ، واستعملوه بجدارة ماهرة في التصاميم الرائعة للمساجد والأبنية ، الى درجة أنهم أدخلوا استعمال ماء الذهب ، لاضافة بريق خاص للكتابات القرآنية المنقوشة على المساجد ، كما يلاحظها زائر مدينة قصر الحمراء الأندلسية ، وباقي الآثار الإسلامية القديمة

على أن تقدم الحضارة الانسانية ، وزيادة متطلبات الحياة التي تعقدت مع الزمن قد ساعد كثيرا على تقدم علوم الطلاء كما هي الحال مع العلوم الأخرى ، بل لقد أدى الى فرض إيجاد التخصص اللازم لاستعمال الطلاء في مجالات الحياة المختلفة

الطلاء الكهربائي :

بعد اكتشاف الكهرباء في القرن التاسع عشر دخل علم الطلاء طورا جديدا بابتكار تقنية الطلاء الكهربائي ، وبذلك قفز علم الطلاء من فن يدوي الى علم يعتمد على أجهزة متطورة ، لاتتدخل فيها يد الانسان ، وتتلخص طريقة الطلاء الكهربائي - الموضحة - باستعمال قطعتين معدنيتين ، تربط الأولى بالقطب الموجب ، والأخرى بالقطب السالب لمصدر كهربائي

* استاذ الهندسة الكهربائية في كلية (هدرسفيلد) الصناعية البريطانية



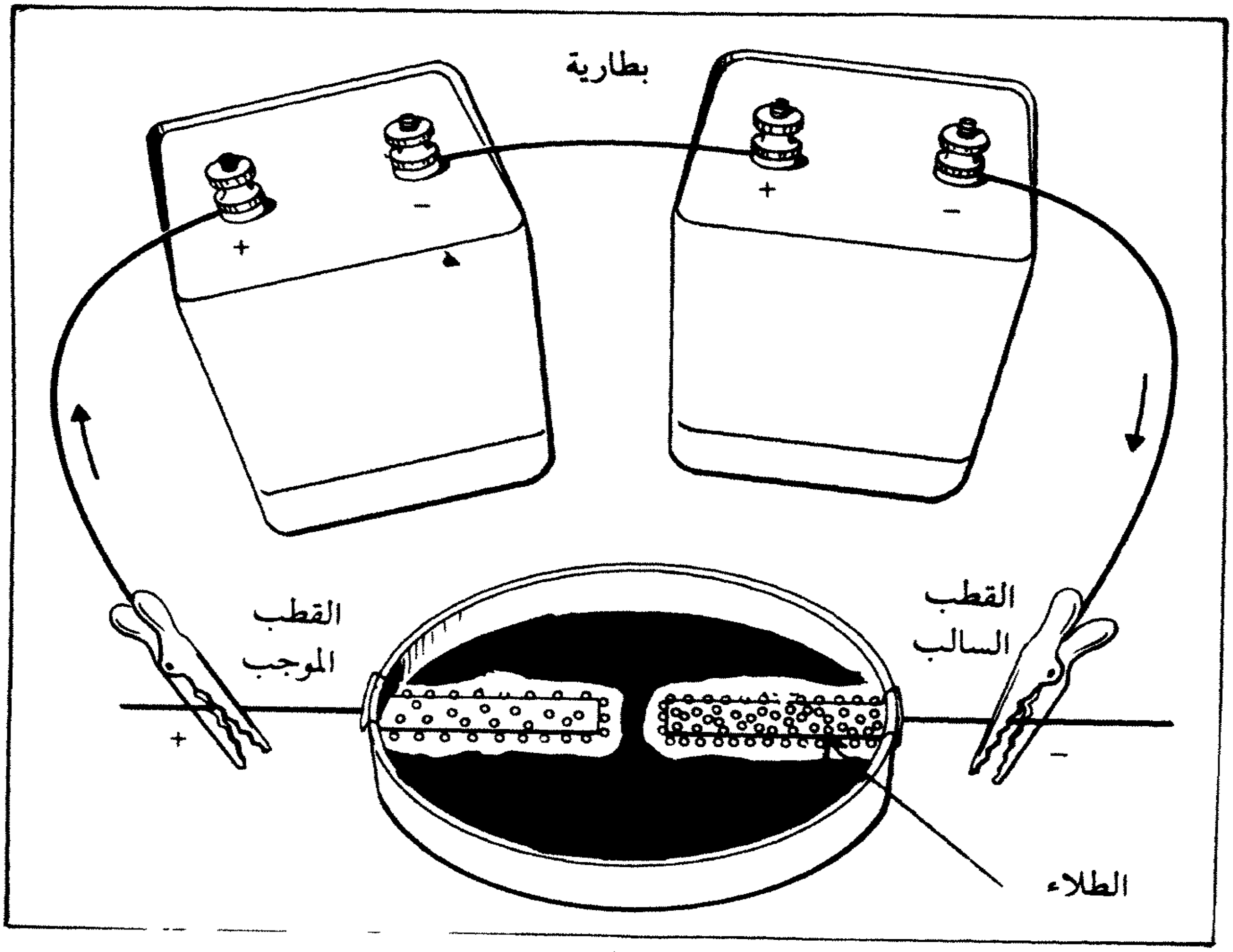
طلاء العدسات للرؤية الليلية

(كالبطارية) مثلا ، وتمثل القطعة الثانية الموصلة بالقطب السالب العينة المراد طلاؤها ، ثم تغمس القطعتان في حوض يحتوي على محلول كيماوي للأملاح المراد استعمالها كمادة للطلاء ، وعند مرور التيار الكهربائي في المحلول يتحلل الأخير الى مركبات موجبة تنجذب نحو القطب السالب ، وتترسب عليه فتطليه ، أما المركبات السالبة فتنجذب نحو القطب الموجب ولعل من أحسن الأمثلة التوضيحية لهذه الطريقة من الطلاء ، طلاء الملاعق بالفضة ، حيث تستعمل الملاعق كقطب سالب ، وتغمس في محلول يحتوي على أملاح الفضة التي تتحلل ، فتترسب ذرات الفضة على الملاعق بعد فترة من الزمن ، ومن الواضح أن الفوائد الكثيرة لهذه الطريقة قد أدت الى تطورها ، واستعمالها في مختلف المجالات منذ ذلك الوقت حتى الآن

ومن جملة المواد التي تطلى الآن بطريقة الطلاء الكهربائي هياكل السيارات ، وأواني الطبخ ، والحلى ، والمسامير المختلفة ، وغيرها

وعلى الرغم من ذلك فان للطلاء الكهربائي عيوباً كثيرة ، منها ضرورة كون العينات من المواد الموصلة للكهربائية ، أما اذا كانت المادة عازلة كالزجاج فيجب أن تطلى أولا بطبقة رقيقة من مادة موصلة للكهرباء ، ثم توضع بعدها في أحواض الطلاء الكبيرة لطلائها بالمادة الرئيسية

وتتمثل العيوب الأخرى في عدم التصاق الطلاء بصورة جيدة على العينة ، مما يؤدي الى انفصال الطلاء مع الزمن ، وذلك يحد من استعماله في الأغراض الخاصة ، وقد حدت كل هذه العيوب بالعلماء الى البحث عن طرق جديدة مبتكرة



الطلاء الكهربائي

الطلاء داخل الاسطوانات المفرغة من الهواء

في عام ١٨٨٧ وجد العالم (نارولد) أنه يمكن طلاء المواد داخل الاسطوانة المفرغة من الهواء عند تسخين سلك كهربائي داخلها.

وهذه الطريقة تشبه فكرة المصباح الكهربائي المفرغ من الهواء ، الحاوي على سلك كهربائي ساخن ، لكن السلك في هذه الحالة لايحتوي على مواد متبخرة لكي لاتطلى جدران المصباح وتمنع النور من الانتشار . تفرغ هذه الاسطوانات باستعمال مضخات خاصة تسحب الهواء من داخل الاسطوانة وتدفعه للخارج ، وبذلك ينخفض ضغط الهواء بدرجة أقل بكثير من الضغط الجوي بحيث ينعدم الهواء تماما داخل الاسطوانة المفرغة ، إلا أن مثل هذه الأجهزة لم تكن متطورة آنذاك ، ولذلك اقتضى تطبيق الطريقة عمليا الانتظار فترة طويلة حتى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وبالتحديد حتى عام ١٩٤٦ . ومنذ ذلك الوقت بدأت تقنية الطلاء داخل الاسطوانات المفرغة من الهواء تقفز قفزات واسعة في مجال التطبيق العملي على نطاق واسع ، أما في الفترات التي سبقت عام ١٩٤٦ فقد اقتصر الاستعمال على المختبرات فقط وعلى نطاق ضيق .

ولعل من أهم أسباب تطور تقنية الطلاء داخل الاسطوانات المفرغة من الهواء بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تقدم علم الالكترونيات ، وازدياد الحاجة لتصغير الدوائر الكهربائية لصنع أجهزة الكترونية معقدة كالحاسبات مثلا ، وكان الدافع

الأساسي لذلك سباق التسلح الذي شهده العالم بعد الحرب العالمية الثانية بين الدول المتقدمة ، والتنافس على تطوير الأسلحة وأجهزة الدفاع .

ذلك السباق قد أدى أيضا الى ازدياد الحاجة لتطوير أنواع جديدة من الطلاء ، لاستعماله في المرايا والعدسات البصرية ، خصوصا التي تستعمل في آلات التصوير الليلي التي تسمح للأشعة تحت الحمراء بالمرور من خلالها

والأشعة تحت الحمراء ، هي الأشعة الحرارية غير المرئية التي تبعثها الأجسام الساخنة كجسم الانسان ، والعربات ، والطائرات ، والنار ، وغيرها من مصادر الحرارة .

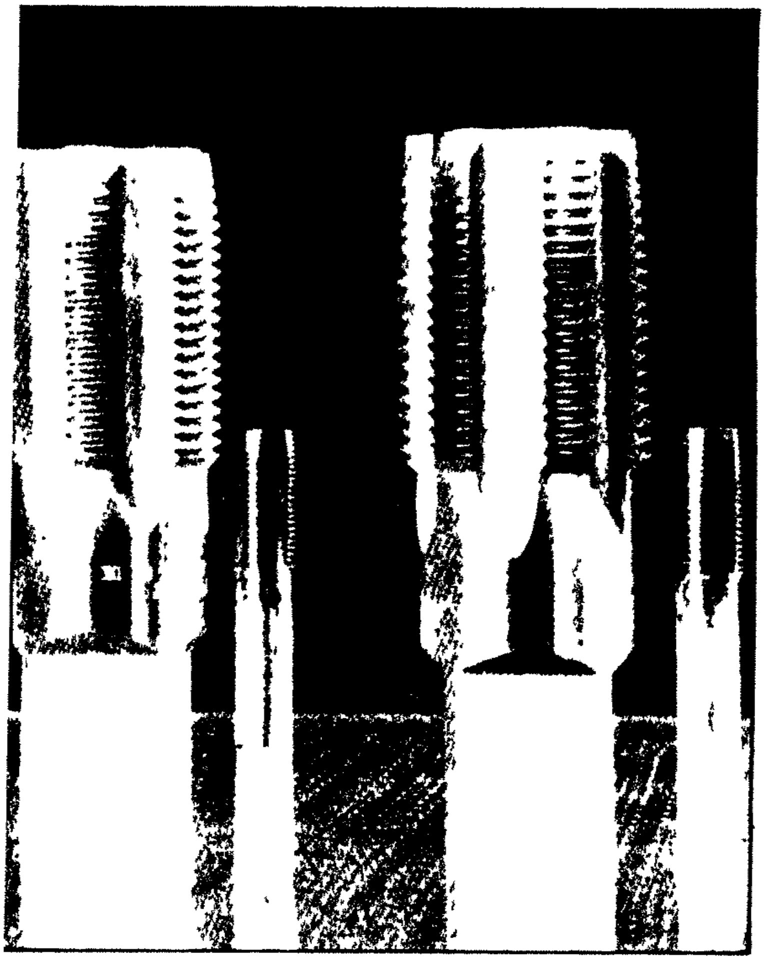
وفي طلاء مثل هذه العدسات تستعمل مواد مختلفة ، ككبريتات الخارصين ، أو أوكسيدات الثاريوم ، أو الكاربون ، ولهذه المواد خاصية السماح للأشعة الحرارية بالمرور من خلالها ، ومنع الاشعة المنظورة من المرور ، وكلما ازدادت دقة الطلاء ازداد تعقيد جهاز الرؤية الليلية وحساسيته ،

حتى أنه يمكن في بعض الأجهزة اكتشاف المكان الأصلي الذي انطلقت منه الطائرة أو العربة قبل فترة زمنية معينة . وقد أدرك العلماء أن طريقة الطلاء هذه لا تفي بالمواصفات الدقيقة للأجهزة المعقدة ،

ولذلك كان عليهم البحث عن طرق أخرى يمكنها تحقيق المواصفات المطلوبة ، ومن هنا برز استعمال طريقة الطلاء الأيوني التي تعتبر تقنية متطورة من تقنية الطلاء داخل الاسطوانات المفرغة من الهواء ، حيث يمكنها تحقيق بعض المواصفات الدقيقة المطلوبة

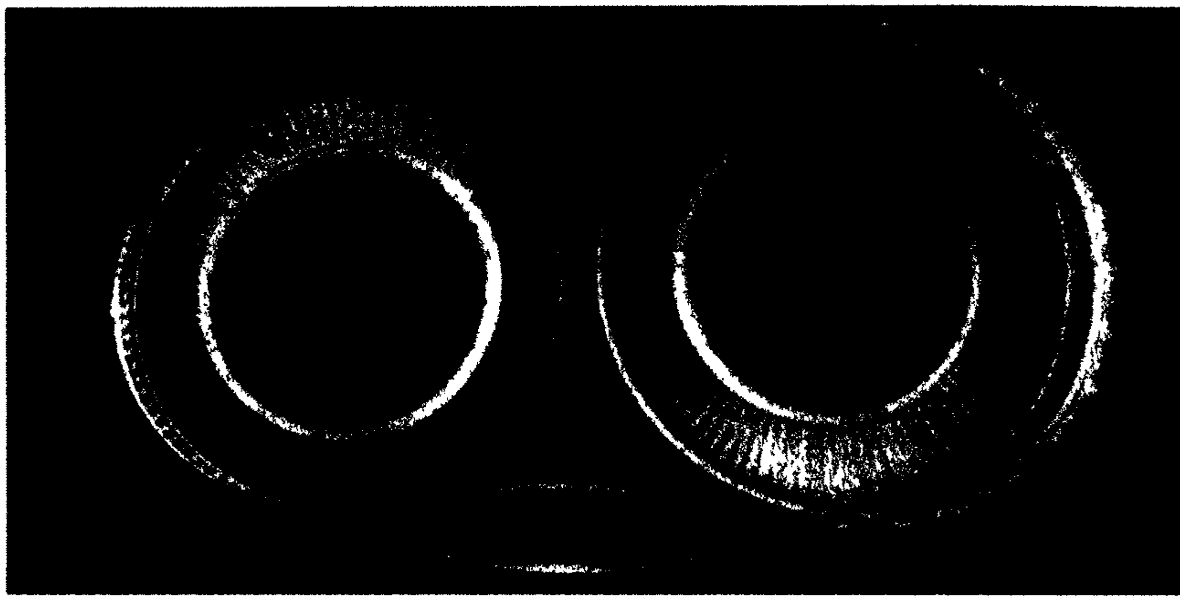
الطلاء الأيوني

لعل أول من اكتشف هذه الطريقة العالم (برغوس) عام ١٩٣٦ ، بعد أن توصل الى الحصول على مواصفات جيدة للطلاء الذي أجراه داخل اسطوانة مفرغة من الهواء التي أعيد ملؤها بغاز



طلاء المثقب لزياده عمرها

« الأرغون » الخامل ويشابه غاز « الأرغون » غاز « النيون » الخامل الموجود داخل مصابيح « النيون » لكنه أثقل وزنا من غاز « النيون » وقد قام العالم (برغوس) باحداث تفريغ كهربائي بين قطبين كهربائيين ، موجب-سالب داخل الاسطوانة المملوءة بغاز « الأرغون » ، ثم قام في نفس الوقت بتسخين سلك يحتوي على المادة المتبخرة المراد استخدامها كطلاء واستعمل العينة المراد طلاؤها كقطب سالب للتفريغ الكهربائي ويؤدي مرور المادة المتبخرة خلال منطقة التفريغ الى فقدان ذرات المادة المتعادلة كهربائيا لبعض الكتروناتها ، وتتحول بالتالي الى أيونات موجبة (أي ذرات ذات شحنة موجبة) ، بعد أن كانت متعادلة كهربائيا ، وتنجذب



طلاء زعانف التوربينات النفاثة

هذه نحو العينة السالبة بسرعة كبيرة ، حيث تصطدم بسطحها ، وتغوص داخلها ، لتتحول الى طلاء ذي التصاق قوي بالعينة ، وذي مواصفات كيميائية وفيزيائية جيدة . وقد بقيت تقنية الطلاء الأيوني طي الكتمان حتى عام ١٩٦٣ ، عندما اكتشفها أيضا الفيزيائي (ماتوكس) الذي كان يعمل في معهد سانديا الامريكي أما سبب اطلاق اسم الطلاء الأيوني فيعود الى تأين ذرات المادة المتبخرة في طريقها للوصول الى سطح العينة المراد طلاؤها

لقد كان لازدياد الطلب على أنواع معينة من الطلاء ذي الخواص الكيميائية والفيزيائية العالية ـ التي تمكن العينة المطلوبة من مقاومة الصدأ والتآكل ودرجات الحرارة العالية ـ العامل المهم في تطوير هذه التقنية ، ذلك السبب هو الذي حدا بشركة (ماكدونالد دوغلاس) الامريكية المصنعة للطائرات لتبني هذه التقنية لطلاء أجنحة ومسامير للطائرات ، خصوصا طائرات الفانتوم ف ١٤ (F-14) ، ولطلاء زعانف توربينات المحركات النفاثة ، لزيادة مدة استعمالها وقد استعملت طريقة الطلاء الأيوني في طلاء بعض أجزاء الحافلة الفضائية الأمريكية (تشالنجر)

وباختيار الطلاء اللازم يمكن لتقنية الطلاء الأيوني أن تطلي المعادن المختلفة ، كالحديد ، والتيتانيوم (وهو معدن خفيف وقوي) ، والسبائك الأخرى لزيادة مقاومتها للصدأ الذي ينتج عند التعرض لماء البحر ، أو لزيادة متانة شفرات مقصات الحديد والمعادن ، أو لزيادة عمر الثاقبات التي تستعمل في ثقب المعادن المختلفة إلا أن هذه التقنية لم تقتصر على هذه الاستعمالات فقط ، وانما امتدت فشملت طلاء المعادن الرخيصة بسبائك نترات التيتانيوم التي تضفي على تلك المعادن الرخيصة رونقا ولونا مشابها لرونق الذهب ولونه ، بالاضافة الى صلابة أقوى من الذهب .

ودخلت تقنية الطلاء الأيوني المجالات العسكرية الأخرى ، مثل طلاء قضبان اليورانيوم لاستعمالها في المفاعلات النووية ، وطلاء أغلفة الصواريخ بالألمنيوم لزيادة مقاومتها للصدأ وماسورات المدافع لزيادة كفاءتها ومقاومتها للحرارة العالية التي تنتج عند اطلاق القذيفة ، وفي نفس الوقت لتقليل صيانة الماسورة بعد كل اطلاق ويبدو أن المستقبل القريب سيشهد استعمالات أوسع لهذه التقنية الحديثة . □

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع



■ **حتى لاتكون الرياضة وبالاً ..**

■ لغة طفلنا .. هل نعرف حروفها ؟

حتى لا تكون الرياضة وبالاً...

بقلم : الدكتور عماد شمسي باشا

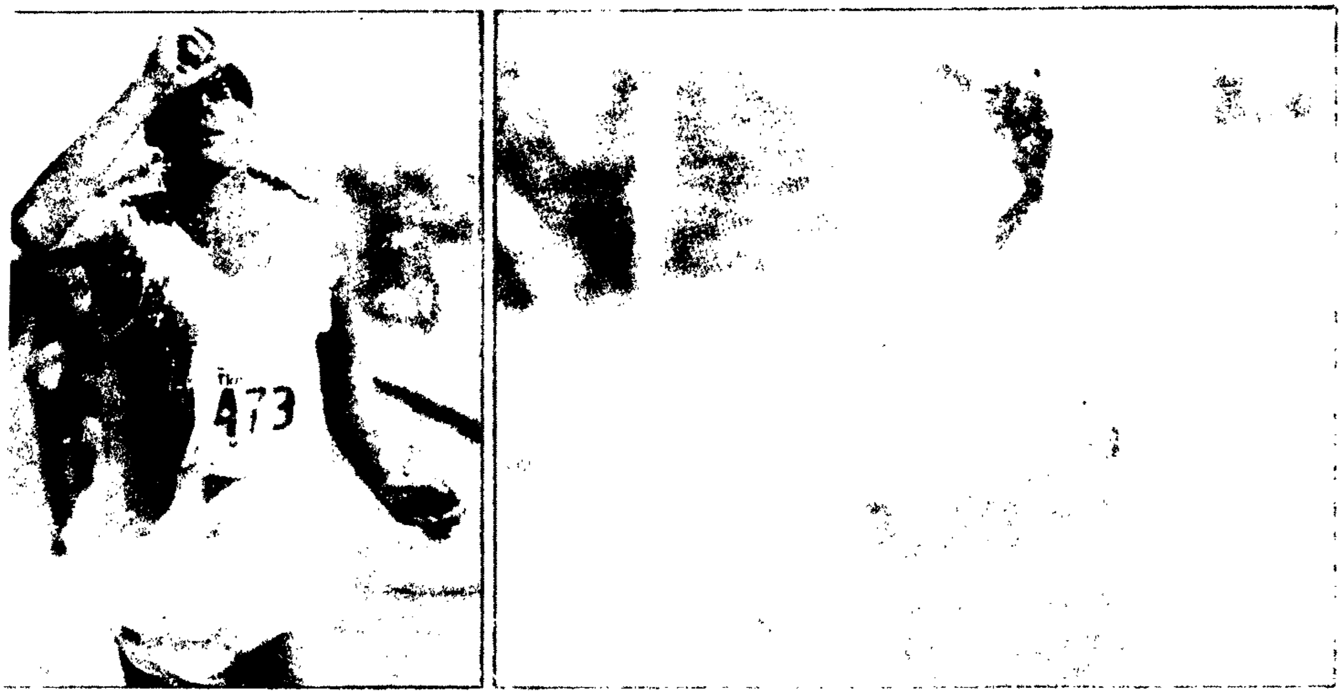
شهدت السنوات القليلة الماضية ازديادا لظاهرة ممارسة الرياضة من قبيل الاهتمام بالصحة العامة ، واندفعت وسائل الاعلام لتقدم متطوعة أنواعا من التمارين ، وطرقا للأداء ، ولم يتوقف أحد ليقول ان ممارسة الرياضة قد تنطوي على خطر حقيقي إذا لم يحسب الانسان ظروفه الصحية وقدراته البدنية .

هناك حقيقة يجب علينا الانتباه إليها ، وهي أن بعض الممارسات الرياضية تنطوي على مخاطر حقيقية ، قد تبلغ حد الموت الفجائي إذا تمت في منأى عن المراقبة الطبية المسبقة ، والمشورة الصحية السليمة ، وإن إدراكنا لهذه المخاطر ، وفهمنا لأبعادها يجعلنا أشد ما نكون حرصا على اتخاذ أسلوب من المزاولة ، يتحقق فيه التناسب المطلوب بين العمل الرياضي والكفاءة الجسمية ،ويتوافر معه عنصرا السلامة والأمان في نفس الوقت ، وتتأكد فيه المتعة النفسية ، واللياقة البدنية ، وهما - في أيامنا الراهنة - من الأهداف السامية والمطالب الغالية

من البداية أحب أن أؤكد أن هذه الأسطر لا ترمي بحال من الأحوال إلى التخويف من الرياضة ، أو إلى التهوين من شأنها ، وإنما تهدف إلى تذكير مرتاد الرياضة بوجوب الانتباه لامكاناته البدنية . ليقوم بعد ذلك بممارسة الرياضة التي تتناسب مع هذه الامكانيات ، بعيدا عن مؤثرات التقليد والدعاية ، وضغوط المؤسسات والأندية وقد أصبح معروفا في الأوساط الطبية اليوم أن الآثار السلبية للمزاولة الرياضة غير المراقبة وغير الموجهة تكاد تمس كل عضو من أعضاء الجسم ، وتترك بصماتها على كل جهاز من أجهزته

القلب والرياضة

إن الدراسات التي تبين أهمية الرياضة المنتظمة للحماية من مرض تصلب شرايين القلب والوقاية من ذلك ، ومن الأزمات القلبية كثيرة لكن هذه الرياضة قد تكون سلاحا ذا حدين . لا سيما بالنسبة للأشخاص الذين يعانون من ضيق في شرايين القلب ، والاستعداد للاصابة بالذبحة الصدرية



[illegible] دون مقدمات ؟

١٩٨٦) ذلك أن ممارسة [illegible] سريعة [illegible] القلب [illegible] وزيادة شديدة [illegible] ضغط الشرايين . [illegible] حاجة القلب إلى الأوكسجين الذي يحمله الدم إلى القلب . [illegible] تكون شرايين القلب سليمة ، فإنها تستطيع بسهولة ودون مشكلة تلبية حاجة القلب المتزايدة من الأوكسجين والدم . لكن المشكلة تتواجد بشكل حاد حينما عندما تكون هذه الشرايين مريضة ضيقة متصلبة ذات قدرة محدودة على توصيل الدم إلى القلب ، عاجزة عن تلبية حاجته المتزايدة من هذا الغذاء الحيوي . عندها يعاني القلب من أعراض نقص التروية التي تظهر باضطراب نظام دقاته أو بالذبحة الصدرية التي قد تؤدي إلى الموت الفجائي .

ولقد بينت إحدى الاحصائيات أن معدل الموت الفجائي بين ممارسي رياضة الجري كان في حدود شخص واحد تقريبا لكل ثمانية آلاف شخص سنويا ، وأن هذا المعدل الذي يتجاوز سبعة أضعاف معدل الموت في الحياة العادية يكشف خطر الرياضة [illegible] في المصابين بتصلب شديد في شرايين القلب ، [illegible] أحد أسباب [illegible] هذا النوع من الرياضة .

[illegible] في هذه الحقيقة حقيقة أخرى ، لا تقل عن سابقتها أهمية ، وهي أن خطر الإصابة بأزمة القلب أو الموت الفجائي لا يقتصر على الأشخاص المشار إليهم آنفا ، وإنما يتعداهم إلى الرياضيين الأصحاء كاملي اللياقة الذين ما زالوا في عنفوان الشباب . وقد تبين من الاستقصاء التشريحي لوفيات عديدة بينهم أن أغلبها قد نجم عن آفات عضوية في القلب ، لم يكشف عنها مسبقا ، ومن هذه الآفات اعتلال القلب الضخامي (Hypertophic) مثلا أو شذوذات خلقية في شرايين القلب ، أو ضيق في إحدى صماماته ، أو تمزق شريان الأبهر (Aorta-) بسبب الأمراض الوراثية كمرض مارفان على سبيل المثال ، ومن المؤسف أنه من الصعوبة بمكان التوصل إلى تشخيص بعض هذه الأمراض قبل حدوث الوفاة .

ونقطة أخيرة في العلاقة بين القلب والرياضة ، هي أن الممارسة الرياضية المنتظمة التي قد تستمر سنوات طوالا لا تحمل في حد ذاتها تأميناً مؤكدا ضد الاصابة بمرض تصلب الشرايين ، ويجب ألا تعطي للشخص شعورا بالحصانة يجعله يستهين ببعض الاشارات والعلاقات التي قد تدل على نقص التروية القلبية ، لا سيما حين يكون هذا الشخص فوق الثلاثين من العمر ، أو حين يكون من المدخنين ، أو حين يكون مصابا بمرض البول السكري أو ارتفاع الضغط الشرياني ، وأمثال هؤلاء ينصحون بإجراء ما يسمى « اختبار الجهد » (stress - Test) تحت إشراف طبي ، يمكن عن طريقه تقييم كفاءة الشخص البدنية ، وقدرته على تحمل درجات متفاوتة من الاجهاد ، وكشف العلامات المبكرة للاصابة بتصلب الشرايين ، ثم وصف النظام الرياضي الملائم ، واتخاذ الاجراءات العلاجية المناسبة .

ماذا عن الرئة والرياضة ؟

تؤدي الرياضة عند بعض المصابين بالربو إلى إثارة أزمة الربو المعروفة أو إلى التشنج القصبي الذي يظهر غالبا بنوبات من السعال ، وضيق في التنفس المصاحب للوزيز وقد يحدث للأشخاص الذين لم يسبق أن أصيبوا بالربو ، ويبدو أن هذا التشنج القصبي ينجم عن البرد الذي يصيب الجهاز التنفسي أثناء الرياضة ، وبخاصة إذا تمت في طقس بارد أو شديد الجفاف ، ويسهل تشخيص أعراض التشنج القصبي إذا قام الطبيب بفحص المريض أثناء الرياضة أو بعدها بإجراء اختبارات لوظائف الرئة تالية للجهد .

ولمحاولة الحد أو التقليل من أزمات ضيق التنفس المصاحبة للرياضة يمكن أن ينصح المريض باستخدام كمامة (Mask) مناسبة ، يضعها على أنفه وفمه أثناء ممارسة الرياضة في جو بارد ، وبالعمل على ممارسة الرياضة بشكل يسمح بالراحة فترة قصيرة تتكرر خلال النشاط الرياضي ، وتجنب أنواع الرياضة التي قد تثير أزمات الربو ، واختيار رياضات ليس لها تأثيرات مزعجة ، وربما كان أفضلها على الاطلاق السباحة . وفي حال فشل الاجراءات الوقائية سابقة الذكر يمكن الاستعانة ببعض الأدوية المضادة للتشنج القصبي قبل بدء الرياضة وتحت إشراف طبي .

حساسية ضد الرياضة

كما أن هناك تحسسا من بعض أنواع الأغذية والأدوية والمواد والأبخرة ، فإن لدينا اليوم تحسسا من نوع آخر ، وهو التحسس من التعب والاعياء اللذين يصاحبان الألعاب الرياضية المجهدة . وعلى الرغم من قلة هذا النوع من التحسس إلا أنه موجود مشاهد ، ويظهر غالبا بإحساس المصاب بتعب تعقبه حكة تشمل الجسم كله ، يرافقها ظهور شرَى (ARTICARIA) مشابه لحالات الشَرَى التي تحدث بعد تناول بعض الأطعمة أو الأدوية التي تكون أجسام بعضنا متحسسة منها ، إلا أن هذه الحساسية الخاصة تحدث غالبا بعد فترة قصيرة من ممارسة الرياضة ، وتستمر فترة تتراوح بين نصف ساعة وعدة ساعات ، وقد يرافقها أحيانا الصداع والغثيان والقيء وألم البطن ، وقد لوحظ أن هذا النوع من الحساسية يحدث خاصة حينما يكون الطقس حارا ، وعلى الرغم من أن آلية هذا النوع من الحساسية ما تزال غير مفهومة تماما ، إلا أنه يعتقد أنها تحدث بآلية مشابهة لآلية الحساسيات الأخرى ،

الرياضة والمرأة

على الرغم من شيوع الرياضة بين كثير من النساء في العصر الحاضر سعيا وراء المحافظة على أجسام أكثر رشاقة وتناسقا ، إلا أن آنساتنا وسيداتنا العزيزات مدعوات إلى الرفق والحكمة في ممارسة الرياضة،لاسيما المجتهدات منهن فهن مطالبات بعدم الإفراط فيما شأنه أن يؤذي بنيتهن اللطيفة ، فهنالك

حالات من اضطراب الدورة الشهرية (الطمث) ناجمة عن كثرة ممارسة الرياضة ، لا سيما الرياضة التنافسية ، وهذه الاضطرابات تتجلى بتأخر البلوغ أو انقطاع الطمث ، وعلى الرغم من أن الأعراض السابقة قد تنجم عن الافراط في الرياضة إلا أن الفحص الدقيق للكشف عن أسباب أخرى قد يكون أمرا بالغ الأهمية ، وفي سياق الحديث عن الرياضة والمرأة أود أن أشير إلى أهمية الرياضة المعتدلة المنتظمة - كالمشي مثلا - في الوقاية أو في التقليل من حدوث مرض تخلخل العظام (Osteoporosis) الذي يكثر بين النساء اللواتي تجاوزن سن اليأس واللواتي تخلو حياتهن اليومية من الممارسة الرياضية .

وللغدد مسألة أيضا

في مجال أمراض الغدد أود أن أشير بصورة خاصة إلى أثر الرياضة على مرضى البول السكري ، لا سيما بعد أن أصبحت معادلة الطاقة تخزينا وتصريفا واحدة من الخطط والمفاهيم المعتبرة في العلاج ، فنحن نعلم أن ممارسة الرياضة بشكل منتظم أمر مفيد مطلوب لكبح جماح هذا المرض ، وللمساعدة على تنظيم أفضل لمستوى السكر في الدم ، لكن علينا أن ننتبه إلى فئة المرضى الذين يعتمدون في علاجهم على حقن « الأنسولين » ، إضافة إلى الحمية الغذائية لضبط مستوى سكر الدم لديهم ، فهم يحتاجون إلى رياضة معينة ، تتناسب مع امتصاص الجسم « للأنسولين » ، إذ من المعروف أن الرياضة تعمل على زيادة معدل امتصاص « الأنسولين » ، مما يؤدي إلى تأثير أقوى له ، الأمر الذي يعرضهم إلى نوبات نقص سكر الدم ، وما ينجم عن ذلك من اختلاطات غير محمودة ، مما يوجب أخذ الاحتياطات اللازمة قبل ممارسة الرياضة ، ومن أهمها إنقاص جرعة « الأنسولين » المعتادة ، أو تناول القليل من المواد السكرية ، إضافة الى كمية الطعام المقررة .

من ناحية أخرى قد تسبب الرياضة اضطرابا واضحا في مستوى سكر الدم ، لا سيما إذا كانت السيطرة على المرض محدودة أو مفقودة ، إذ تؤدي الرياضة في مثل هذه الحالات إلى زيادة مفرطة في مستوى سكر الدم ، وحدوث الاحماض الدموي ، وظهور « الأسيتون » في البول ، وهي دلائل على اضطراب التفاعلات الحيوية في الجسم عامة .

مفاصلك وعضلاتك والرياضة

تتعدد إصابات العضلات والمفاصل ، وتتنوع باختلاف نوعية الرياضة التي تمارس واستمراريتها ، وتتفاوت خطورتها بين إصابات بسيطة كإجهاد العضلات أو الأوتار أو الأربطة المفصلية ، وبين إصابات أكثر خطورة كالكسور والنزيف وما إلى ذلك ، وقد تبين من الاحصاءات في هذا المضمار أن الركبتين والقدمين من أكثر أعضاء الجسم تعرضا للأذى ، كما أنها تكون أكثر حدوثا حينما يتجاوز معدل السير أو الجري ثلاثين ميلا خلال أسبوع ، كما أن هذه الاحصاءات لم تشر إلى فرق كبير في احتمال التعرض لتآكل المفاصل المبكر بين الأشخاص الذين يمارسون رياضة الجري بشكل منتظم ومعتدل ، وبين الذين لا يمارسون هذا النوع من الرياضة على الاطلاق .

وقفة عند الجهاز البولي والرياضة

من المعروف أن الإجهاد العضلي وبخاصة عند عدائي المسافات الطويلة يؤدي إلى ظهور الدم والبروتين في البول ، وهذه الموجودات البولية ليس لها أهمية كبيرة من الناحية السريرية ، لكن هناك حالات من القصور الكلوي الحاد لوحظ ظهورها بعد أنواع من الرياضة العنيفة ، وبخاصة إذا مورست في الطقس الحار ، بسبب التعرض لنقص سوائل عن طريق العرق الشديد ، ومثل هذه الحالات تفسر بحدوث انحلال في عضلات الجسم ، وترسب مخلفات هذا الانحلال العضلي في الكليتين ،

مما يؤدي إلى توقفه المؤقت عن العمل ، إلا أنه ينبغي التأكيد على أن ظهور الدم في بول الرياضي قبل البدء في الرياضة يجب أن يكون داعيا إلى إجراء المزيد من الفحص والاستقصاءات ، سواء بالمواد الظليلة أو بالتنظير المثاني إذا رأى الطبيب ذلك ضروريا للتأكد من عدم وجود أسباب أخرى لوجود الدم في البول ، ففي حالة معينة نحتاج لعلاج محدد

الآثار الحرارية

لا يفوتنا ونحن نستعرض الآثار السلبية التي قد تسببها الممارسة غير الحكيمة للرياضة أن نذكر ما يكثر حدوثه منها في المناطق الحارة من اقطارنا العربية ، وأعني بها الآثار الناجمة عن ارتفاع درجة حرارة الجسم ، وتشمل هذه الآثار الاجهاد الحراري ، والمغص العضلي ، وضربة الحرارة .

فمن الناحية الفسيولوجية يترافق الاجهاد او العمل العضلي غالبا مع تولد الحرارة ، ومن الناحية الآلية فإن هذه الحرارة المتولدة تنجم عن تحول الطاقة الكامنة في المركبات الكيميائية في أجسامنا إلى طاقة « ميكانيكية » ، تستخدم في تحريك العضلات والمفاصل ، ولكي يتم التوازن الحراري لا بد للجسم من وسيلة للتخلص من هذه الحرارة المتولدة الزائدة ، ولهذا الغرض زود الخالق أجسامنا بوسائل مختلفة للتخلص من هذه الزيادة المؤذية ، ومن هذه الوسائل التعرق والشعيرات الدموية المنتشرة في جلدنا ، والهواء الحار الذي ننفثه بسرعة من الأعماق أثناء الجهد العضلي (اللهاث) ، وحينما تفشل هذه الوسائل في أداء مهمتها أو تتعب تتراكم هذه الحرارة داخل أجسامنا ، مؤدية إلى أعراض الاجهاد الحراري وضربة الحرارة ، أما الاجهاد الحراري فيظهر بالتعب والصداع والغثيان الذي يحدث غالبا بعد ممارسة الرياضة في جو حار ، لا سيما اذا تعرض الجسم لتعرق شديد ، كما هو متوقع في مثل هذه الظروف وحين يستمر الاجهاد العضلي فإنه يصل بالانسان إلى ما يسمى « بضربة الحرارة » ، وهي حالة صحية طارئة قد تهدد الحياة ، وتنذر بالموت ، وتتميز بارتفاع شديد في درجة الحرارة ، واضطراب في الوعي ، مع آثار سلبية على القلب والكبد والكلى ، وفي هذه الحالة لا بد من التدخل الطبي السريع ، والمعالجة الاسعافية المركزة ، بتعويض السوائل المفقودة ، وتبريد الجسم بمختلف الوسائل المتاحة

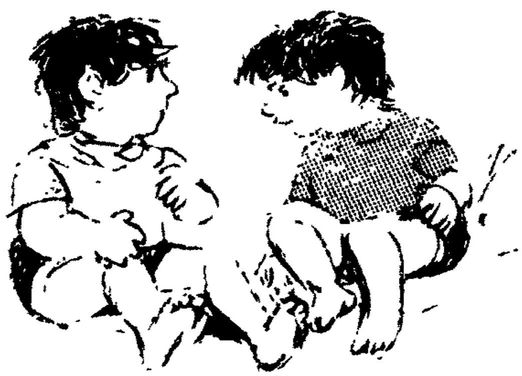
أما المغص العضلي فيقصد به تقلص العضلات المؤلم الذي يحدث احيانا في أشهر الصيف المعروفة بحرارتها الشديدة التي تؤدي إلى زيادة التعرق وفقدان صوديوم الجسم بسببه ، مع عدم الانتباه إلى وجوب تعويضه بإضافة الملح إلى الطعام ، وإلى ضرورة تناول السوائل الكافية جميع هذه الآثار الحرارية يمكن تفاديها والوقاية من مصارها باستخدام الملابس الخفيفة صيفا ، وتجنب الرياضة وبخاصة ذات الزمن الطويل منها في الطقس الحار ، مع تناول كميات كافية من الماء والسوائل الأخرى ، وتعويض الصوديوم المفقود بالتعرق عن طريق تناول كميات إضافية من ملح الطعام

بلا إفراط

في الأسطر السابقة حاولت عرض بعض الآثار السلبية التي قد تكتنف الممارسة غير الحكيمة للرياضة ، وذلك في حالتي الصحة والمرض ، ولم يكن قصدي بحال من الأحوال أن أقلل من أهمية الرياضة ، أو أن أثبط الهمم عن ممارستها ، وإنما قصدت إلى التنبيه إلى بعض السلبيات التي قد يفوتنا تقديرها ، والتي قد تأتي بغير المطلوب ، ولعل في الأفكار السابقة ما يدعو إلى ممارسة أكثر عقلانية للرياضة ، تتناسب مع قدرات أجسامنا وإمكاناتها ، وتجعلنا نستمتع برياضة خالية من المخاطر ، بعيدة عن الافراط والتفريط □

لغة أطفالنا

هل نعرف حروفها؟



إعداد : الدكتور سامي عزيز

« يستخدم أطفالنا قبل النطق لغة الاشارة أداة للاتصال والتعبير ، والمدهش أن هذه اللغة واحدة لكل الأطفال في المجتمعات المختلفة . وفي دراسة جديدة اكتشف العلماء أن توجهات أبنائنا ومشاعرهم وسماتهم النفسية تتضح من خلال هذه الإشارات التي يعبرون بها عن أنفسهم » .

يواجه العالم الفرنسي هبرت مونتاجنر المتخصص في دراسة سلوكيات الحيوان حاليا تحديا جديدا ، فلقد طلبت منه جامعة « لسانكون » التي تقع على حدود سويسرا أمرا غير متوقع ، فعلماء الطب النفسي بالجامعة الدين أعجبوا بدراساته في سلوكيات الحيوان والحشرات طلبوا منه الانضمام لهم لدراسة سلوكيات الأطفال ، ولابد من قبول التحدي

تقول النتائج الأولية التي توصل إليها مونتاجنر بعد عمل شاق استمر عدة شهور ، وبعد أكثر من ٣٢٠ كيلو متراً من الأفلام التي سجلتها عدساته ، إن دراسة سلوكيات الأطفال علم جديد ، سيجد طريقه لجامعات العالم خلال السنوات القليلة القادمة

هل طفلك طفل اجتماعي ؟ وهل طفلك يصلح لأن يكون قائدا في المستقبل ؟

أسئلة كثيرة أجابت عنها دراسة مونتاجنر ، إلا أن كثيراً من علامات الاستفهام مازالت محل بحث ودراسة

لم يسبق لها مثيل :

يقول مونتاجنر معلقا على هذه الدراسة : « لقد استطعت من خلال خبرتي الطويلة في علم سلوكيات الحيوان أن أبدأ في تحليل لغة الأطفال غير المنظومة ودراستها ، فحتى بعد أن يعرفوا كيفية التحدث ببعض الكلمات المفهومة ، فإنهم يستمرون باستخدام هذه اللغة ـ أقصد لغة الاشارة والحركات ـ

مما يؤكد على وظيفتها في الاتصال » . ويستكمل حديثه قائلا : « بعد دراسة ١٥٠٠ طفل أعمارهم ما بين ستة أشهر وست سنوات يمكنني أن أقول إن تصرفات الأطفال وحركاتهم تنقسم إلى عدد من المجموعات . وسنرى معاً أهمية هذا التقسيم في فهم الخصائص التي ترمي إليها كل مجموعة .

حركات طفلك . . من أي نوع ؟

لقد أمكن تقسيم حركات الأطفال ـ بعد العديد من الدراسات التي قام بها مونتاجنر ـ إلى خمس مجموعات متميزة :

١ ـ حركات تنم عن الحب والحنان ، وتزيد العلاقة مع الأطفال الآخرين ، مثل إعطاء لعبته أو الحلوى التي يأكل منها لطفل آخر ، أو المسح باليد على وجهه ، أو الاكتفاء بالابتسام له ، أو التصفيق باليدين ، أو مد اليد إليه كأنه يشحذ منه ؟ أو مسك ذقنه بحنان .

٢ ـ حركات تظهر التهديد والوعيد ، مثل التكشير ، وإطباق الأسنان ، وفتح الفم ، والإشارة بالسبابة إلى الطفل الآخر ، أو الضغط على قبضة اليد ، أو رفع ذراع واحدة إلى أعلى ، أو مد الجذع للأمام .

٣ ـ حركات عدوانية ، مثل : القرص والضرب والعض وجذب الشعر والملابس وهز الطفل بعنف ، أو محاولة دفعه للأرض ، أو خطف لعبة الطفل الآخر الممسك بها .

٤ ـ حركات تنم عن الخوف ، مثل إخفاء الوجه بين الذراعين والنظر لأسفل ، أو الحركة للخلف ، أو الهروب بعيدا ، أو الصراخ

٥ ـ حركات تنم عن الشعور بالوحدة ، مثل : مص أصابع اليد وجذب الطفل لأذنه ، أو مصه للعبته ، أو الوقوف بعيدا عن باقي الأطفال ، أو الجلوس بمفرده على الأرض ، أو النوم على الأرض في وضع يشبه وضع الجنين في بطن أمه ، أو البكاء منفردا .

لغة عالميـــة :

تشير ملاحظات « مونتاجنر » إلى أن بعض الأطفال يميلون إلى استخدام بعض الحركات التي تنتمي لمجموعة معينة من المجموعات التي تعرضنا لها بصورة أكثر من غيرهم . فالملاحظ أن هناك نسبة غير قليلة من الأطفال تستخدم الحركات التي تنم عن العنف بصورة أكثر في سن مبكرة ـ قبل إتمامهم العام الثاني ـ في حين أن هناك نسبة أخرى من الأطفال تميل معظم حركاتهم إلى الود والحب والصفاء ، ولا يعرفون شيئا عن العنف أو الوعيد والتهديد . إلا أن هذه التصرفات جميعها غير متعمدة ، أو غير مقصودة ، وهي غالبا ما تتزايد مع نمو الأطفال ، وانتقالهم إلى مراحل العمر المختلفة ، لتصبح طريقتهم الثابتة في تصرفاتهم مع الآخرين .

يؤكد « مونتاجنر » أن حركات الأطفال الذين كانوا مجال دراسته في فرنسا وسويسرا وبعض مناطق أفريقيا تكاد تطابق حركات الأطفال الذين سبقت دراستهم في الولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا . لقد اشترك العديد من العلماء في هذا المجال ، أمثال بلورتن جون ، وماك جرو ، وديفيد لويس ، وغيرهم ، وجميعهم يؤكدون تطابق هذه اللغة غير المنطوقة على الرغم من اختلاف العوامل البيئية والجغرافية والاجتماعية .

للحب لغة خاصة :

هل يردد طفلك لغة الحب ؟

يقول « مونتاجنر » : إن الطفل قبل دخوله المدرسة يعرف هذه اللغة ، وبعض الأطفال يظهرونها بصورة واضحة في تصرفاتهم مع الأطفال المحيطين بهم . فالطفل عندما يميل برأسه على كتفه مبتسما أو يلوح بيده في ود وعطف ناحية الطفل الآخر

الذي يقابله لأول مرة غالبا ما تبدأ علامات الحب والتآلف بين هذين الطفلين في ثوان معدودة في ٨٠٪ من الحالات ، بل في بعض الأحيان قد يذوبان حبا ويبدأ كل منهما في تبادل الهدايا مع الآخر ، وقد تندهش حقاً حينما ترى طفلك يقدم عن طيب خاطر أعز لعبة لا يطيق أن يلمسها أحد غيره إلى صاحبه الجديد مبتسما راضيا ، كأنه يريد أن يقول له : انظر كم أنا أحبك .

للحب قوة لا شك في ذلك حتى بين أطفالنا .

وهذه القوة تأتي من حركات متتابعة متسلسلة من الطرفين ، وحتى تتضح الأمور قام مونتاجنر بتصوير العديد من هذه اللقاءات ، حتى يمكن دراستها والتعليق عليها .

في أحد هذه الأفلام طفلة صغيرة ، لم تتجاوز عامها الثاني ، تتقدم بين طفلين ، وأثناء تقدمها تميل برأسها قليلا نحو كتفها الأيسر ، وينم وجهها عن ابتسامة وفرح ، وفي نفس الوقت نجد الطفل الآخر يبتسم لها ، بينما يندفع الطفل الآخر فيمسك بلعبته الوحيدة كما يقول مونتاجنر ويقدمها لها .

لكن هل يستخدم الطفل هذه اللغة مع أمه ؟

الواقع أن الأطفال غالبا ما يلجأون إلى هذه الحركات عندما يودون شيئا معينا ، فهم يريدونه بالود والحب ، لا بالعنف ، لكن إن فشل الحب فالعنف قد يصلح .

ويقول مونتاجنر : أنت أيضا تعرفين هذه اللغة !! فقد استخدمتيها وأنت صغيرة ، لكنك مازلت تستخدمينها دون أن تدري . هل حاولت مرة أن تسكتي طفلك عندما يبكي لأي سبب من الأسباب بالابتسام له ومد اليد إليه بلطف وحنان أو ضمه إلى صدرك ؟

بعض الأمهات في الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا يستخدمن هذه الطريقة ،وهي طريقة ناجحة لإسكات ثورة الطفل دون شك .

لكننا قد نلجأ إلى استخدام هذه اللغة مع زملائنا ، فإنها المفتاح لقلوبهم ، لجذبهم ونيل عطفهم وتأييدهم .

هل تمعن النظر في إعلانات التلفاز ؟ لقد تم إخراج هذه الإعلانات على هذا الأساس لغة منطوقة ، ولغة أخرى غير منطوقة ، ولكل لغة هدف ، والإعلان الجيد المؤثر يحتاج إلى اللغتين معا ، لا إلى اللغة المنطوقة وحدها . لكن على الرغم من قوة هذه اللغة لا يعرفها بعض الأطفال إطلاقاً ، أقصد لغة الحب . وماداموا لا يقدمون الحب ، فلا يمكن أن ينالوا عطف الآخرين ، وهكذا يصبحون دون أصدقاء أو أحباب .

هل يصلح طفلك لأن يكون قائداً ؟

يقول مونتاجنر قائلا : « يمكن التنبؤ بتصرفات أطفالنا في المستقبل ، إذ أن ما يقومون به من حركات في الثلاث سنوات الأولى يكشف العديد من خفايا المستقبل » .

هل يستخدم طفلك لغة الحب مع الآخرين ؟

هل يؤثر طفلك في الأطفال المحيطين به ؟

هل يلعب معهم في ود وحب وهم يحبونه أيضا ؟

هل طفلك لا يميل إلى العنف مع الآخرين ؟

هل يقدم لعبته للأطفال الآخرين عن طيب خاطر ؟

الإجابة بنعم عن هذه الأسئلة تعني أشياء مهمة ، تعني أولا أن طفلك طفل سويّ ، وأنه طفل محبوب ، وأنه طفل ناجح اجتماعيا ، وأنه يصلح لأن يكون قائدا في المستقبل .

أما الطفل العدواني ، الغضوب ، الدائم الشجار مع الآخرين الذي لا يعرف الود أو العطف فلن يحبه أحد من الأطفال ، ولن يؤثر في المحيطين فيه ، وبالتالي فهو لا يصلح لقيادة أحد .

والأطفال الذين يصلحون للقيادة غالبا ما يرددون لغة واحدة ، فهم لا يخلطون بين حركات الحب

والعنف كما يظهر من بعض الأطفال في تصرفاتهم ، فالطفل الذي يمسك بيده إحدى لعبه ، ويقدمها لزميله ، بينما يجذب شعره باليد الأخرى بعد ثوان ـ أي أنه يجمع بين حركات مجموعتين مختلفتين ـ هو طفل عدواني أيضا ، لا يعرف لغة الحب ، وهذا المزج بين الحركات لن يجعله مقبولا من الأطفال الآخرين وعندما تابع « مونتاجنر » هذه المجموعة من الأطفال التي تخلط وتمزج بين حركات أكثر من مجموعة وجدها أنها تفتقد مع الوقت حب الطفل الآخر ووده ، بل في بعض الأحيان وجد « مونتاجنر » أن الطفل الآخر قد صرخ وجرى باكيا بعيدا عن هذا الطفل على الرغم من أن البداية كانت غير ذلك

للآباء والأمهات دور !

ماهو السبب في تباين هذه التصرفات بين أطفالنا ؟

هل هي العوامل الوراثية ؟

هل هي البيئة ؟ هل للمحيطين بهم دور ؟

ما أثر العلاقة بين الأم وطفلها في نشأة هذه التصرفات وتغيرها ؟

يعتقد « مونتاجنر » أن العوامل الوراثية ليست ذات أي أهمية في تشكيل تصرفات اطفالنا ، لكن هذه التصرفات ترجع بنسبة قد تصل إلى ٨٥٪ إلى تصرفاتنا نحن الآباء والأمهات مع أطفالنا ، وبخاصة علاقة الأم بطفلها ، فإنها وحدها العامل المؤثر ذو القيمة الملحوظة في نشأة تصرفات معينة دون غيرها . ويقول مونتاجنر مؤكدا على ذلك : « لقد لاحظت أن الأطفال الذين يتمتعون بروح قيادية هم في معظم الحالات أطفال من أسرة متفاهمة ، تسودها روح الحب ، تقوم الأم دائما بمخاطبة طفلها والتحدث معه بلطف وحنان ، وهي في ذلك لا يهمها إن كان طفلها يفهم كلماتها أم لا ، فهي تستخدم كتفيها ووجهها وابتسامتها وصدرها وكل جسمها لتؤكد له شيئاً واحداً ، وهو أنها تحبه ، وأنها قريبة منه ، وأنها تفهمه ، وأنها تلبي طلباته . وهذه المشاعر المتبادلة المتصلة تؤثر في أطفالنا كثيرا ، حتى إن كانوا دون السنة الأولى من عمرهم » . ومن أحسن الأمثلة التي يسوقها لنا « مونتاجنر » تلك الأم التي تأخذ طفلها الذي بلغ من العمر سنة واحدة فتسأله بحب وعطف ماذا يريد أن يلعب ؟ هل يرغب في تسلق ظهرها ؟ هل تحكي له حكاية مثلما فعلت بالأمس ؟ إن هذه الأم التي لا تمل من محادثة طفلها على الرغم من صغر سنه ـ حسبما يعتقد بعضنا ـ تخلق بذلك جواً من التفاهم والود والثقة بينها وبين طفلها ، والأهم من ذلك أنها لا تقوم بأي عمل عدواني نحوه إن أخطأ ، بل تعرف كيف توجهه بحزم ، ولا تدلله إلى حد الانساب ، أي أن أهم عامل في هذه العلاقة أن تكون تصرفاتنا مع أطفالنا تسير في خط ثابت ، دون تناقص بين التدليل أحيانا والعنف أحيانا أخرى ، فهذه الوتيرة الثابتة هي أهم عامل يؤثر في تصرفات أطفالنا مع الآخرين

ما سبب التصرفات العدوانية التي يقوم بها أطفالنا ؟

يقول مونتاجنر . « ... الطفل العدواني : كيف تتعامل أمه معه ؟ هذا الطفل غالبا ما تكون أمه إما شديدة الغضب ، تعامله بشدة وقسوة ، أو أنها لينة لا تعيره أي اهتمام ، ولا تريد أن تدخل نفسها إلى عالمه الصغير » . وحتى تتضح الأمور لنا يعرض علينا مونتاجنر المثال التالي كدليل لكلامه

« ... في نهاية اليوم تأتي أم « نيكون » متعبة من العمل ، فتفتح باب حجرته ، وتنادي عليه . وعندما يراها الطفل يجري نحوها فرحا ويداه ممتدتان نحوها ، لكنها لا تعيره القدر الكافي من الاهتمام والرعاية والحنان ، فتلتفت إلى الخادمة لتسألها : هل مازال « نيكول » لا يسمع كلامها ؟ وهل ظهرت منه أي سلوكيات غير حميدة ؟ وهل مازال يضرب أخته الصغيرة ؟ وهل شرب اللبن اليوم ؟ وهكذا ، من هنا نلاحظ أن الطفل يتقدم بحب وثقة نحو أمه .

لكنه لا يجد منها أي تفاعل ، فماذا يفعل ؟؟ سنجده يقف بمفرده منطويا في أحد جوانب الحجرة . والأم لا يهمها ذلك . تصرخ فيه لكي يأتي لينام لأن الوقت متأخر ، لكنه لا يبالي بذلك ولا بصراخها ، فتنفعل الأم وتتقدم إليه بوجه غاضب يابس ، وتمسكه بعنف ، بل قد تضربه لأنه لا يسمع كلامها وقد تحكي عن تمرده لصديقاتها ووالده ، وتظهر تخوفها من تمرده الذي لا تعرف له سبباً »

هل يعبر طفلي من تصرفاته ؟

ترتبط تصرفات أطفالنا بحالة بيوتنا ، لذلك من الممكن أن تتغير تصرفات أطفالنا في العامين الأولين إذا ما تغيرت الأحوال المحيطة بهم . وخير مثال يورده « مونتاجنر » للتدليل على ذلك الطفل الصغير الذي لا يعرف العدوانية ، ويتمتع بسلوك ينم عن روح القيادة والحب لمن حوله من الأطفال ، وفجأة تتغير به الحال ، ويصبح عدواني السلوك . وقد ارتبط هذا التغير المفاجيء بولادة أخيه الصغير ، والأم أصبحت عصبية متوترة ليس لها صبر ولا احتمال بالمقارنة إلى معاملتها السابقة معه ، لكن عندما تتحسن أحوال الأم ، وتعود لطبيعتها الأولى مع طفلها يمكن لعدوانية هذا الطفل أن تتوقف ، ويعود مرة أخرى إلى سلوكياته الأولى

لكن يجب أن نذكر هنا أن الأطفال الذين يبلغون من العمر خمس سنوات أو أكثر لا يمكن أن تتغير سلوكياتهم ، فالتغيرات التي تحدث مبكراً في حياة أطفالنا هي وحدها التي تؤثر في سلوكياتهم ، أما أي تغير فيها بعد فلن يغير شيئاً .

ويضيف « مونتاجنر » إلى ذلك : « الطفل الذي عرف بسلوكه العدواني في سن سنتين وثلاث سنوات يستمر كذلك حتى سن القيادي يزيد حب الجميع له . أما الطفل الانطوائي الجبان فربما تتغير أموره ويصبح طبيعيا من هذه الجهة . . ربما لأن أمه تغيرت هي أيضا ولم تعد تقلق عليه بهذه الصورة الجنونية .

طفلك ولغة الكيمياء

لما كان « مونتاجنر » عالما من علماء سلوكيات الحيوان والحشرات كما سبق أن ذكرنا ، وهذه الحيوانات تتعامل بعضها ببعض بلغة كيميائية خاصة بدأ من هذه النقطة أبحاثه . فهل توصل إلى شيء يستحق القيمة ؟

إحدى التجارب الرائدة التي قام بها منذ سنوات قليلة في هذا المجال كان من شأنها أن تغير كثيراً من مفاهيمنا القديمة في علم البيولوجيا ، وتوصلنا إلى معرفة قدرة الطفل الذي لم يبلغ عمره سنتين في تمييز ملابس أمه من رائحتها فبعد عرض مجموعة متشابهة من الملابس على مجموعة من الأطفال استطاع ٩٥٪ منهم تمييز ملابس أمهاتهم من رائحتها ، وأخذوا يضعونها على وجوههم ، وبعضهم حاول ضمها إلى صدره أو تغطية جسمه بها أو وضع طرفها في فمه ، وقد شغلوا تماما بهذه الملابس ، بل إن تصرفاتهم تغيرت عدة ساعات بعد هذه التجربة .

والواقع أن هذه التجربة فتحت المجال للعديد من التجارب التي تبحث في نفس المجال ، وقد تبين فيها بعد أن الأمهات أيضا لديهن القدرة على تمييز ملابس أطفالهن عن طريق الرائحة . ويرى مونتاجنر أن لغة الكيمياء هي أول اللغات التي تتبادلها الأم وطفلها في الشهور الأولى بعد الولادة

لكن ماهو الهدف من وراء هذه الأبحاث ؟ وكيف نستفيد من هذه النتائج في رعاية أطفالنا وتربيتهم ؟

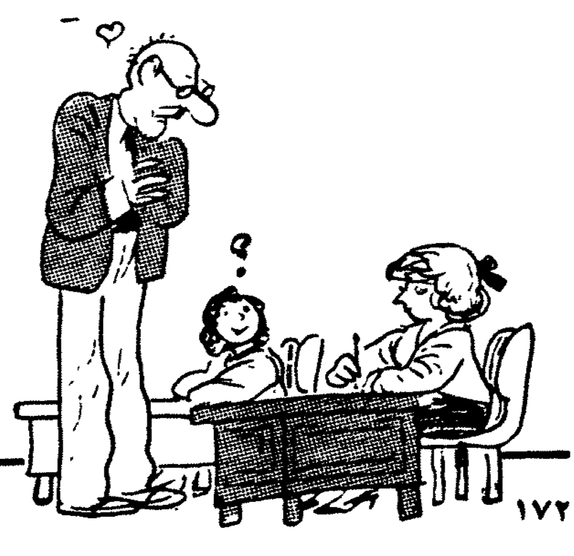
يقول مونتاجنر : إننا في طريقنا الآن إلى إعداد قائمة طويلة بالتغيرات التي قد تظهر على أطفالنا في مراحل نموهم المختلفة ، وهذه التغيرات لها دلالات مهمة ، وهي دون شك ستسمح لنا أن نفهم أطفالنا أكثر وأكثر ، وأن نقترب منهم ، ونزيل أي حاجز قد ينشأ بيننا وبينهم . عزيزتي الأم ، طفلك يردد اللغة التي تعلمها منك . فأي لغة تلقنينه ؟ □

هو.. هي

أبي

● تحيرني غيرة الأزواج ، وأعترف بأنني لا أفهمها ، وأرى أنها تفتقد المنطق والعقل .

أعمل في إدارة حسابية من إدارات الحكومة ، وفي مكتب واحد يضمني مع زملاء عمل من الجنسين ، يرأسنا زميل هو أكبرنا سنا ، وأقدمنا عملا ، ولأن عملي يرتبط به بصورة مباشرة أتلقى منه تكليفات ، وأعرض عليه ما أنجز ، وقد نشأ بيننا تواصل وحديث ، وفي البداية كثيرا ما كان يحكي لي عن بناته وأطفالهن ، وأحكى له عن أطفالي الذين لم يكبروا ، ويتسع الحديث بيننا مع الوقت ، ودعوته يوما لزيارتنا ، ورددنا له الزيارة يوما ، وترابطت العلاقة بيننا . وأعترف أن نظراته في البداية كان بها شيء غير مريح ، وبطيش مني في أول عمله معنا ثرثرت لزميلات عمل ولزوجي ، وانطلقت ضحكاتنا ونحن نرصد سلوك الزملاء المتصابين الذين يعملون معنا .



والمهم في ذات يوم أصابتني وعكة الزمتني البيت ، وسأل عني زميلنا هذا في البيت أكثر من مرة ، وعندما عدت للعمل أعطاني بعض الكتب ، وقال لي إنه من المهم أن أقرأ ، وأن أطور نفسي ، ولأنني كنت أرى فيه حنان الأب وصدقه فقد كنت أحكي لزميلاتي ، وأصحح لهن عدم فهمي له في البداية ، إلا أن زميلاتي الخبيثات أصررن أن نظراته الي ليس بها أي قدر من الأبوة ، ولا أي جانب من الحنان ، وذات مساء زارتني بعض زميلاتي في البيت ، ودار الحديث ، وغمزت إحداهن الرجل في غيبته أمام زوجي ، وبعد انصرافهن انفجر زوجي غضبا ، وانطلق يتحدث عن حدود علاقتي بالزملاء ومداها ، وعندما صرخت في وجهه قائلة إنه في سن أبي ازداد هياجه ، ولم يترك شيئا رقيقا في الرجل إلا سخر منه ، وأخذ يحكي لي عن كبار السن الذين تعتريهم المراهقة وتفتنهم النساء الصغيرات ، وأنهم يقعون في الحب أسرع من إصابتهم بالانفلونزا ، وأنني برقتي وأدبي وحسن معاملتي للرجل أوسع له هوة لكي يقع فيها . ويضيف زوجي بغضب قائلا : عندما يقع لن يقع وحده ، لكنه سوف يجذبني معه بتصابيه ومراهقته ، ومهما حاول أن يغطي نفسه بقناع من الأبوة والحنان فمصير هذه الحالة المرضية الى افتضاح ، وحينذاك سيصبح الأمر في درجة من الخطورة بحيث لا يمكن تداركه .

هي..

دفاعٌ عنها



غريب أمر النساء ، يسعد الواحدة منهن أن تسمع أنها جميلة ، حتى لو قال لها ذلك رجل أعمى ، وزوجتي واحدة من النساء ، بل لعلها تفتقر الى كثير من حنكتهن ودهائهن ، فقد خطبتها وهي لم تزل في الجامعة ، وتزوجنا فور انتهاء دراستها ، وعلى الرغم من يقيني أن دهاء المرأة يولد معها إلا أن زوجتي كان حظها من الدهاء ـ على ما يبدو ـ قليلا رئيسها في العمل رجل تجاوز الخمسين ، ملامح وجهه التي يحاول أن يكسبها الطيبة تخفي لؤما وماضيا عريقا ، يجيد فن التسلل الهادىء الى نفوس الآخرين ولأن زوجتي عديمة الخبرة في الحياة فقد وقعت في شراك أبوته الزائفة وعندما قالت لي يوما قبل أن أراه إنه يغمرها بحنان لا يوصف ، وكثيرا ما يربت على كتفها إعجابا بعمل أنجزته سألتها وهل هذا التصرف العفوي يؤديه وزملاؤه في الغرفة ؟! قالت لي إنه لا يفعله إلا عندما يخلو المكتب لسبب أو لآخر من الزملاء ، وهنا قلت لها ألا تفكرين في أن هذا السلوك سلوك مريب ، وأن قصة حنانه وأبوته ما هما إلا ادعاء ، يخفي به تصابيه ومراهقته وتوهجه ؟ ووعدتني يومئذ بأنها ستطلب منه أن يكف عن هذا السلوك ، لكنها لا تستطيع أن ترفض هذه المشاعر الحانية التي يغمرها بها ، فهو يذكرها بأبيها . قلت لها : افهمي ، إنه رجل في المبدأ والمنتهى ، وهو في خريف العمر ، وجمالك وشبابك يفتحان له أبواب الأحلام بالعودة الى العمر الذي مضى ، ومهما كانت ثقتي بك ويقيني بأنك لن تسمحي له أن يتجاوز حدوده إلا أن حركاته ونظراته وحديثه عنك مفضوح أمام كل الناس ، وإلا ما كانت زميلاتك يتغامزن عليه ، وهذا الأمر يسيء اليك قبل أن يسيء اليه ، فهو حالة مرضية معروفة ، وما أكثر الرجال المتصابين ، وما أكثر مراهقة الرجال الناضجين ، مهما كان وضعهم الاجتماعي ، ونضجهم ، ورجاحة عقلهم ، والأمر بهذا النحو سيسيء إليك ، وخوفي عليك يلزمني أن أطلب منك أن تحجّمي العلاقة ، ولا تفرطي في حسن الظن ، فكلما أمعنت في حسن المعاملة أمعن هو في التدله ، وقديما قالوا الصب تفضحه عيونه . صرخت في وجهي قائلة أتغير من رجل في سن أبيك ؟ وأقسمت لها أنها ليست غيرة ، لكن ذلك دفاع عنها ، ولم تصدق .

هو..



طبيب الأسرة

قضايا تربوية

الطفل الأعسر

بقلم : الدكتور حسن فريد أبوغزالة

الأعسر هو من يميل إلى استعمال اليد اليسرى ، وقد يسمونه « الأشول » ، وعلى نقيضه الايمن ، وهو الذي يمثل غالبية البشر بنسبة تصل إلى ٩٠/ أو أكثر

أما من هو قادر على استعمال يديه الاثنتين فدعونه « الاردل » ، وهذا يمثل القلة النادرة من الناس

ومن غريب الأمر ان الأصل في الحيوان أن يكون أردلا ، اذ قلما نجد حيوانا يميز بين استعمال طرفه الأيمن أو طرفه الأيسر ، بل هما عند الحيوان سواء بسواء ، لقد تملكت اغلب الناس القناعة منذ قديم الزمان أن اليد اليمنى تمثل نوازع الخير ، بينما تمثل اليد اليسرى الأفعال الدنيئة التي ترتبط بالشر والعيب والشيطان ، لهذا كانت التحية باليد اليسرى عيبا لاتقبله التقاليد ولا القيم ، كما أن الأكل باليد اليمنى لا اليسرى ، أما الاستنجاء ـ على سبيل المثال ـ فباليد اليسرى

من هنا نجد الآباء والمربين يرحرون كل طفل يستعمل يده اليسرى ، سواء حدث هذا عن طريق الخطأ أو لسبب عضوي في جسم الطفل ، بحجة التربية والتعليم على قواعد الحياة السليمة

لاننكر سيادة اليد اليمنى عند الانسان ، بدليل ما كشفت عنه الحفريات من أدوات واسلحة صنعها القدامى لتناسب استعمال اليد اليمنى فقط ، وبدليل بقايا هياكل الحيوانات التي اصطادها ذلك الانسان الأول ، والتي تشير إلى إصابة الناحية اليسرى من جماجمها أو ابدانها ، دليلا على استعمال الصياد القديم ليده اليمنى

لقد ذهب كثير من المجتهدين في تفسير هذه الظاهرة ، وسلكوا دروبا عديدة ، فمنهم من قال إن جسم الانسان غير متناظر من الداخل ، على خلاف الخارج الذي يبدو متناظرا ، فالكبد مثلا في جهة اليمين من البدن ، بينما القلب يميل إلى جهة اليسار ، ويقبع الطحال في جهة اليسار ، وعلى هذا فمركز الثقل عند الانسان يميل الى ناحية اليمين ، حيث يزيد وزن الشق الأيمن من الجسم عن الشق الأيسر بما يقارب (٤٠٠) جرام تقريبا ، ومن هنا يحاول الانسان أن يميل بجسده ناحية اليسار حتى يتوازن ، وهذا ما يحرر يده اليمنى ، ويجعلها أكثر كفاءة وقدرة من اليسرى

هذه هي « النظرية الحشوية » التي لم تفسر لماذا كان ١٠ / من الناس يستعملون يدهم اليسرى على الرغم من أنهم طبيعيون في تركيب البدن وهناك نظرية اخرى طريفة ، صاغها المؤرخ البريطاني

تومـاس كـارليـل ، سمـوهـا « نـظرية السيف والدرع » . قال فيها صاحبها الاعسر : إن الانسان تعـود أن يحمل فيـما مضى من زمـان درعـا في يـده اليسرى ، ليحمي به قلبه ، ولهذا كان عليه أن يحمل سيفـه بيده اليمنى ، مما اعطاهـا القوة والمرونة في الحركة . حتى صارت هذه طبيعة عند كل البشر .

غير ان نظرية السيف والدرع لم تفسر سرّ سلوك الناس قبل استعمالهم السيوف والدروع ، ولا بعد أن استغنوا عنهـا باستعمـالهم البنـادق والمدافـع والصواريخ .

بعضهم قال بالوراثة سببا للعسر . ومن الصحيح أنه اذا كان احد الوالدين أعسر تزيد نسبة اطفالـه الـذين يستعملون اليد اليسـرى بمـا يقـدر بحـوالي ١٧ . اما اذا كان كلا الوالدين من أهل اليسار فان نسبة من يماثلهم من الاولاد تصل إلى ٤٦٪ غير أن هنـاك ٢٪ من ابنـاء الأسـويـاء من أهـل اليمين يستعملون اليد اليسرى ايضا . فما هو التعليل يـا ترى ؟ وبملاحـظة التوائم وجـدوا ان نسبـة ١٠٪ العادية تزداد إلى ٢٠٪ بين التوائم المتناظرة . اذ ليس شرطا ان يكون التوأمان متشابهين تماما في استعمال اليـدين . وفي هذا قيـل إن التوائم كـالمرآة يعكس أحدهما صورة الاخر ، وهكذا إذا كان أحدهما أعسر فلا بد ان يكون الاخر أيمن .

اما النظرية الحديثة التي يقتنع بها الأطباء في هذا الزمن فهي نظرية المخ الأيسر التي وضع اسسها أستاذ التشريح الاسكتلندي المعروف كنتجهام ، وهو يؤكد فيها أن المخ يتركب من فصين ، كل واحد منهما يحكم



شق الجسم المقـابل ، وحيث أن الفص الأيسـر لـه السيـادة في الحركـة والكـلام والسمـع على الفص الايمن . فاليد اليمنى بالتالي هي الأكثر قوة والأقرب إلى الاستعمال ، اما اهل اليسار من مستعملي اليد اليسرى فلا بد أنهم قد خلقوا وقد توافرت عندهم أسباب السيادة للفص الأيمن ، ولا حيلة لانسان هذا شانه إلا أن يستعمل يده اليسرى في تدبير شؤونه ، ولا سبيل لتغيير ما خلقه الله عليه

ومن هنا كانت النصيحة للاباء والمربين أن يتركوا الامور على عـلاتها دون إجبـار للطفل الأعسـر أو توجيهه لاستعمال اليد الأخرى . وإلا كانت النتيجة معاناة نفسية شديـدة ، قد تؤدي بـاستقرار الـطفل نفسيا واجتماعيا

لقد ذهب بعض القدامى إلى اعتبار الطفل الأعسر إنسـانا معـوقا نـاقص العقل مختـل الادراك . لكن التـاريخ حـافل بـأسماء كثيرة من العظماء الاذكيـاء والعباقرة ، ممن كانوا يستعملون اليد اليسرى ، منهم الرسام العبقري الايطالي ليوناردو دافنشي ، وزميله الرسـام المبـدع مايكـل انجلو والرئيس الامـريكي جيرالد فورد ، والرئيس هاري ترومان ، بالاضافة الى جمع من أشهر الممثلين ، يتصدرهم شارلي شابلن وأوليفيا دي هافيلاند الامريكية ، ولا ننسى القائد الانجليـزي نلسن ، ولا الامبـراطـور الـرومـاني طيبـاريوس ، فهؤلاء جميعـا ينتمون إلى نـادي اليد اليسرى ، ولا نظن أن أحدا يمكنه أن يصم أحدهم بالضعف العقلي أو الغباء ، بل ربما كانت هذه هي حجة للغربيين المعارضين لهذا الرأي ، ممن ينادون بـأن العسر ظاهرة من ظـواهر الـذكاء والعبقـرية والنبوغ .

لن نذهب في تطرف الرأي مع هؤلاء ، ولا مع هؤلاء ، لكن تبقى لنـا حقيقـة يعتمـدهـا الـطب الحديث ، وهي أن ترك الطفل وشأنه ومـا أراده له خـالقه سبحـانه أفضـل وأولى ، فـإن لله فيـما خلق حكمة .

بريد طبيب الأسرة

داء السمك

● هل لي أن أعرف شيئاً عن مرض جلد السمك ؟ ما هو دور الوراثة فيه ؟ وهل له من دواء شاف ؟

ولكم وافر شكري واحترامي . . .

محمود عبد العزيز الشناوي

القاهرة - ج م ع

داء السمك عيب جلقي شائع ، تزداد فيه صلابة الجلد وخشونته ، بسبب سماكة الطبقة القرنية فيه ، وهو يصيب الناس بدرجات متفاوتة ، مهما ما هو بسيط لايعدو أن يكون جفافا وخشونة في الجلد ، ومنها ماهو على الطرف الآخر شديد إن لم يكن قاتلا

وقد يولد الطفل بهذه الصورة الشديدة ، وقد تغطي جلده طبقة سميكة من القشور ، أشبه ما تكون بقشور السمك ، لدرجة أنه يطلق عليه اسم « الجنين المهرج » ، لأنه في هيئة مبرقشة تشبه ما يلبسه المهرجون .

وبتقصي التاريخ المرضي والعائلي للمصاب نجد غالبا تاريخا لاصابة عائلية ، والمريض غالبا يعاني من جفاف في الجلد ، سببه قلة العرق وقلة الافرازات الدهنية ، بسبب ضمور الغدة العرقية والغدد الدهنية ، لسبب مازال مجهولا

لكن المعاناة تبقى محصورة في الجلد ، ولا تتعداه إلى الغشاء المخاطي . والمعاناة من هذا المرض تبدأ غالبا بأصحاب الأعمار الصغيرة ، وتتزيد مع البرد وتتحسن أيام الدفء والرطوبة

وكثيرا ما يشكو المصاب من تشققات في الجلد ، يجد خلالها التلوث طريقا له مسببا الالتهابات والألم

العلاج والوقاية

الحديث عن الوقاية ربما اقتصر على تفادي المضاعفات وتخفيف المعاناة ، حيث أن الوقاية من الاصابة أمر بعيد المنال ، لجهل الاطباء بسبب الداء ، ولاحتمال أن يكون الأمر وراثيا ، وهو مما يصعب السيطرة عليه في زماننا ، وإن كان الأمل معقودا على تطور ما يعرف بالهندسة الوراثية مستقبلا

أما العلاج فهو ينصب على ترطيب الجلد باستعمالات العقاقير والدهانات المرطبة ، أو غمر الأطراف في الماء الداوىء

لكن الحديث عن علاج ينتزع المرض من أساسه فيبرأ معه المريض أمر سابق لأوانه ، حيث لايتوافر لدى الأطباء أي عقار من هذا القبيل

ردود سريعة

● السيد ي . م . م . ع . - الكويت :

مركز علاج عيوب النطق في الكويت ملحق بمستوصف الدسمة .

● السيد خ . ح . ز . درعا - سوريا :

بدانة الردفين عبارة عن ترسبات دهنية ، تحدث نتيجة الافراط في الطعام النشوي ، وقلة الحركة ، مع وجود عامل الوراثة ، لهذا فلا سبيل سوى التخفيف من الأطعمة الدهنية والنشوية والسكرية ، مع زيادة الحركة للمنطقة البدنية ، كالمشي وركوب الدراجات والألعاب السويدية . □

في أفعال المطاوعة

وردنا من الأستاذ يوسف العياشي الزائري من دولة البحرين الشقيقة تعقيب على المقال الذي كان قد نشر في العدد ٣٤٩ ديسمبر ١٩٨٧ من مجلة العربي بعنوان « نائب الفاعل : هل ينبغي حذفه من كتب النحو ؟ » ، وإذ ننشر مقتطفات من هذا التعقيب نرجو ان يسهم ذلك في حوار يثري هذه القضية اللغوية .

عنّ لي وأنا أقرأ مقال الأستاذ محمد خليفة التونسي (العربي ـ ديسمبر ١٩٨٧م ـ العدد ٣٤٩) جملة من الملاحظات الأولية عن هذا الصنف من الأفعال ، فحين قسم النحاة الأفعال الأقسام المعروفة اعتمدوا هذه المقاييس :

- مقياس بنية الفعل .
- مقياس إعرابه وبنائه .
- مقياس الدلالة المعنوية .

ولئن أفاضوا في الحديث عن حالات التجرد والزيادة ، والصحة والإعلال ، والقلب والإبدال وغيرها ، مما يعود إلى بنية الفعل وإعرابه ، فقد بقي جانب الدلالة محتاجاً إلى دراسات إضافية ، ولعل هذا مما يدخل فيما سماه الأستاذ خليفة التونسي في مقال سابق نحو الدلالة : (العربي عدد ٣٤٨ ، نوفمبر ١٩٨٧) .

من هذه الوجهة الدلالية يمكن أن ندرس أفعال المطاوعة . فما المقصود بهذه التسمية ؟ وما الخصائص التي تميز هذا الصنف من الأفعال ؟

المطاوعة ـ في معناها العام ـ صفة تطلق على ما يكون من المواد الصلبة قابلا للتغير في الشكل والحجم بتأثير خارجي ، فالقضيب من الألمنيوم إن أردت تشكيله على غير ما هو عليه وجدته بين يديك طيّعاً ، على عكس القضيب من الحديد إلا إذا صهرته ، عند ذاك ينصهر ويتشكل . ومثل هذا ما يكون في المعنى اللغوي . فإذا قلنا : (نصح الوالد ابنه فانتصح) اعتبرنا النصيحة من الوالد عنصر تأثير معنوي أداها الفعل الأول (نصح) ، واعتبرنا الانتصاح (قبول النصيحة) عنصرا مطاوعاً أداه الفعل الثاني (انتصح) . وهذا الفعل الثاني هو ما اصطلح النحاة على تسميته فعل المطاوعة أو الفعل المطاوع لفعل سابق له .

وبتحليل هذا المثال وحده يمكننا أن ننتهي إلى جملة من الخصائص لفعل المطاوعة وللفعل الذي يسبقه في الكلام :

١ ـ الفعل الأول يكون عادة مجردا في بنيته الصرفية ، لأنه يمثل الأصل . والأصل يكون على صورته المجردة من كل زائد ، بينما يكون الفعل المطاوع مزيدا ، ذلك لأنه مشتق من الجذر الثلاثي المشترك بين الفعلين ، أضيف إليه حرفان من أحرف الزيادة (الألف والتاء) .

٢ ـ الفعل الأول يكون متعديا لمفعول ، فهو يمثل عنصرا مؤثرا فاعلا ، لذلك طلب عنصرا يفعل فيه ،

بينما يكون فعل المطاوعة لازماً لأن فاعله انطاع لفعل خارجي فتأثر نتيجته ، وليس له القدرة على التأثير في غيره حتى يطلب مفعولا به . ولأنه أيضا دالٌ على صفة ، والصفة يحملها الفعل اللازم . وقد أشار صاحب « مختار الصحاح » إلى أن النحويين ربما سموا الفعل اللازم (مطاوعا) [ص ٤٠٠ - مادة ط - و - ع] . على أن إشارة صاحب « مختار الصحاح » تحتاج الى بعض التدقيق ، فإذا كان فعل المطاوعة لازماً فالعكس غير صحيح ، أي ليس كل فعل لازم فعلا من أفعال المطاوعة .

٣ - يشترك الفعل الأول وفعل المطاوعة في الجذر اللغوي ، ويختلفان في البنية الصرفية (فعل وافتعل) . وينتج عن الاشتراك في الجذر اشتراك في الحقل المعنوي (معنى النصيحة) ، كما ينتج عن الاختلاف في البنية الصرفية اختلاف في المعنى الجزئي .

٤ - بين الفعلين علاقة منطقية ، هي علاقة السبب بسببه ، لذلك غالبا ما يقترن فعل المطاوعة بفاء العطف الدالة على النتيجة .

٥ - أفعال المطاوعة ظاهرة خاصة ، لكنها مرتبطة بظاهرة عامة في اللغة العربية هي الاشتقاق . وكسائر المشتقات في الأسماء والصفات والأفعال تخضع أفعال المطاوعة لأوزان معلومة ، هي أوزان الفعل المزيد اللازم . ولهذا التحديد أهمية ، إذ يجب أن نستبعد من جملة أوزان الفعل المزيد أوزان الأفعال التي تتطلب مفعولا به ، مثل أوزان : أفعل - فاعل - فعّل .

والغالب على أفعال المطاوعة أنها تكون على وزن :

افتعل : ويكون الفعل الذي يشتق منه على وزن المجرد أو المزيد

انفعل : ويكون مطاوعا لفعل مجرد أو مزيد .

تفعّل : ويكون مطاوعا لفعل مجرد أو مزيد .

تفاعل : ويكون مطاوعا لفعل مجرد أو مزيد .

على أن فعل المطاوعة في المثال الأخير يضاف إليه معنى ثان هو الدلالة على حدوث الفعل بالتدرج ، وهو معنى كثير التواتر في المزيد على وزن تفاعل .

استفعل : ويكون مطاوعا لفعل مجرد أو مزيد .

تلك أهم خصائص أفعال المطاوعة وأوزانها . □



مات التونسي والقلم في يده

كان أمرا غير مألوف أن نذهب في صباح يوم ١١/١/١٩٨٨ إلى مجلة « العربي » فلا نجد الأستاذ الأديب محمد خليفة التونسي جالسا الى مكتبه يرد تحية الصباح ، ويصر على الوقوف وهو يرد تحية من يأتي للسلام عليه . تعودنا أن نجده قبل الجميع في مكان عمله ، على الرغم من أنه أكبرنا سنا .

في ذلك الصباح استسلم كل منا إلى نوع من الحزن العميق الصامت ، حين تأكد لنا أن غيبة الأستاذ التونسي ليست مجرد أمر غير مألوف ، وليست لأمر طارىء ، ينتهي بعد وقت يطول أو يقصر .،يبدو أن الموت وحده سيبقى قادرا على أن يكون ينبوعا أبديا للدهشة والمفاجأة والحيرة ، مهما تيقنا من حدوثه ، أو حتى تهيأنا لمقدمه !

كان وهو واحد من شيوخ اللغة يعرف أسرار اللغات التي يحتاجها قلب الإنسان في بحثه المضني عمن يتواصل معه وعمن يحسن الاستماع إليه ، وعمن يفهمه ، وعمن يرغب في المساعدة . وبسبب هذه الموهبة تعددت صلاته ، وتعمقت صداقاته بجميع العاملين في مجلة « العربي » من مختلف الأجيال ، وفي مختلف المواقع ، فجيل الشباب كان يجد لديه من البساطة الأسرة ، ومن روح المرح ، ومن تنوع الخبرة والثقافة ، ومن الإقبال على الحياة ، ما يشده إليه متجاوزا فارق السن والتجربة ، وجيل الكهول كان يجد لديه من عمق الخبرة الثقافية ، وتنوع مصادرها في القديم والجديد ما يجعل الحوار ممتدا ثريا موصولا ، وخاصة حين يتصل بذكرياته عن عمالقة الفكر الذين عاش معهم في صالون العقاد في صدر شبابه وجزء من كهولته .

رحم الله فقيدنا الكريم .

« هذه التأملات كانت آخر ماكتبه المرحوم محمد خليفة التونسي . . متناولا آخر ماعبر عنه الامام الشافعي . وكانت آخر اختياراته تمثل خلقه ومنهجه في الحياة حين اختار بيت الشافعي القائل :

« لما عفوت ولم أحقد على أحد — أرحت نفسي من همِّ العداوات »

تأملات في الناس والحياة

للامام الشافعي

الامام الشافعي (محمد بن إدريس) من أشهر أئمة المذاهب الفقهية في الاسلام ، يتعبد على مذهبه كثير من المسلمين في الشرق العربي وماوراءه شمالا وشرقا ، وهو واضع أصول علم الفقه ، وقد غلبت عليه شهرته الفقهية والأصولية ، مع أنه كان من أوسع شيوخنا اطلاعا ونبوغا في جملة العلوم الاسلامية واللغوية ، وكان كالمتخصصين في تاريخ العرب وكلامهم وأشعارهم ، وهو أشهر فقهائنا بقول الشعر ، وإن كان لايعد من نوابغ الشعراء ، والظاهر أنه كان مقلا ، وإن نسب إليه شعر كثير .

ولد في غزة بفلسطين سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧م) ، وقد ربته أمه ليتمه ، فأحسنت تربيته ، وتنقل في طلب العلم على شيوخه بين مدن اليمن والحجاز والعراق ، وفي سنة ١٩٩ هـ (٨١٤م) عزم الرحلة الى مصر ، وفي ذلك يقول :

لقد أصبحت نفسي تتوق الى مصرِ
ومن دونها قطعُ المهامةِ والقفرِ

فوالله لا أدري ، ألِلعز والغنى
أساقُ إليها ، أم أساق إلى القبر ؟

وقد استقبل فيها بالعز والغنى مع القبول والشهرة ، وبقى هناك ينشر معارفه بعلوم الدين واللغة والشعر العربي ، ويجدد آراءه الفقهية ، وحظى هناك بتلاميذ نوابغ نشروا مذهبه ، وتوفى ودفن فيها سنة ٢٠٤ هـ (٨١٩م) ، وباسمه حتى اليوم حي كبير بين القاهرة والفسطاط ، حافل بالمقابر حول مشهده .

وهذه المقطوعات التي اخترناها من ديوان كبير باسمه ، هي أليق ما يكون بروحه العالية وسيرته النبيلة وثقافته الدينية واللغوية ، وإن لم نكن على يقين أنها له ، وبعضها في نسبتها إليه أشهر من بعض ـ وربما نسبت الى غيره ـ وهي أشبه بشعر العلماء ، وإن كانت لاتخلو من شعور حي وتجربة بصيرة بالناس والحياة ، وأكثرها صالح للتمثل به فيما يناسبه من المواقف .

لما عفوت ، ولم أحقد على أحد
أرحت نفسي من هم العداوات
إن أحييّ عدوي عند رؤيته
لأدفع الشر عني بالتحيات
وأظهر البشر للانسان أبغضه
كأنما قد حشا قلبي محبات
الناس داء ، وداء الناس قربهمُ
وفي اعتزالهمُ قطع المودّات

* * *

ولرب نازلة يضيق لها الفتى
ذرعا ، وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فُرجت ، وكنت أظنها لاتفرج

* * *

إذا نطق السَّفيه فلا تجبْه
فخير من إجابته السكوتُ
فإن كلّمته فرّجت عنه
وان خليته ـ كمدا يموت

* * *

يَالَهفَ نفسي على مال أفرقه
على المقلّين من أهل المروءاتِ
إن اعتذاري إلى من جاء يَسْألني
ماليس عندي لمن إحدى المصيباتِ

* * *

كم ضاحك ، والمنايا فوق هامتهِ
لو كان يعلم غيبا ، مات من كمدِ
من كان لم يؤت علما في بقاء غدِ
ماذا تفكُّرهُ في رزق يوم غد

* * *

علمي معي ، حيثما يمّمت ينفعني
قلبي وعاء له ، لابطن صندوقِ
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي
أو كنت في السوق كان العلم في السوّق

* * *

المرء إن كان عاقلا ورعا
أشغله عن عيوب غيره ورعه
كما العليل السقيم أشغَلَهُ
عن وجع الناس كلهم وجعه

* * *

الدهر يومان : ذا أمنٌ وذا خطرُ
والعيش عيشان : ذا صفو ، وذا كدرُ
أما ترى البحر تعلو فوقه جيفُ
وتستقرُ بأقصى قاعهِ الدرر
وفي السماء نجوم لاعداد لها
وليس يكسف إلا الشمس والقمرُ

* * *

وعين الرضا عن كل عيب كليلةٌ
ولكنّ عين السخط تبدي المساويا
ولست بهياب لمن لايهابني
ولست أرى للمرء مالايرى ليا
فإن تدن منيٌ تدن منك مودتي
وإن تنأ عني تلقني عنك نائيا
كلانا غني عن أخيه حياته
ونحن ـ إذا متنا ـ أشد تغَانِياً

* * *

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت
ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها
وعند صفو الليالي يحدث الكدر

* * *

سهري لتنقيح العلوم ألذُّ لي
من وصل غانية ، وطيب عناق
وصرير أقلامي على صفحاتها
أحلى من الدّوكاه والعشّاق
وألذ من نقر الفتاة لِدَفُّهَا
نقري لألقي الرمل عن أوراقي
وتمايلي طربا لكلّ عويصة
في الدرس أشهى من مدامة ساقي
وأبيت سهران الدّجا ، وتبيته
نوما ، وتبغى بعد ذاك لحاقي

الكلمات المتقاطعة

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١										
٢							■			
٣							■			
٤		■			■				■	
٥			■	■				■		■
٦										
٧						■				
٨					■			■		
٩			■	■						
١٠	■						■		■	

يهدف هذا اللغز الى تسليتك ، وامتاعك ، بالاضافة الى إثراء معلوماتك ، وربطك بتراثك الفكري والحضاري ، بتعويدك على البحث الجاد المثمر في المعاجم ، والموسوعات ، وغيرها من المراجع . والمطلوب منك ايجاد اجابات هذه الشبكة ومقابلة اجاباتك بالحل الذي سينشر في العدد القادم

كلمات أفقية :

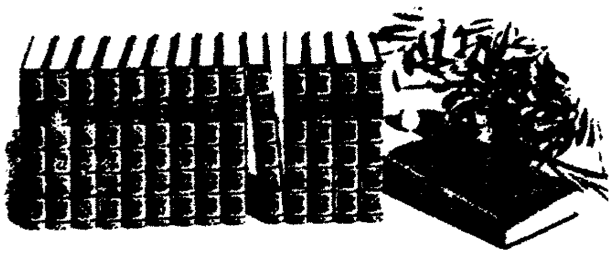
١ طبيب عربي عني بأمراض العين
٢ . عالم فرنسي اكتشف لقاح الكلب ، ما بين الترقوتين .
٣ . شجيرات ذات أشواك وأزهار تصلح سياجا ، تمعّن
٤ أصدر صوتا كصوت الأفعى ، عار
٥ . تجدها في صام ، جمع حيلة .
٦ . طبيب بريطاني ينسب إليه اكتشاف الدورة الدموية .
٧ . دواء يدفع السموم ، أنواع من الزيت .
٨ . يعوّق ، مادة قاتلة ، نقيض إنس معكوسة .
٩ . اسم فعل بمعنى خذ ، منسوبة للحرارة
١٠ . متعلق بمرض الفصام .

كلمات عمودية :

١ أوتار في باطن الحنجرة
٢ حصل على مبتغاه ، خروج الدم من الأنف
٣ . يقدم معونة طبية عاجلة ، ثلاثة أحرف متشابهة .
٤ . خروج العرق من الجسم ، تجدها في أقام .
٥ . يبس مبعثرة ، فساد في العقل ، سخن
٦ . مرض نفسي يتصف بالمبالغة في حب الذات ، في الخفاء
٧ . من مكونات الدم غير الكريات الحمراء والبيضاء .
٨ . داء تتعطل فيه الأعضاء عن الحس والحركة ، كثرة النعمة ، كسْر
٩ . منّع (صحي أو غير صحي) ، عفن .
١٠ . بثور فاسدة ، مهجتي معكوسة .

حل مسابقة العدد الماضي مارس ١٩٨٨ م

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	و	ا	ص	ل	ب	ن	ع	ط	ا	ء
٢	ا	ل	ا	م	و	ن	ي	و	م	■
٣	د	ك	ن	ز	■	■	ء	ن	ا	ت
٤	ي	و	■	■	س	و	د	ا	ن	ي
٥	ا	ل	ط	ه	ط	ا	و	ي	■	م
٦	ل	ي	ل	ي	■	ء	■	■	م	و
٧	م	ز	ي	ن	ة	■	م	ي	س	ر
٨	ل	ي	م	ا	س	و	ل	■	ح	ل
٩	و	و	■	ت	■	د	ي	و	ا	ب
١٠	ك	م	ب	و	د	ي	ا	■	ح	ث



مكتبة العربي

كتاب الشهر



«الإرهاب»

كتاب الشهر

ليس العنف بمصطلح جديد في القاموس السياسي ، بل لعله أقدم من السياسة نفسها ، فالعنف السياسي متعدد الجنسية والهوية والقضية ، قد يرتدي ملابس الكهان تارة والقمصان الفاشية السوداء تارة أخرى ، وقد يعتمد الكوفيات الزرقاء أو قبعات جيفارا ، ولعله يأتي على صهوة حصان جامح ليلا ، أو على صهوات « الفانتوم » في وضح النهار .

« الارهاب » سلاح الضعيف عادة ، فالخصم أقوى من المواجهة ، ابتداء من حركات التحرر الوطني في العالم الثالث ، ووصولا إلى قنابل الاثارة في أوروبا ، ومسلسل خطف الطائرات ، والتصفيات الجسدية لحركات التاميل والسيخ والباسك. جماعات فقدت الأمل في إمكانية التواصل مع الطرف الآخر ، بعد أن تعطلت اللغة ، وتقطعت الأيدي ، ولم يعد مجال للمصافحة .

هذه استراتيجية حرب العصابات في تاريخها الطويل الدائم ، من الصين وفيتنام شرقا إلى الجزائر وانجولا في افريقيا حتى كوبا في امريكا اللاتينية بالاضافة إلى عشرات المسيرات النضالية الأخرى في العالم الثالث .

والغريب أن الاستعمار الذي استطاع أن يغزو العالم الثالث قبل أكثر من ١٠٠ عام ، بعدد قليل جدا من جنوده ، مستغلا تفوقه التقني العسكري في ذلك الوقت ، قد وجد نفسه مضطرا للانسحاب والتقهقر على أيدي عدد قليل من الجنود أيضا ، بعد أن أدرك استحالة استمرار اللعبة ، خصوصا بعد أن أدركت الشعوب المقهورة سر تفوقه ، وسر قدومه ، فتفجرت في أعماقها الصحوة القومية والعلمية معا ، وانقلب السحر على الساحر . ولم يقدم فلاسفة الغرب العسكريون والمنظرون الاستراتيجيون كثيراً عن طبائع هذه الحرب الجديدة التي أخرجت المارد من قمقمه بعد سبات طويل . والحقيقة أن الصحوة لم تكن رجوعاً إلى التراث أو التنقيب عن جذور متيبسة للتدفئة بحطبها ، بل باكتساب الجرعات الحقيقية لعودة اخضرار هذه الجذور الضاربة في العمق ، حتى تشق الأرض من جديد أغصانا وجذوعا يستظل بها . .

وضع « ين فو » المانيفستو الجديد للصين عام ١٨٩٦ ، وقد استمده من روح الكنفوشية القديمة ، وكشف عفونة النظام السياسي القائم آنذاك في بلاده ، وجهله وعجزه تماما أمام التحديات الجديدة ، كذلك فساد الطبقة الحاكمة ، وانغلاقها عما يجري حولها في العالم ، ثم أدخل مفهوم التطور المستمر من خلال اكتساب العلوم بشتى فروعها ، وكرس كذلك نظرية المجد للمستقبل ، عوضا عن عبادة الماضي ،وجاء بعده « ماوتسي تونج » وزاوج بين الكنفوشية والاشتراكية العلمية ، فنفض الصينيون عن رءوسهم غبار آلاف السنين .

ادراك الغايات الخفية :

لقد أدركت الشعوب المقهورة الغايات الخفية للاستعمار الذي برر حركته بأنها مجرد رسالة حضارية إنسانية ، بينما هي في الواقع سلب ونهب لخيرات الدول الفقيرة ، وسعي فاضح لتجارة الرقيق في افريقيا . وعرفت الشعوب حقيقة الاستعمار من خلال إبادة شعب كامل في « ريوجراند » في أمريكا اللاتينية . ومن خلال مذابح الصين الشهيرة عام ١٨٤٠ ومذابح جنوب افريقيا عام ١٩٠٥ بدأت الشعوب تفتش عن عوامل القوة الكامنة عند هذا الخصم المتكبر الجديد ،

فوجدته في العلوم والتصنيع . ولقد استفاد محمد علي باشا في مصر والدولة العثمانية من العلوم الغربية الحديثة ، إلا أن التجربة اقتصرت على الجانب العسكري والتقنية العسكرية فقط وهذا ما يدعو للأسف ، فقد جاءت مقارعة الاستعمار بالعنف السياسي والنضال المسلح . ولا نود السفر بعيدا عبر التاريخ البشري بحثا عن جذور الارهاب السياسي ، فليس القصد نبش القبور القديمة وتعرية الجثث من أكفانها ، كما لا ننوي استعراض طقوس الموت بالخناجر خلال القرن الحادي عشر على أيدي الحشاشين في العصر العباسي ، أو الموت بالمقصلة الفرنسية إبان الثورة الفرنسية ، حيث أصبح الارهاب رسمياً وحكوميا باسم الشعب ضد أعداء الشعب ، ويكفينا مائة عام فقط من التاريخ الحديث .

لقد بدأت بذور الارهاب السياسي في روسيا القيصرية خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر على أيدي الحركات السياسية الشعبية في ذلك الوقت ، حيث كان لها فلاسفتها ومنظروها ، « العدميون » بزعامة « نيكاييف » ، والفوضويون بزعامة « باكونين » ومدرسة العنف المسلح لصاحبها « كروبوتكين » .

اتجاهات ثورية جديدة ، تنظر للعنف كوسيلة وحيدة لحرق الفساد والعفن ، وكأسلوب محرك للوعي الجماهيري . وقد استطاعت هذه الحركات الثورية زعزعة النظام القيصري ، بل واغتيال القيصر نفسه عام ١٨٨١ ، كما عقد في نفس هذا العام مؤتمر دولي في لندن ، شاركت فيه معظم الحركات السياسية الأوروبية التي آمنت بالعنف طريقا للخلاص .

يقول مؤلف الكتاب : في أواخر القرن التاسع عشر كانت هناك ثلاث حركات سياسية نشطة ، تعمل للتحرر من مستعمريها ، كالحركة الأرمنية بقيادة حزب « طاشناق » ، التي كانت تحارب ضد الحكم العثماني ، ومن نشاطاتها المعروفة الاستيلاء على البنك العثماني في القسطنطينية عام ١٨٨٧ ، أمّا الحركة السياسية الثانية فهي الثورة الايرلندية ضد الحكم البريطاني ، والثالثة « الجماعة المقدونية » التي كانت تحارب ضد الهيمنة العثمانية في البلقان ، واستطاعت بعض هذه الحركات أن تحقق بعض النجاح ، حيث أسفرت عن استقلال ايرلندة الجنوبية ، وبقي الشمال مشتعلا حتى الآن واستقلت بلغاريا عام ١٨٧٨ ، أما الحركة الأرمنية فلم يكتب لها النجاح .

استمرت الشعوب في مقارعتها للاستعمارين الفرنسي والبريطاني . فظهرت منظمة « أيوكا » في منطقة الشرق الأوسط بقيادة « جنرال جريفاس » في قبرص ، وظهر الثوار الفلسطينيون في نضالهم المزدوج ضد الاحتلال البريطاني وضد الاستيطان الصهيوني معا .

نماذج من العنف السياسي

يمكن تقسيم حركات العنف السياسي في القرن العشرين إلى أربعة نماذج رئيسية ، النموذج الأول يشمل حركات التحرير الوطنية (الجزائر وفيتنام) وتتفرع عنها بعض الحركات الأخرى التي تطالب بحق تقرير المصير أسوة بغيرها من شعوب العالم ، كالفلسطينيين وحركة الجيش الجمهوري الايرلندي ، وهناك بعض الحركات الطائفية المحضة ، مثل منظمة « أييتا » التي تطالب بانفصال « الباسك » عن اسبانيا ، وحركة السيخ في الهند ، والتاميل في سيريلانكا .

والنموذج الثاني يمثل الحركات السياسية العقائدية لمقاومة الأنظمة الديكتاتورية والامبريالية ، وهي ذات أبعاد ماركسية طبقية . ويشمل هذا النموذج كافة الحركات الثورية في أميركا اللاتينية ، أو ما يطلق عليهم اسم « ثوار المدن » ، فبعد مصرع جيفارا عام ١٩٦٧ حاول الزعيم الثوري « كارلوس مارجيلا » استنباط نظرية جديدة للثورة في المدن ، واستغلال الأزمات السياسية ، وإعلان العصيان المدني عن طريق قيام نشاطات تخريبية داخل المدن ،

لارباك الحكومات ، وإجبارها على التحول إلى الأسلوب العسكري ، الأمر الذي يعطي المبرر الكافي للجماهير للتصدي لهذه الأنظمة ومحاربتها ، لكن يبدو أن هذه الأنظمة قد استطاعت أن تحتوي هذه الأزمات فلم يكتب النجاح لهذه النظرية حتى الآن ، إذ انسحب ثوار المدن ، وبقيت « العسكريتاريا » جاثمة على صدور أبناء الشعب ، فلقد غالى « مارجيلا » كثيرا في تقديره للدور الذي يمكن أن يلعبه هؤلاء الثوار ، وبهذا انعزلت الطليعة عن قاعدتها الشعبية الحقيقية في الأرياف ، تلك القاعدة الأم التي تغذيهم بالمال وبالرجال . ومن أبرز هذه الحركات الثورية « منظمة مارجيلا » في البرازيل ، و « توبماروس » في « أورغواي » و « مونتونيروس » في الأرجنتين .

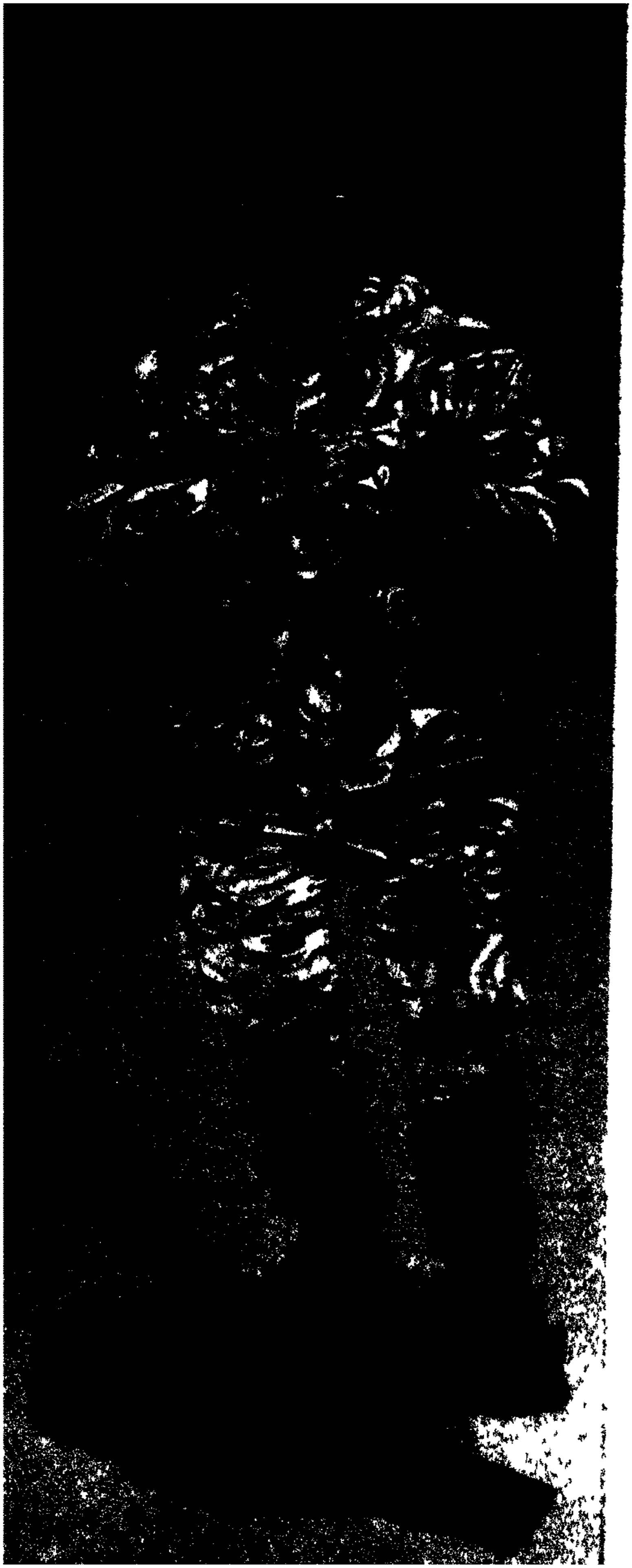
يعتبر النموذج الأوروبي هو النموذج الثالث ، حيث تسعى بعض المنظمات السرية المسلحة هناك إلى إحداث ثورات ديمقراطية في المجتمعات الرأسمالية الصناعية الغربية ، وتهدف إلى محاربة حلف « الناتو » والتحالف الغربي .

ومن أشهر هذه الجماعات المسلحة منظمة « الألوية الحمراء » في ايطاليا ، وقد تكون أهدافها السياسية غير واضحة تماما إلا أنها تركز على التناقضات الاجتماعية السائدة ، وهناك منظمة « بادر ماينهوف » في المانيا الغربية ، وجماعة « العمل المباشر » في فرنسا ، و « الخلايا الثورية الشيوعية » في بلجيكا . قد لا تكون هذه الجماعات قوية مؤثرة ، إلا أنها تشكل تحديا صارما في وجه النظام الرأسمالي الغربي ، لما تسببه من إرباك وإزعاج للأجهزة البوليسية في أوروبا .

أما النموذج الرابع فهو ما يعرف بإرهاب الدولة ، وخطورة هذا النوع أنه غير منظور تماما ، وغير معلن ، ويبقى طي الكتمان ، بعكس النشاطات التي تقوم بها الجماعات المعارضة ، ومن نشاطات هذا النموذج التصفيات الجسدية الكاملة لقوى المعارضة ، كما حدث في السبعينيات في تشيلي ، والبرازيل خلال فترة (١٩٦٩ ـ ١٩٧٢) ، وما حدث في أورغواي في نفس الفترة . ويعتبر حاليا الكيان الصهيوني أوضح مثال على إرهاب الدولة ، لما تقوم به « اسرائيل » من نشاطات إرهابية لتصفية قادة المقاومة الفلسطينية وأفرادها ، كما حدث في مجزرة بيروت وفي العواصم الاوروبية من تصفيات جسدية لبعض قادة المنظمة ، وما يحدث يوميا من غارات جوية وقصف مدمر لمخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان ، وتعتبر جنوب افريقيا نموذجا آخر لهذا الارهاب ، لما تقوم به من قمع واضطهاد للشعب الزنجي ، ومن غارات جوية على جيرانها ، بحجة ملاحقة الثوار الأفارقة . وفي أميركا عصابات رابطة الدفاع اليهودي ونشاطها التخريبي ضد المصالح والمؤسسات السوفيتية والعربية .

احصائيات الارهاب

لقد قلنا إن المحللين العسكرين والمثقفين في الغرب قد شغلوا في الحرب النووية القادمة ونتائجها على الرغم من أن معظم دراساتهم قد جاءت مبتورة ، ولم تضف شيئا يذكر ، وبقيت نظرياتهم مجرد تكهنات خاضعة لاحتمال الصواب والخطأ بينما كان للحروب التقليدية في الماضي مؤرخوها وكتابها الاستراتيجيون الذين لم يتركوا شاردة أو واردة إلا سجلوها ، وأصبحت ملاحظاتهم دروسا ومناهج لكافة « أكاديمياتهم » العسكرية . فما بالهم قد تجاهلوا حروب التحرير الجديدة المعروفة بحرب العصابات ؟ ! إن الدراسات الغربية عن هذه الظاهرة تكاد تكون معدومة ، على الرغم من أن هذا النموذج من الحروب ـ سواء كان تحريريا أو إرهابيا ـ



قد استطاع أن يغير خريطة العالم ، في الصين وفيتنام في آسيا ، والجزائر وانجولا في افريقيا ، وكوبا ونيكارغوا في أميركا اللاتينية . وما تزال جذوتها مشتعلة في الشرق الأوسط ، ومع ذلك ما زال الغرب يجهل دوافعها ، ففي خلال أقل من عقدين من الزمان ، ومنذ عام ١٩٦٨ شهد العالم اغتيال ثلاثة من رؤساء الدول ، كما حدث هجوم على أكثر من ٥٠ سفارة في العالم . وتدل الاحصاءات ان هناك أكثر من ٢٧٠٠ عمل إرهابي قد حدث ما بين عام ١٩٦٨ ـ ١٩٧٧ فقط ، وتقول الأرقام كذلك أن هناك أكثر من ٣٠٠٠ قتيل قد سقطوا بين عامي ١٩٦٨ ـ ١٩٨٤ ، وفي ١٩٨٦ سقط في فرنسا وحدها أكثر من ٢٠٠ شخص بين قتيل وجريح بفعل الإرهاب السياسي . وخلال الستين الماضيتين تصاعدت عمليات العنف السياسي في العالم ، فقد ثبت أن للسيخ يدا في حادثة انفجار الطائرة الهندية عام ١٩٨٥ ، وكل يوم تطالعنا نشرات الأخبار عن هجمات للجيش الايرلندي في قلب لندن ، أو عن اغتيالات جديدة في ايطاليا واسبانيا ، وما زالت المعارك طاحنة بين التاميل وحكومة سيريلانكا ، وكذلك الحال في الفلبين مع الثوار المسلمين والمنظمات الشيوعية

وفي اوروبا تكاد تكون أخبار الانفجارات وخطف الطائرات شبه يومية ، لكن ، لماذا أوروبا على الأخص ؟ يقول بعض المحللين إن اوروبا تبقى المكان المفضل والمناسب للعروض الارهابية لما تمتاز به من سهولة الحركة وحرية التنقل ، وسرعة الوصول إلى وسائل الاعلام المختلفة ، من صحافة وتلفاز وإذاعة . إن قنبلة واحدة كفيلة بأن يسمع انفجارها العالم كله ، والقضاء الأوروبي والمحاكمات العلنية وما تجلبه من دعاية مجانية لهذه الحركات السياسية وأهدافها ، كذلك تعتبر الأحكام القضائية خفيفة نسبيا ، فليس هناك عقوبات بالاعدام لمثل هذا النشاط السياسي العنيف ، وتعتبر السجون أشبه بفنادق بالنسبة لمواطني العالم الثالث ، فلا جحور ولا زنزانات ، ولا تعذيب ولا محاكمات سرية وهمية .

وقد فطن الأوروبيون أخيراً لذلك ، فبدأت السلطات القضائية بتشديد العقوبة نوعا ما ، كما حدث في فرنسا في الآونة الأخيرة ، كما بدأت بوضع سياسة أمنية أكثر حزما ، توجب تفتيش المسافرين في المطارات ومناطق العبور ، ثم التعاون المشترك بين السلطات الأجنبية في كل الأقطار الأوروبية ، وتزويد بعضهم بعضا بالمعلومات والخطط اللازمة لمكافحة الارهاب الذي استشرى ، ووجد في اوروبا تربة صالحة . لكن هل صحيح أن النضال السياسي قد تحول إلى مجرد عروض مجانية للاثارة ؟

هدف أم مرحلة

إن العنف السياسي ليس هدفا بحد ذاته ، بل مجرد مرحلة مؤقتة ، فرضتها ظروف معينة ، أما إذا ظهرت هناك بعض الجماعات التي استغلت الوضع الجديد ، واستفادت من هذا المد الجارف لتسوى حساباتها مع خصومها بهذا النموذج الارهابي ، فالفشل سيكون نصيبها حتما ، ولن يكتب لها النجاح أو النصر .

إن أي جماعة لا ترتبط بالجماهير أو الارادة الشعبية دون أي بعد سياسي لتغطية نشاطها ، أو قضية وطنية تحارب من أجلها ، ستجد نفسها يوما ما تقف في الميدان عارية حتى من ورقة التوت ، وسينكشف زيفها كحركة إرهابية بحتة ، تمارس الارهاب من أجل الارهاب ، وعندئذ يجب محاربتها كأي عصابة خارجة على القانون .

إن انقطاع أي جماعة عن عمقها الجماهيري يصيبها بالشلل الدماغي ، ويفقدها القدرة على الرؤية ، ويحولها إلى مجرد خفافيش ليلية ضارة ، تعشق سفك الدماء لغايات سادية إرهابية بحتة ، وفي هذا المجال يجب التفريق بين النضال السياسي الذي يركب موجة العنف مؤقتا حتى ينظر الآخرون إلى عدالة قضيته ، وبين جماعات تمارس الذبح دون غاية أو هدف .

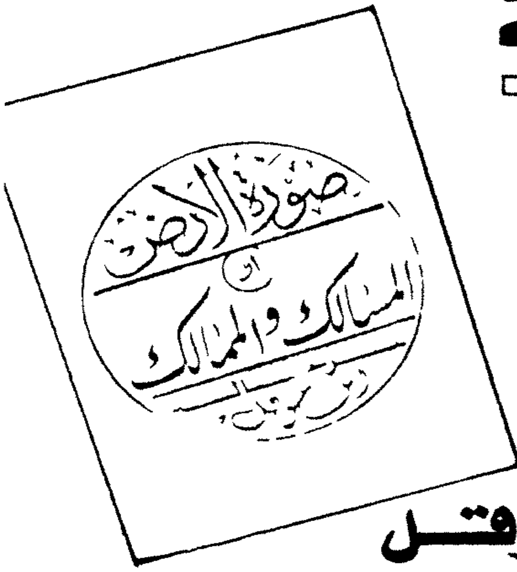
وعلى الرغم من أن الكتاب يستعرض الكثير من هذه الحركات ، إلا أنه يكاد يخلط بين هذين الاتجاهين ، فالغرب مازال يعتبر العرب بقايا من هذه الحركات العنيفة في الربع الأخير من القرن العشرين وإن الفلسطينيين على الأخص هم وقودها ، متناسيا أن البندقية هي الارث الوحيد الذي يتسلمه الفلسطينيون جيلا عن جيل منذ أكثر من ستين عاما ويعبر الكاتب عن دهشته كيف تحول لبنان الأخضر الى جبل من نار ، وأصبح المورد الأوحد لبذور العنف والارهاب في العالم ، لكن المؤلف لم يحلل أو يشخص كيف تحولت بلاد الارز إلى غابات من بنادق ، ولماذا ؟

هناك من هم أحق بهذه الدهشة ، إذ من حق الفلسطينيين أن ينظروا بدهشة إلى إخوة لهم في السلاح من معظم شعوب العالم الثالث ، حين نالت بلدانهم الاستقلال ، وكيف نالت شعوبهم حق تقرير المصير ، فمسيرة الفلسطينيين النضالية قد سبقت كثيرا من حركات التحرر الوطني في العالم . إن لعبة التوازن في المنطقة قد أفرزت الكثير وأفسدت الكثير ، لكن العودة إلى المصب قد تغني عن مشقات الارتواء من الحفريات الطينية الموحلة . □

● أليس من السخف أن يحكم الناس حطباء يستثيرون شعورهم بخطب طنانة كالأوعية النحاسية الجوفاء إذا ضربت عليها طنت وظلت تطن حتى تمسها يد ؟

(سقراط)

من المكتبة العربية



صورة الأرض
أو
المسالك والممالك
للرحالة ابن حوقل

عرض : الدكتور هشام سخنيني

صورة الأرض ، هو المصطلح العربي لعلم الجغرافيا الحديث ، وهو في الوقت نفسه اسم لكتاب وضعه الرحالة العربي الشهير ابن حوقل ، وفيما يلي عرض للكتاب الذي عرف أيضا باسم اخر أكثر شهرة هو المسالك والممالك مع تركيز على بعض الجوانب الاقتصادية .

ومهما يكن من أمر ، فان شخصية ابن حوقل بارزة في الكتاب بوضوح . والكتاب كما يخبرنا ابن حوقل نفسه باسلوبه ، يعنى بما يلي :

المسالك والممالك ، والمفاوز والمهالك ،
وذكر الاقاليم والبلدان ، على مر الدهور
والأزمان . . . وطبائع أهلها وخواص
البلاد في نفسها ، وذكر جباياتها
وخراجاتها ومستغلاتها ، وذكر
الانهار الكبار ، واتصالها بشطوط
البحار ، وما على سواحل البحار من
المدن والامصار ، ومسافة ما
بين البلدان للسفارة والتجار . . .
مع ما ينضاف الى ذلك من الحكايات
والاخبار ، والنوادر والآثار .

يبدو من كلام ابن حوقل الذي ذكرناه عدم اغفاله للنشاط الاقتصادي للاقاليم والبلدان التي زارها . وقبل أن أتحدث عن هذا النشاط أود أن أشير الى المصادر التي استقى منها ابن حوقل المعلومات الجغرافية والاقتصادية الواردة في الكتاب .

لايدع ابن حوقل القارىء يبحث عن هذه المصادر ، اذ يذكرها له بنفسه وهي : مطالعة الكتب ، الرحلات ، الاستعلام ، والملاحظة المباشرة (العيان) .

وتكاد كل صفحة من صفحات كتاب صورة الارض تزخر بالمعلومات عن الحياة الاقتصادية للمدن والاقاليم التي زارها ابن حوقل ، أو التي يملك عنها معلومات . ان تعليقاته على الشؤون الاقتصادية تشكل في الواقع تغيرا ملحوظا في العرف المتبع في أدب الرحلات ، اذ ان اهتمامه كان منصبا على المنتجات الزراعية والصناعية ، وعلى دراسة وضع اقتصادي ما في فترة زمنية معينة . لقد كان الجغرافي العربي الوحيد الذي رسم لنا لوحة مفعمة بالحيوية عن انتاج بعض المدن والاقاليم في القرن العاشر الميلادي .

وقد رسم ابن حوقل الأوجه المختلفة التالية للحياة الاقتصادية في كتابه المذكور :

١ ـ المنتجات .
٢ ـ الاسواق .
٣ ـ التجار .
٤ ـ الأسعار
٥ ـ الاستيراد والتصدير .

الكركي

ان أول ما يلاحظه قارىء(صورة الارض) بصدد المنتجات المختلفة للمدن والاقاليم التي يتحدث عنها ابن حوقل ، هو الحديث المفصل عن منتجات نصيبين . ولا عجب في ذلك ، اذ أن ابن حوقل من مواليد هذه المدينة . وفي سياق حديث ابن حوقل عن منتجات المدن والاقاليم ، يورد لنا أحيانا معلومات ممتعة ومهمة .

فعلى سبيل المثال ، يذكر لنا حين تحدثه عن منتجات فارس ـ في بعض ما يذكر ـ بأن في اصطخر نوعا من التفاح حلو المذاق الى حد بعيد ، وبأن الورد الجوري المشهور من منتجات جور أو فيروزآباد وهما اسمان لمدينة واحدة ، ومن منتجات فارس أيضا صنف من الحبر الاسود لايوجد منه في العالم اجمع ما عدا الصين . وحين يحدثنا ابن حقل عن منتجات احدى مدن الغرب ، يقول :

« وبها من الفواكه والسفرجل المعنّق ما لا أزال احكيه لحسنه ونعمته وحلاوته وطيب رائحته » .

ولا يكاد ابن حوقل يغفل عن ذكر منتجات كل مدينة واقليم ، بل أنه لاينسى معادن بعض المدن والاقاليم كذلك .

يصف لنا ابن حوقل في كتابه الاسواق المختلفة للمدن والاقاليم التي زارها وصفا ممتعا . فمثلا ، يصف لنا سوقا تعرف باسم الكركي (بتشديد الراء والياء) وتقع في مدينة اسمها برذعة كما يلي :

مقداره (أي السوق) فرسخ ، ويجتمع فيه الناس كل يوم أحد ويتنابونه من كل مكان وأوب . . . وقد غلب اسم السوق على اسم اليوم لدوامه وقولهم يوم الكركي ، حتى أن كثيرا منهم اذا عد ايام الاسبوع

قال الجمعة والسبت والكركي والاثنين ، يريد بالكركي الاحد .

وبين الحين والحين يردد ابن حوقل في ثنايا كتابه تعابير مثل أسواق حسنة ، كأوصاف للاسواق التي يزورها ، الأمر الذي يدلنا على طبيعة تلك الاسواق في زمنه وعلى اعجابه بها .

ويصف ابن حوقل الاسواق في فاس في المغرب ليرينا مدى العناية بالاسواق في القرن العاشر الميلادي :

في كل يوم من أيام الصيف
يرسل في أسواقها من نهرها الماء
فيغسلها فتبرد الحجارة ، وجميع ما
بها من الفواكه ، والغلات ، والمطاعم ،
والمشارب ، والتجارات ، والمرافق ،
والخانات .

التجارة والاسعار

ويهتم ابن حوقل بتجار المغرب اهتماما خاصا . ولذلك لانعجب حين نراه يهتم بأسواقها كذلك . ومهما يكن سبب اهتمام ابن حوقل بتجار المغرب وبأسواقها، فان قارىء كتابه صورة الارض يستطيع أن يستقي منه المعلومات التالية عن تجار المغرب وغيرها في زمن ابن حوقل :

أ ـ معظم تجار مدينة كُرت (أو كرث) ـ الواقعة في أقصى بلاد المغرب قرب بلاد السودان ـ من البربر .

ب ـ تجار المهدية المغربية دمث الاخلاق .

جـ ـ تزخر عمان بالتجار .

د ـ يؤم طبرقة ، وهي مدينة مغربية ، بها كثير من التجار . وهي ، كما يذكر ياقوت الحموي في معجمه الجغرافي المشهور ،عامرة لورود التجار اليها ، وفيها نهر كبير .

هـ ـ يقطن سوكن ـ المؤلفة من ثلاث جزر والواقعة تجاه جدة ـ تجار من فارس .

ولا تغيب نصيبين ، مسقط رأس ابن حوقل ، عن ذهنه وهو يتحدث عن أسعار ومنتجات المدن والاقاليم . يقول عن رخص أسعارها :

« لم تزل على ما ذكرته منذ أول الاسلام . معروفة بكثرة الثمار ورخص الاسعار » .

بل يكاد ابن حوقل يذكر لنا سعر كل سلعة من سلع نصيبين .

وتتردد هنا وهناك في الكتاب تعابير مثل : صالحة الاسعار ، ورخص الاسعار ، وخصبة الاسعار . فعلى سبيل المثال ، يخبرنا ابن حوقل عند تحدثه عن سكان الاندلس ما يلي :

« أما أسعارهم فتضاهي النواحي الموصوفة بالرخص وكثرة الخير والسعة » .

ولا يكتفي ابن حوقل بتسجيل اسماء الانواع المختلفة لمنتوجات المدن والاقاليم التي يزورها وذكر اسعارها ، بل يقوم بدراسة وتعليل أسباب رخص المنتجات في بعض الاماكن ، فجزيرة ميرقة الاندلسية ، مثلا ، رخيصة الماشية لكثرة المراعي .

استيراد وتصدير

ولا تكتمل اللوحة الاقتصادية التي يرسمها لنا ابن حوقل عن المدن والاقاليم التي زارها الا بذكر ما يرد الى بعضها من سلع ، وما يصدر الى بعضها الآخر من غلال ؛ فحديد بونة ، وهي مدينة مغربية ، وتينها يصدران الى عدة أقطار . كما أن وهران تستورد"السلاع"ومنها يحملون الغلال ، و ان فارس تصدر ماء الورد الذائع الصيت الى جميع أنحاء المعمورة .

ولا بد في نهاية المطاف من أن نذكر بأن ثمة في كتاب(صورة الارض)مواضيع عديدة ذات صلة بالحياة الاقتصادية للمدن والاقاليم التي زارها ابن حوقل ، مذكورة في الكتاب هنا وهناك ، وهي مصادرة الممتلكات ، والضرائب وأنواع العملات المستخدمة في أقطار مختلفة ، والمقاييس والاخراج . □

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب : معجم الألفاظ المفسر في كتاب « الأغاني » .
اعداد : الدكتور حسن محسن .
الناشر : وزارة الاعلام الكويتية .
عدد الصفحات : ٣١٨ من القطع الكبير .
سنة النشر : ١٩٨٧

الكتاب الشهير لأبي الفرج الأصفهاني الذي صدرت كتابات كثيرة عنه لتضيء جوانبه المختلفة ، هو موضوع هذا الكتاب المعجمي الجديد الذي قام باعداده المصنف .

في هذا الكتاب يتناول المصنف الجانب اللغوي من كتاب « الأغاني » ، فيقوم بشرح الكلمات والتعبيرات التي يرى من الضروري شرحها ، ويزيل الغموض الذي قد يكون موجودا في ثنايا التعبير الأدبي ، وقد رتب هذه الكلمات والتعبيرات والألفاظ ترتيبا معجميا لتيسير الاستفادة منه .

يقول المصنف في تقديمه للكتاب انه تبين أن للكتاب جانبا لم يلق عليه ما يكفي من الضوء ، وهو الجانب اللغوي ، وأن هذا الجانب هو احدى الركائز الأساسية التي اعتمد عليها منهج كتاب « الأغاني » الى جانب ركائز أخرى مثل الموسيقا والغناء والنقد والتاريخ .

■■

الكتاب : التدين المنقوص
المؤلف : فهمي هويدي
الناشر : مركز الأهرام للترجمة والنشر
عدد الصفحات : ٣١٢ من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٧

هذا كتاب جديد جمع فيه المؤلف مقالات كان قد نشرها في عدد من الصحف والمجلات العربية ، منها مجلة « العربي » .

إن مجموع هذه المقالات يشكل جزءا من معارك فكرية خاضها المؤلف مع ثلاثة أطراف أولها « الناقدون للاسلام » ، وثانيها « المتربصون بالعاملين في ميدان الدعوة » ، وثالثها « فصائل المتدينين أنفسهم » الذين يرى المؤلف أن قلوب أكثرهم قد امتلأت بالايمان ، لكن وعيهم بحقائق الدين وأساليبه ومقاصده تشوبه شوائب عديدة ، مما جعله يطلق على ذلك النوع من التدين عنوان الكتاب « التدين المنقوص » .

ومن البداية يعلن الكاتب أنه يقف على أرض هذا الفريق الثالث وفي معسكره وضد الفريقين الآخرين (الأول والثاني) .

■■

الكتاب : لغة الطفولة والحلم
المؤلف : محمد برادة
الناشر : الشركة المغربية للناشرين المتحدين - الرباط
عدد الصفحات : ١٤١ من القطع الوسط
سنة النشر : ١٩٨٦

في هذا الكتاب الفريد يقوم الكاتب الناقد المغربي محمد برادة بأكثر من عمل واحد ، فهو يقدم نماذج من القصة القصيرة المغربية الحديثة بأقلام كتابها المشهورين ، ومنهم (محمد شكري ، ومحمد زفزاف ، وعز الدين التازي ، وأحمد المديني ، وآخرون) ، ويعرف بهؤلاء الكتاب وأعمالهم ، ثم

يقـدم قـراءة للقصص المختـارة ، في محـاولات لاستجلاء السمات المميـزة لصيغها وخطابهـا كـما يقول .

وهو يقوم بهذه القراءة خلال تحليل أربع محطات أساسية يحددها بالاستذكـارية والكـاشفة والمجـابهة « والفانتازية » ، ويكتشف عبر قراءته هذه ما أسماه محاولة تأسيس « لغة الطفولة والحلم » وهو العنوان الذي اختاره المؤلف للكتاب .

■ ■

الكتاب : الأشباح ـ رواية
المؤلف : اندريه بلاتونوف
ترجمة : خيري الضامن وأبي بكر يوسف
الناشر : دار رادوغا ـ موسكو
عدد الصفحات : ٢٦٤ من القطع الوسط
سنة النشر : ١٩٨٦

هذه الرواية هي العمل الأول من روايات الكاتب السوفييتي اندريـه بلاتـونوف الـذي نقل الى اللغـة العربية .

وقد ضم الكتاب مقدمة للروايـة والكاتب بقلم الشاعر السوفييتي الشهير يفغيني يفتـوشنكو ، قـدم فيها الكاتب باعتباره أحد الروائيين الذين لاتـرى أفكارهم « تمشي على قدمين » ، فـأبطالـه يسيرون حسب ارادتهم .

وما قصده يفتوشنكو هو خلو روايات بلاتونوف من الطابع الدعائي الفج الذي يميز أعمال كثير من الأدباء السوفييت في فترة الثلاثينيـات والأربعينيات التي تنتمي اليها هذه الرواية .

بطل هذه الرواية هو نزار شاغاتيف الذي يسهم في انجاز المشروعات الضخمة لبناء الاتحاد السوفييتي الجـديد بعـد استقرار الأحـوال في أعقـاب الثـورة البلشفية هناك .

■ ■

الكتاب : الطفل في حالة الصحة وفي حالة المرض
المؤلف : د . محمد صادق زلزلة
النـاشر : دار ذات السـلاسـل للنشـر والتوزيـع ـ الكويت
عدد الصفحات : ٥٦٨ من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٧

هذه هي الطبعة الثانية من كتاب الدكتور زلزلة ، أما الطبعة الاولى فقد صدرت عام ١٩٧٦ ونفدت ، وهذه الطبعة مزيدة منقحة حيث أعاد الكاتب النظر في بعض الأجـزاء ، وأضـاف ، وبـدل ، ليخـرج الكتاب على الصورة التي يجدها القارىء بين يديه .

ينطلق المؤلف في جمعه لمادة هذا الكتاب وترتيبه وتنظيمه من حقيقة هي أن المكتبة العـربية ينقصهـا الكثير من مثل هذه الكتب العلمية ، وكتب الأطفال عـلى وجه الخصـوص ، فيقدم هـذا الكتـاب المهم والمنـظم ، لا للقـارىء المتخصص الـذي يمكنـه الاطلاع على مايريده باللغة الأجنبية ، بل للقارىء العادي ، وللأم الحامل ، وكلهم يحتاجون الى مثل هذه المعلومات المبسطة المهمة في الوقت نفسه .

ويؤكد المؤلف منذ البداية أنه من الصعب ايجاد حد فاصل بين الطفل السليم والطفل السقيم ، لذا فانه يقدم نصائح عامة بشأن الأطفال وتنشئتهم في الصحة والمرض . □

● أركان السعادة ثلاثة : أن تجد شيئا تعمله وشيئا تحبه ، وأملا ترجـو تحقيقه أو تسعى إليه .

(مثل غربي)

العربي - العدد ٣٥٣ - ابريل ١٩٨٨ م

مسابقة العربي الثقافية

العـــدد ٣٥٣

ابريـــل ١٩٨٨

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ ديناراً
الجائزة الثانية ٣٠ ديناراً
الجائزة الثالثة ٢٠ ديناراً
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي .

مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الرمز البريدي 13008 الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٥٣ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ مايو ١٩٨٨ .

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العـــدد ٣٥٣

١ من المعروف أن أطول سور القرآن الكريم هي سورة البقرة (٢٨٦ آية) . فما هي أطول آياته ؟ وكم عدد كلمات هذه الآية ؟

٢ سياسة اللاعنف اشتهر بها المهاتما غاندي . ترى من أين أتى بهذه السياسة ؟

* اقتبسها عن مذهب « الجينيين » ، وهو مذهب هندوكي يقوم على اعتقاد بقداسة الحياة ونبذ القتل والعنف بصوره كافة .
* غاندي هو الذي ابتكر سياسة اللاعنف ، وذلك أثناء وجوده في جنوب أفريقيا في المراحل الأولى من حياته .
* جواهر لال نهرو ، وهو رفيق غاندي في الجهاد ومرشده في رسم السياسات واتخاذ القرارات ، وهو صاحب الفضل في وضع سياسة اللاعنف .

٣ من المعروف أن السنة الميلادية تبدأ بمولد السيد المسيح ، من هنا كان احتفال العالم المسيحي بعيد الميلاد ليلة ٢٤/ ٢٥ ديسمبر من كل عام ، لكن العالم المسيحي يحتفل أيضا بعيد رأس السنة الميلادية ، وذلك في أول يناير من كل عام ، فلم يحتفل بهذا العيد الثاني ؟ وما مبرر الاحتفال ببداية السنة الجديدة مرتين في غضون أسبوع واحد ؟

٤ كم بلغ مجموع البابوات الذين جلسوا على عرش الفاتيكان ؟

* ١٦٦ بابا
* ٢٦٦ بابا
* ٣٦٦ بابا

٥ ثمة ملحمة دينية (شعرية) نظمت قبل ٢٠٠٠ سنة ، وتعتبر أطول قصيدة عرفها التاريخ دون خلاف ، وقد بلغ عدد أبياتها (١٠٠,٠٠٠) بيت . فما اسم هذه الملحمة ؟ ولأي دين نظمت ؟

٦ أيهما أكبر عددا في الكنيسة الكاثوليكية الرهبان أم الراهبات ؟
* الرهبان ، وعددهم أكثر من ضعفي عدد الراهبات .
* الراهبات ، وعددهن أكثر من ضعفي عدد الرهبان .
* متساويان تقريبا .

٧ تدعو الديانة البوذية إلى بلوغ « الترفانا » . فماذا يقصدون « بالترفانا » هذه ؟
* حالة من السمو الأخلاقي والنفساني يستطيع المرء بلوغها إبان حياته .
* « الترفانا » عند البوذيين تقابل جنة الفردوس عند أصحاب الأديان السماوية .
* الموت والفناء الذي هو مصير كل إنسان .

٨ الزرادشتية دين الفرس القديم ، وأقدم الأديان حسبما يؤكد الكثيرون. ترى ما هو جوهره ؟
* عبادة النار .
* عبادة الشيطان ، فهو والنار صنفان
* عبادة إلهين ، إله الخير وإله الشر .

٩ مذهب المورمون مذهب مسيحي معروف . ترى هل هو مذهب قديم أم حديث ؟ وهل ظهر في أوروبا أم في العالم الجديد ؟

١٠ كان اليهود مضطهدين في العصور الحديثة لا ريب ، لكن في أي البلدان التالية كانوا مضطهدين ؟ وفي أيها لم يكونوا كذلك ؟
* ايطاليا فرنسا أسبانيا
المانيا انكلترا بولونيا روسيا .

١١ أي المذاهب الدينية كثر رهبانه حتى بلغوا ربع مجموع أتباعه ؟
* المذهب اللامي في التبت .
* الديانة الكونفوشية .
* الديانة المطاوية .

١٢ صحيحا مسلم والبخاري . . ترى أيهما يفوق الآخر بعدد الأحاديث النبوية التي يحتوي عليها ؟

□

العربي - العدد ٣٥٣ - ابريل ١٩٨٨ م

حلّ مسابقة العدد ٣٥٠ يناير ١٩٨٨

١ سيبويه هو الذي فاز على الكسائي في تلك المناظرة ، وسيبويه هو أبو بشر عمرو بن عثمان أعلم النحويين جميعا ، وإمام مذهب البصرة . ولد في البصرة وتوفي في شيراز سنة ٧٧٠م ، أما الكسائي فهو أبو الحسن علي بن حمزة (٧٣١ - ٨٠٦) أحد كبار أئمة النحو واللغة وقراءة القرآن ، تولى تأديب الأمين والمأمون وتوفي في الري .

٢ ظهرت الأبجدية الأولى في التاريخ في أوغاريت أو رأس الشمرة في شمال سوريا ، وذلك في القرن ١٧ قبل الميلاد ، وقد اقتبس اليونان القدامى أبجديتهم عن تلك الأبجدية الفينيقية الأولى ، واقتبس الرومان عن اليونان حروفهم الهجائية التي انبثقت عنها شتى الأبجديات الأوروبية .

٣ الأبجدية السيريلية - نسبة الى المبشر اليوناني سيريل (Cyril) - هي الأبجدية التي أنشأها المبشر المذكور بالتعاون مع مبشر يوناني آخر هو « ميثوديوس » ، وذلك في القرن التاسع الميلادي .

٤ قبائل المايا من الهنود الحمر ، وهي القبائل التي استوطنت أمريكا الوسطى قبل الاستعمار الاسباني والتي كتبت وقرأت من أسفل الى أعلى . أما أهل الصين فيكتبون ما يكتبون في أعمدة - لا سطور - ويقرءون كتاباتهم من أعلى الى أسفل ومتجهين من اليمين الى اليسار .

والجدير بالذكر أن الكتابة في سطور مستقيمة لم تظهر في أوروبا إلا سنة ٢٠٠٠ ق . م ، وذلك في جزيرة كريت . أما الكتابة والقراءة من اليسار الى اليمين فلم تنتهجها أوروبا حتى القرن العاشر قبل الميلاد .

٥ لا يتكلم أية لغة ، وتجدر الاشارة هنا الى التجربة الرائدة التي أجراها فرعون مصر (بسامتيك Psamtik ٦٦٣ - ٦٠٩ ق . م) ، فقد عزل اثنين من مواليد الفقراء عزلا تاما عن الناس وذلك بقصد اكتشاف اللغة الأصلية التي يتكلمها الاثنان بالفطرة ، وأفرج عن الطفلين بعد سنتين ، وتبين أن اللفظ الوحيد الذي ردداه هو بكوس ، وأنهما اقتبسا ذلك اللفظ عندما سمعاه من أصوات الخراف عبر نافذة الغرفة التي عزلا فيها .

٦ يمكن تعليم النطق والكلام للأطفال الذئاب ، لكن بصعوبة كبيرة . وأثبتت التجارب التي أجروها على نحو (٥٠) طفلا عثروا عليهم في غابات الهند وكذلك على الطفلة الأمريكية (جني) التي ظلت سجينة بيتها وفي عزلة تامة طوال ١٤ عاما ، ومما يذكر أن الأطفال الذئاب غالبا ينشأون على التخلف العقلي .

٧ لغة الباسك هي اللغة الوحيدة في العالم التي لا تربطها بسائر اللغات أية رابطة ، ويقدر عدد الذين يتحدثون بها نصف مليون نسمة موزعين في الغالب بين بلدان جنوب فرنسا وشمال اسبانيا .

٨ أبجدية كمبوديا هي التي تشتمل على ٧٤ حرفا وتعتبر أطول أبجدية في العالم .

٩ أبجدية جزر سليمان وتسمى روتوكاس Rotokas ، وهي أقصر أبجدية في العالم ، فعدد حروفها لا يزيد عن ١١ حرفا .

١٠ في المكسيك وعند قبائل فراتكو الهندية بالتحديد يعتمد الصفير بقصد التخاطب وتجاذب أطراف الحديث ، مثلها كمثل سكان جزيرة (لاجوميرا) إحدى جزر الكناري التي تعتمد لغة صفير أخرى تسمى (سلبو) .

١١ الاسبرانتو هي اللغة العالمية التي ابتكرها العالم البولندي الدكتور ل . زامنهوف (١٨٥٩ ـ ١٩١٧) ، وقد نشر كتابه الأول عنها سنة (١٨٨٧) .

١٢ معجم « لسان العرب » ألفه ابن منظور . ولد في مصر وتوفي ١٣١١م ، . أما « القاموس المحيط » ألفه مجد الدين أبو طاهر محمد الفيروزبادي المتوفى ١٤١٤م . قاموس العين أو (كتاب العين) ألفه الخليل بن أحمد الفراهيدي النحوي المتوفى في القرن الثامن الميلادي ، ويعتبر « كتاب العين » أول معجم ظهر في اللغة العربية .

الفائزون في مسابقة العدد ٣٥٠ يناير ١٩٨٨

الجائزة الأولى : د . صلاح الدين عبدالقيوم أبو شامة / بورتسودان / السودان .

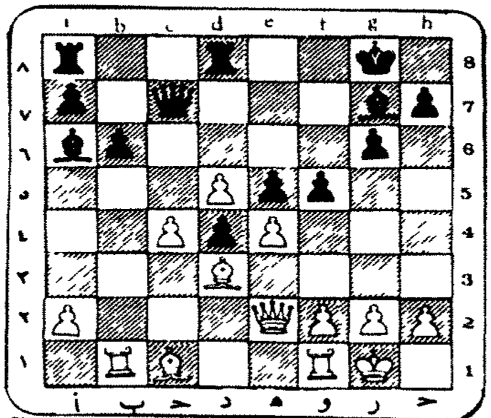
الجائزة الثانية : عبدالله بوخلخال / قسنطينة / الجمهورية الجزائرية .

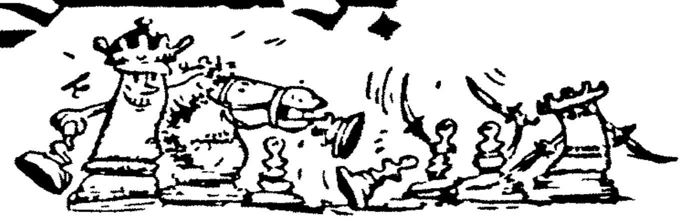
الجائزة الثالثة : أحمد عارف الفاني / بيروت / لبنان

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ عبدالقادر عثمان البنا / عدن / اليمن الديمقراطية .
٢ ـ خير الدين المسعودي / الزهراء / الجمهورية التونسية .
٣ ـ جودت أحمد محمود صالح / اربد / الأردن .
٤ ـ شادية أحمد نصرة / دمنهور / جمهورية مصر العربية .
٥ ـ د . فؤاد فاضل / حلب / سوريا .
٦ ـ د . ابراهيم بن محمد أمين / الرياض / المملكة العربية السعودية .
٧ ـ لمى أحمد ابراهيم عامر / السالمية / الكويت .
٨ ـ أحمد الصالح بن احمدو بن احميد / نواكشوط / موريتانيا .

معركة بلا سلاح





« لقد كان اللقب في قبضتي ، ولكنني أضعته في اللحظة الأخيرة » بهذه العبارة عقّب أناتولي كاربوف على خسارته في الجولة ٢٤ من مباراته على بطولة العالم ، مع مواطنه حامل اللقب جاري كاسباروف ، وكانت الخسارة المذكورة سببا في إضاعته للقب ، وتقديمه لخصمه على طبق من ذهب - حسب تعبير كاسباروف نفسه - بعد أن أجمع المحللون والمعلقون على أن بطولة العالم ستكون من نصيبه بنسبة ٨٥٪ ، بعد فوزه في الجولة الثالثة والعشرين التي جعلته يتفوق على كاسباروف بنقطة كاملة (١٢ - ١١) ولم يبق بينه وبين استرجاع اللقب سوى نصف نقطة فقط .

ففي الجولة ٢٣ خرج كاربوف من قاعة اللعب بعد انتصاره ودموع الفرح تنهمر على وجنتيه واستقبلته زوجته ناتاشا بولانوفا التي كانت ترافقه لقضاء شهر العسل في ربوع اسبانيا والدنيا لا تكاد تسعها من فرط السعادة ، في حين خرج كاسباروف من القاعة وهو يحجب وجهه بيديه من شدة الحزن والخجل .

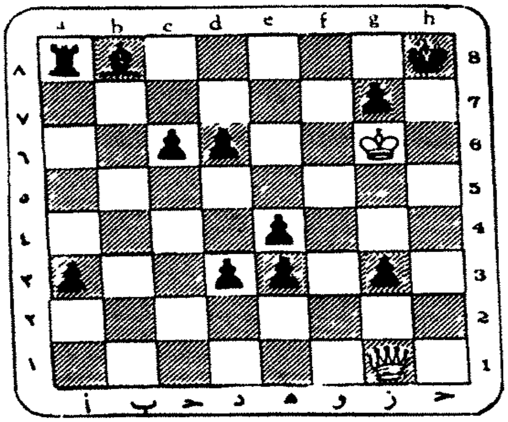
تألفت بطولة العالم من ٢٤ جولة ، أحرز كل من البطلين أربعة انتصارات و ١٦ تعادلا إذ فاز كاسباروف بالجولات ٤ ، ٨ ، ١١ ، ٢٤ ، في حين فاز كاربوف بالأدوار ٢ ، ٥ ، ١٦ ، ٢٣ . وبذلك يكون البطلان قد التقيا في (١٢٤) مُباراة تغلب كاسباروف في ١٧ منها وكاربوف في ١٦ وانتهى ٩١ منها بالتعادل منذ عام ٨٤ الى الآن . وقد اخترنا لكم في هذا العدد الدور ٢٣ من المباراة الذي جعل العرش يهتز بشدة تحت قدمي كاسباروف لولا حسن حظه وصلابة عزيمته وقدرته الفائقة على انتزاع النصر في أحلك الظروف . والدور من الافتتاح الانجليزي نبدؤه من النقلة ١٨ (الشكل أعلاه) لطول الدور وَلِكَوْن النقلات الأولى معروفة .

□ أناتولي كاربوف	■ جاري كاسباروف
١٨) ف - ز ٥	ر - و ٨
١٩) ر و - جـ ١	ر أ - جـ ٨
٢٠) ف - د ٢	ر - و ٧
٢١) أ ٤	و × هـ ٤
٢٢) و × هـ ٤	ر جـ - و ٨
٢٣) و ٣	ف - جـ ٨
٢٤) أ ٥	ف - و ٥
٢٥) و - هـ ٢	ر - هـ ٨
٢٦) ف - هـ ٤	ف - و ٨
٢٧) و - د ٣	ف - جـ ٥
٢٨) ر - أ ١	و - د ٧
٢٩) ر - هـ ١	و - جـ ٨
٣٠) م - جـ ١	ر - جـ ٧
٣١) ر أ - ب ١	م - ز ٧
٣٢) ر هـ - جـ ١	ف × هـ ٤
٣٣) و × هـ ٤	ر - و ٧

٣٤) و - ز ٣	ب × أ ٥
٣٥) ف × أ ٥	ر - و ٤
٣٦) ر - هـ ١	و - أ ٦
٣٧) ف - د ٢	ر - و ٧
٣٨) و - د ٣	ر هـ - و ٨
٣٩) جـ ٣	ر - و ٢
٤٠) ر - أ ١	و - و ٦
٤١) ر - ز ١	حـ ٥
٤٢) ر - أ ٥	و - هـ ٧
٤٣) ر - ب ١	حـ ٤
٤٤) ر - أ ٦	ر ٨ - و ٧
٤٥) ر - جـ ٦	و - و ٨
٤٦) ر - ز ١	ف - هـ ٧
٤٧) ر - هـ ٦	م - حـ ٧
٤٨) ف - هـ ١	ر - و ١
٤٩) ف - د ٢	ف - جـ ٥
٥٠) ر - جـ ٦	ر ٧ - و ٣ !
٥١) ز × و ٣	ر × و ٣
٥٢) ر - جـ ٧ +	م - حـ ٨
٥٣) ف - حـ ٦ !	ر × د ٣
٥٤) ف × و ٨	ر × حـ ٣ +
٥٥) م - ز ٢	ر - ز ٣ +
٥٦) م - حـ ٢	ر × ز ١
٥٧) ف × جـ ٥	د ٣

واستسلم كاسباروف

مسألة العدد (٣٥٣) ابريل ٨٨



مات ٥

من اهداء القارىء
د . فواز محمد حيدر
(اللاذقية)

حل مسألة عدد فبراير (٣٥١)

مفتاح الحل : ح - ز ٨

يلعب الأسود ما شاء

الفائزون بحل مسابقة الشطرنج العدد ٣٥٠ يناير ١٩٨٨

الفائزون باشتراك سنة كاملة

١) د . محمد الخوالده ـ معان/ الأردن
٢) هدى عبد الباسط ـ الاسكندرية/ ج م ع
٣) جلال عبد الرحيم تركي ـ الشعبية/ اليمن الديمقراطية
٤) عفيفة بن حسن ـ المنستير/ تونس
٥) هديل القلق ـ حمص/ سوريا

الفائزون باشتراك نصف سنة

١) أشرف مبارك ـ المنيا/ ج م ع
٢) وائل الزهراني ـ الرياض/ السعودية
٣) عدنان سعيد عبد الله ـ الكويت
٤) عبد المطلب نورفكي ـ السودان
٥) حسن أحمد العيدروس ـ عدن/ اليمن الديمقراطية .

حوار القراء

العربي - ص. ب : ٧٤٨ الصفاة - الكويت

حول مقال : البيريليوم معدن العصر

● وردتنا رسائل من الدكتور هاني عبيد من الأردن ، وعبد الله أحمد يحيى ، وأحمد محمد باذيب من جمهورية اليمن الديمقراطية ، وعدد آخر من القراء تفيد بأن المقال المنشور في عدد (يناير) كانون الثاني ١٩٨٨ بعنوان « البيريليوم معدن العصر » منقول من كتاب « قصص وطرائف من الفلزات» لمؤلفه السوفيتي س فيتسكى ، مع بعض التقديم والتأخير ، ولقد كنا نتمنى ألا يحدث هذا في « العربي » ، وبخاصة أننا نفتح صفحاتنا لكل الأقلام العربية بلا استثناء ، شرط أن يعي طرفا العلاقة بحسن التعامل . ولا يسعنا ونحن نشكر لكم غيرتكم على المجلة واهتمامكم بها ، إلا أن نشارككم الرأى في أن هذه الظاهرة غير كريمة ، ويجب أن توقف .

مع خالص الشكر ، ، ، ،

■■■

« الأيس كريم » أو (الجَمِيْدة)

● الاستاذ رئيس التحرير المحترم ،

كنت أطالع عدد تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٧ من مجلة العربي فاستوقفتني كلمة (الايس كريم) ، وهو اسم حارت المجامع في تعريبه .

ولما كنت من عشاق الفصحى ، وسبق لي عندما كنت طالبا في المعهد الطبي العربي بدمشق أن نشرت طائفة من المصطلحات العلمية في عددين من مجلة هذا المعهد لسنة ١٩٣٦ فقد حدت بي هذه الكلمة إلى الكتابة في هذا الموضوع .

لا أظن مجامع اللغة العربية قد أهملت (الايس كريم) عجزا أو ترفعا ، فقد سبق لمجمع القاهرة أن وضع كلمة المشطور لتحل محل (السندويتش) ، لكن هذه اللفظة العربية لم تستطع الصمود أمام هجمات دعاة العامية الذين جابهوها بسلاح التهكم ، فقد ادعى أحد الصحفيين زوراً أن مجمع القاهرة سمى (الساندويتش) بالشاطر والمشطور والكامخ بينهما ، فذاع قوله نكتة يتندر بها في المجالس ، ثم ظهرت كلمة (الشطيرة) ، وكانت أسعد حظا من سابقتها ، فقد كتبت لها الحياة .

ولعل المجامع اللغوية قد غفلت عن وضع كلمة فصيحة ، تحل محل (الايس كريم) ومرادفاتها في غمرة السيل العارم من المصطلحات العلمية الأجنبية التي

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي" بنشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

تتحدى الفصحى في كل حين . وإيمانا مني بالكلمة الفصحى ، وإمكان ذيوعها إذا احتضنتها مجلة محببة إلى جماهير القراء العرب في مختلف أقطارهم ، فإنني أتقدم باقتراح كلمة فصيحة للدلالة على (الايس كريم) ، آملا أن تحظى بالقبول لدى الناطقين بالعربية فأقول :

إن (الايس كريم) الانجليزية و (الغلاس) الفرنسية و (الجيلاتي) الطليانية و (البوظة) الفارسية و (الدون دورمة) التركية ترجع كلها إلى الفاظ تعنى بالعربية (الجَمَد) والجَمَد هو ما جَمَد من الماء ، ونقيضه الذَّوبُ ، أما الجليد فما يسقط من السماء على الأرض من الندى فيجمد (انظر لسان العرب) وإذا كانت الانجليزية قد صاغت (ايس كريم) بجمع كلمتين ، والفرنسية قد دلت بكلمة واحدة على قسمين ، ففي العربية صيغة (فعيلة) للدلالة على المآكل ، فقد قالوا (الهريسة ، الرغيدة ، السخينة ، الوليقة ، الوكيرة ، الوليمة إلخ) ، والأحرى بنا أن نشتق كلمة من (جَمَد) للدلالة على (الايس كريم) فنقول (الجَمِيْدَة) .

الدكتور مختار هاشم

دمشق ـ سوريا

■ ■ ■

حكومة الظل

● أود أن أشد بقوة على أيدي كل العاملين على إخراج مجلة « العربي » بهذه الحلة القشيبة والزاد الثقافي الثري .

لكنى أتمنى من المجلة زيادة المقالات العلمية كلما أمكن ذلك ، للتعريف بأحدث المنجزات والبحوث العلمية . وأنتم تعلمون قبل غيركم كم نحن بحاجة إلى مثل هذه المقالات ، كما أود أن أشكركم على المقالات التي تتناول الاسلام من نظرة معاصرة وتفكير علمي ، وأقول لكم إنكم رواد في هذا المجال ، وأحب أن أخص الاساتذة فهمي هويدي ، ود . عبدالعزيز كامل بالشكر للدراسات الرصينة التي يكتبانها عن القضايا الاسلامية المعاصرة ، كما أني أود أن تزداد هذه الدراسات الفكرية لقضايانا الاسلامية .

أما بخصوص اقتراح أحد القراء في باب حوار القراء في العدد ٣٤٩ من المجلة بتخصيص صفحات لنتاجات القراء الأدبية فإني لست معه في اقتراحه لأننا لانريد لمجلة العربي ذات المستوى الثقافي الرفيع أن تدخل هذه المجالات التي تهتم

حوار القراء

بها عشرات المجلات والجرائد على امتداد ساحة الوطن العربي ، ولا أرى أي داع لتنشر المجلة هذه النتاجات .

وأخيرا أتمنى أن تجيبوني عن السؤال التالي ؟

هل هناك تعبير سياسي يطلق عليه (حكومة الظل) ، وإذا كان موجودا فماذا يعني هذا المصطلح على وجه الاجمال ؟

القاريء حازم سعدون

بغداد جامعة المستنصرية ـ كلية العلوم ـ الجمهورية العراقية

العربي

ـ نشكرك على الرسالة اللطيفة والاقتراحات القيمة ، أما بخصوص زيادة المقالات العلمية فإن « العربي » تتبع خطة مرسومة في عملية النشر ، وتعمل على التوازن في الموضوعات ، حتى تتوافر قيمة ثقافية وعلمية للقاريء ، وتخدم أهداف النشر وأغراضه ، وإننا نهتم بكل ما هو جديد من علم وثقافة وأدب ، ولاشك أنك قد لمست ذلك من خلال متابعتك ، ولعلك اطلعت على هدية « العربي » في عدد يناير ١٩٨٨ عن أحدث الانجازات العلمية في القرن العشرين .

أما بخصوص المقصود بالتعبير السياسي (حكومة الظل) فقد ورد في الموسوعة السياسية ـ الجزء الثاني ـ الصادرة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ الطبعة الأولى ١٩٨١ أن حكومة الظل (أو المعارضة) « مؤسسة برلمانية بريطانية ، يرأسها زعيم المعارضة أو الحزب المعارض في البرلمان البريطاني الذي يعتبر مسؤولا حكوميا ، ويتقاضى مخصصات حكومية سنوية » ، وتتكون هذه المؤسسة من الناطقين باسم الحزب المعارض في مختلف المجالات الخارجية والداخلية ، ويقوم هؤلاء بمتابعة سياسة الحكومة وانتقادها ، والتعبير عن رأي الحزب المعارض في مختلف المجالات ، كل في مجاله . ولما كان زعيم الحزب المعارض هو الذي يختار أعضاء « حكومة الظل » فكثيراً ما يحتفظ هؤلاء بحقائبهم عند تسلم المعارضة لزمام الحكم على إثر انتخابات نيابية جديدة ، ووجود هذه المؤسسة يقوي من مكانة زعيم الحزب داخل صفوف حزبه .

■ ■ ■

البقرة القزمة

● جاء في العدد ٣٤٩ ديسمبر ١٩٨٧ في باب سلامة البشرية من سلامة البيئة موضوع عن البقرة القزمة التي يبلغ طولها ما بين قدمين إلى ثلاث أقدام ، والحقيقة أن هذه البقرة موجودة في جزيرة سقطرة في جمهورية اليمن الديمقراطية .

وقد جاء ذكر هذه البقرة في كتاب تاريخ الجزر اليمنية لمؤلفه حمزة علي لقمان في الصفحة ٥٩ طبعة سنة ١٩٧٢ م ، حيث يقول : يوجد نوع من البقر الغريب ، فهو قزم لايزيد ارتفاعه عن ثلاث أقدام ، وليس له سنام ، وله غبب طويل ،

والبقرة أليفة ، تدر كمية كافية من اللبن ، ولا تستعمل في الحراثة ، ولا تذبح إلا نادرا ، وفي المآتم .

ومن المعلوم أن هذه المواصفات تنطبق على البقرة المكسيكية ، إنما البقرة العربية أصيلة المواصفات فقد تأقلمت مع البيئة من حيث قلة المرعى والماء .

وللبقرة القزمة دور استثماري فيما لو توافر المال لزيادة عددها ، وتهجينها ، حتى تكون بمثابة البقرة التي يستطيع كل إنسان اقتناءها وتربيتها ، لأن للبقرة فوائد جمة ، وخاصة لبنها المفيد .

محمد نور عبد الله البخاري

صنعاء ـ جمهورية العربية اليمنية

■■■

الجامعة الاميركية في بيـــــروت

● رئيس تحرير مجلة «العربي» المحترم ،

تحية طيبة وبعد ،

أود أن أبدي الملاحظات التالية على مقال « احتلال العقل » المنشور في مجلتكم (ديسمبر) ١٩٨٧

(١) ورد في المقال المذكور (ص ٢٥) أن وكالة المخابرات الأمريكية كانت وراء إنشاء العديد من الجامعات في العالم الثالث ، منها الجامعة الامريكية ببيروت وما أود أن ألفت النظر إليه هو أن الجامعة المذكورة أسست عام ١٨٦٦ ، بينما وكالة المخابرات الامريكية (CIA) لم تؤسس إلا عام ١٩٤٧ ، فكيف يمكن أن تكون وراء إنشاء الجامعة الامريكية في بيروت ؟!

(٢) الاسم الصحيح للبروفيسور اليهودي ديانة ، المصري أصلا الذي ورد اسمه في المقال (ص ٢٧) ، هو ناداف سفران "Nadav Safran" مؤلف كتاب : "Israel — The Embattled Ally"

الدكتور هشام سخنيني

جامعة البحرين ـ البحرين

■■■

إيضـــــــاح

● وصلتنا رسائل من القرء عامر صادق علاء الدين من عمان الأردن والسيد عبداللطيف السعيد ، والمهندس عبدالمعين نصر الله من سوريا تشير إلى أن قصيدة الشاعر عبده بدوي « مدينة عربية » المنشورة في عدد يناير سنة ١٩٨٨ تتضمن بيتا وشطراً من قصيدة عروة بن أذينة الحماسية رقم ٤٦٣ ، الجزء الثالث من الحماسية للمرزوقي صفحة ١٢٣٥ .

لما شكوت لصاحبي في حيرة   ما كان أكثرها لنا وأقلها
أهوى وقال « لعلها معذورة   من أجل رقبتها فقلت لعلها

دون وضع الأشطر المقتبسة بين قوسين ، للاشارة إلى الاقتباس .

حوار القراء

العربي

ـ نود أن نوضح أن النص المرسل من الشاعر عبده بدوي قد وضعت فيه الأشطر المقتبسة بين أقواس ، لكن حدث خطأ طباعي سقطت به الأقواس نعتذر للشاعر وللقراء .

■ ■ ■

الصقور في الكويت

● أرجو القيام باستطلاع مصور عن الصقور في الكويت ، لأنه في ضوء معلوماتي يوجد في الكويت أنواع مختلفة من الصقور ، بل فيها من أحسن أنواع هذه الطيور ، وللأسف ليست لدى المعلومات الكافية عنها

ابراهيم على الملباد
طرابلس ـ الجماهيريه الليبيه

العربي

ـ فكرة مثل هذا الاستطلاع تتسم بالطرافة نأمل أن نجد الفرصة المناسبة للقيام بها

■ ■ ■

كتاب الأغاني

● لدي اقتراح أرجو أن تتقبلوه قبولا حسنا

يعتبر كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني من أمهات الكتب الأدبية التي يعتمد عليها كبار الكتاب والنقاد في بحوثهم ونظرا لقلة المطبوع منه ، وثمنه الباهظ لم يتمكن أغلب القراء والمتبعين للأدب من قراءته والاستفادة من درره الغالية

وقد مرت بحلدي قصة ، ملخصها أن رجلا عربيا كان كلما اعتزم الرحيل أعد عدته وجهز قافلة يحمل عليها كتبا مختلفة في الأدب ، وكان بهذا يجد صعوبة كبيرة في سفره ، فلما ظهر كتاب (الأغاني) للوجود أراحه من ذلك التعب ، ومن تلك المشاق ، فترك القافلة وكتبها ، وتأبط كتاب أبي الفرج الأصفهاني ونظرا لأهمية الكتاب يشرفني أن أتقدم إليكم راجيا أن تقدموا لنا ضمن محتويات العدد بحثا مستفيضا عن صاحب الكتاب ، والظروف التي أنتجت هذا الأثر الخالد ، وما هي أهم محتوياته شاكرين لكم صنيعكم .

الطالبي يوسف
مكناس ـ المملكة المغربيه

العربي

ـ ننشر رسالة القارىء الكريم . والمجلة ترحب بنشر أي دراسة جديدة جيدة عن كتاب « الأغاني » لتحقيق ما يصبو إليه القارىء

اقتراحات

● يقترح القاريء سعيد محمد من الجمهورية العربية اليمنية أن تقوم « العربي » باستطلاع عن اليمن والأماكن الأثرية فيها ، وأن يكون هناك استطلاع مصور لبناء سد مأرب الذي له مكانة تاريخية كبيرة .

أما القاريء أسد فجر الحمود من حماة في الجمهورية العربية السورية فيقترح أن تقوم العربي باستطلاع عن مدينة تدمر الخالدة ومعالمها التاريخية والحدائق والبساتين المحيطة بها .

ويود القاريء أحمد صبحي عبد الجواد من أدلب في سوريا أن تقوم « العربي » باستطلاع عن مدينة ادلب في الجمهورية العربية السورية ، فهي الأولى من حيث إنتاج الزيتون في سوريا ، إضافة إلى المزروعات الأخرى . في إحدى مدن محافظة ادلب وهي مدينة المعرة ،ولد الفيلسوف العربي الكبير أبو العلاء المعري .

أما القاريء محمد أحمد مصطفى ، من رأس غارب بمصر فيتمنى على العربي أن تقوم باستطلاع لمنطقة رأس شقير بمحافظة البحر الأحمر في جمهورية مصر العربية ، حيث انها المنطقة النفطية والصناعية الأولى في مصر في إنتاج النفط وتكريره ، فضلا عن أنها ميناء هام لتصدير النفط المصري إلى العالم الخارجي .

● عبد الناصر محمد عبد النظير ـ سوهاج ـ جمهورية مصر العربية يقترح استطلاعا يشمل بلاد وسط أفريقيا مثل زائير وأوغندا وجنوب تشاد وجنوب السودان لمعرفة حياة المسلمين هناك بكل وضوح .

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

أبريل ١٩٨٨ م

مرض القلق

تأليف : دافيد شيهان

ترجمة : د. عزت عبد الرحمن شعلان

مراجعة : د. أحمد عبد العزيز سلامة

٥٠٠ فلس

الكتاب ١٢٤

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من
المسرح
العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام - الكويت

العدد ٢٢٣ أول أبريل ١٩٨٨

الآلية

تأليف : صوفي تريدويل
ترجمة وتقديم : يوسف الشاروني
مراجعة : محمد الحديدي



العالمية al Alamiah